قصص للجميع

رواية

الخارقة

تأليف

محمد عدنان سلطاني

راجعهاوقدم لها

الدكتور محمد علي سلطاني

أستاذ علوم اللغة العربية

دار العصماء

قصص للجميع

الخارقة

رواية بوليسية

ثلاثة أجزاء في مجلد واحد

تأليف

محمد عدنان سلطاني

راجعها وقدّم لها

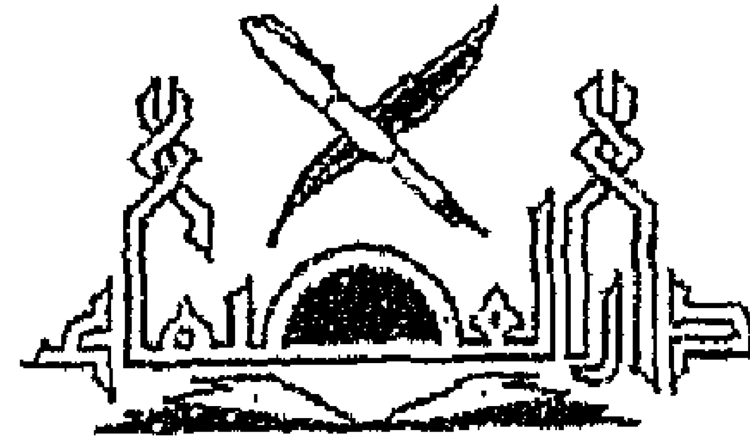
الدكتور محمد علي سلطاني

أستاذ علوم اللغة العربية

دار العصماء

الطبعة الأولى

1435 هـ - 2014 م



دار العصماء

فـــرع أول: سورية - دمشق - براسكة - جانب دار الفكر
قبل دار التوليد - دخلة الحلبوني
هاتـــف: 2224279 -11-00963 - تلفاكس: 2257554 -11-00963
فرع ثاني: دمشق - ركن الدين - الســوق التجـاري
جانب مجمع الشيخ أحمد كفتارو
هاتـــف: 2770433 -11-00963 تلفاكـــس: 2752882 -11-00963
ص.ب: 36267 - موبايل: 944/349434 -00963
E-mail:daralasma@gmail.com

قصص للجميع

الخارقة

الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة (قصص للجميع) للكاتب محمد عدنان سلطاني

إنها عصارة نفس، وخلاصة تجارب، وتفتحٌ أصيل متأنٍ لبذورٍ ألقتْها أحداث الحياة بين ضلوع الكاتب ومطاوي نفسه طفلاً وناشئاً ورجلاً يجتاز مراحل الحياة بقوة وتمثل عميق.. وكان قد ظن في حينها أنها قد دخلت عالمَ النسيان.

غير أنها نَمت وترعرعت في حنايا اللاشعور، تغذيها حوادث الأيام وتزيدها قوة وصقلاً.. ثم راحت تُلحُّ على موهبة صاحبها ليجد لها منفذاً إلى نور الناس وعالمَ الأحياء.

فأقبل عليها يترجم عنها بقلمه القصصي المؤنس المعبّر، ويخرجها للنور ثمراتٍ ناضجة في ثوب فني جذاب، تهدف - عند الناشئة خاصة - إلى تنمية قيَم الخير، وتأصيل معاني الحق والمُثُل العليا التي جُبلت النفوس عليها، وإشاعة ماأرادته السماء لعالمَ الأرض في وحيها الصادق الأمين من الحق والخير والجمال.

والله سبحانه من وراء القصد.

أ.د/محمد علي سلطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

قصص للجميع

بقلـــم

محمد عدنان سلطاني

الخارقة

قصة بوليسية

في ليلة عاصفة شديدة السواد، يتخللها البرق والرعد والمطر وموجات متتالية من الرياح، محدثةً بين الفينة والأخرى صفيراً مزعجاً، واهتزازا شديداً للأبواب والنوافذ - كانت امرأةٌ تقبع ممددةً على سريرها تعاني من عسر المخاض وبجانبها امرأتان تساعدانها على إنهاء محنتها، إحداهما القابلة التي استُقدمت من أجل الولادة، والأخرى والدة زوجها التي تعيش في منزلها ضامّة ولدها الوحيد وزوجتَه عندها تنتظر مولودها الأول.

وقد بدت القابلة في حيرة وقلق من تعسر الولادة، رغم عدم وجود سبب لهذا التعسر، وشاهدتها (الحماة) ترجو الله أن ييسر الولادة. وكانت الحماة تسأل وتكثر من الأسئلة والاقتراحات ولكن القابلة تطمئنها بأن هذا التعسر حسب خبرتها ليس له سبب، والجنين والأم في حالة مُرضية.

وبعد منتصف الليل بقليل اشتد الطلْق على الأم، وتعالى صراخها، وما هي إلا لحظات حتى ظهرت المولودة، وكانت أنثى. وبدت المولودة مختلفة عن المألوف في شكل عينيها، فقد كانتا ممتدتين عند الطرف الوحشي صعوداً نحو الأعلى، أما سائر وجه المولودة فقد كانت عليه

مسحة من الجمال غير أن شكل عينيها لفت نظر القابلة بقوة، فأطالت إليها النظر، ثم مالت نحو الجدة أم صعب التي كانت بقربها هامسة في أذنها، إنَّ ابنة ولدك عيناها كأعين الجن، فلهما امتداد إلى الأعلى، رغم جمالها واكتمالها وقربها من القلب.

تأملت الجدة تلكما العينين وتمتمت: يبدو أن زوجة ابني علياء (مخاوية) ومتزوجة من جني.. الله أعلم فهذه البنت خليط من الإنس والجن، والتفتت إلى القابلة لتقول، البطن بستان وعيناها لهما صُفة جمالية خاصة. خزِيت العين عنها مكتملة وحلوة. ثم طلبت منها إعطاءها لأمها، فأخذتها القابلة ودستها قرب أمها في الفراش، وبدأت تجمع حوائجها لتغادر، بينما بدت أم صعب غارقة في التفكير، فأيقظها من تفكيرها صوت كنتها علياء تسألها عن أفضل اسم للمولودة، فردت بأنها تفضل تسميتها شكرية تيمنا بأم كنتها علياء، التي وجدت أن إحياء اسم والدتها يسعدها، فوافقت على الفور إلا أن أم صعب دعتها للتريث، وأخذ رأي صعب الذي حضر بعد ذهاب القابلة وقد بدا فرحاً مسروراً بزوال الغمة وخلاص زوجته وقيامها بالهناء، فقبّل زوجته وسألها عن المولود فأجابت والدته بأنها بنت وأنها أسمتها شكرية فبارك الاسم، وحملها وبث في أذنيها الأذان والإقامة، ثم قبّلها حامداً ربه على خَلْقها الكامل.

نَمَتْ شكرية كما تنمو أي طفلة حتى أصبحت في عامها الخامس، وكانت متعلقة بوالدها وتحبه كثيراً، وتتمنى أن يبقى بجانبها على الدوام، فقد كانت تنتظره يومياً وتُعلم جدتها عندما يقترب قدومه، معلنةً

حضوره قبل وصوله، ودون أن يلفت ذلك نظر جدتها، حتى كان يومٌ وشكرية تداعب جدتها، وفجأة صممت وجمد بؤبؤ عينيها قليلاً وأم صعب تنظر إليها، ثم انفرجت أساريرها وظهر على وجهها البِشر معلنة اقتراب حضور والدها، مما دفع جدتها التي ابتسمت ووصفت حفيدتها بأن لها حاسة شم خاصة بوالدها. وفعلاً دخل صعب البيت وحمل ابنته التي كانت تنتظره أمام الباب، ودخل الغرفة وهو يحملها فاستقبلته زوجته، وقبّل يد والدته التي قالت: إنها تستغرب تصرف شكرية، فقد شاهدتْها تُنصت قليلاً قبل حضورك، ثم تذكُر قربَ حضورك مهللة والبِشر يرتسم على وجهها، وكأن رائحتك تسبقك إليها، فرد صعب إن لشكرية وقعاً خاصاً في نفسي.

وفي أحد الأيام كانت علياء ترضع وليدها شاكر، وأم صعب تخيط أحد ملابسها، والاثنتان تتجاذبان الأحاديث وتداعبان شكرية التي تنتقل بين الاثنتين، وعندما ورد ذكر الأطفال، ذكرت علياء بأنها وجدت فرقاً بين شكرية وشاكر، فشاكر مريح في رضاعته ورعايته ونومه، بينما شكرية مختلفة، فرضاعتها مختلفة، ونظراتها لها طابع خاص، وكانت تجد صعوبة في التعامل معها، حتى إنها تستهين رغم صغر سنها بتصرفات والدتها. ثم ذكرت لها حادثة قريبة العهد إذ كانت شكرية تطلق دميتها في الهواء مرات عديدة فخافت والدتها من أن تصيب الطفل أو آنية من الأواني الزجاجية، فوجدت من الأفضل إخفاء الدمية، فأخذتها منها وأودعتها في صفيحة الجريش (البرغل) في المطبخ، وعادت لتجد ابنتها

تبحث عن الدمية، فردت عليها والدتها بأنه (أكلها العَوّ) وتملّك الأمَّ الريبةُ والخوفُ عندما حملقتْ شكرية في وجه والدتها، وجمد نظرها قليلاً ثم تركت والدتها وعادت بعد قليل تحمل دميتها بيدها، فردت أم صعب بالقول: لعل الطفلة قد شاهدتكِ عند إخفاء الدمية، وأصرت علياء على أن شكرية لم تشاهدها عندما غادرت الغرفة، وقد أخفت الدمية بين ملابسها.

وكانت نظرات أم صعب خليطاً بين التصديق والشك، وهي تعرف بأن كنتها المخاوية تعلم جيداً أن ابنتها خليط بين الجن والإنس، لهذا فإنّ أمَّ صعب لم تُعر الأمرَ اهتماماً كبيراً.

وفي أحد الأيام كانت أم صعب تتذوق طعام الغداء في القِدر بعد نُضجه، وقبل سَكْبه في الأطباق بانتظار حضور ولدها صعب الذي تأخر قليلاً، وكانت شكرية تلازم جدتها في المطبخ عندما سمعت جدتَها تكلم نفسها بعد مشاهدة ساعتها، بأن تأخر صعب اليوم قد تجاوز الحد، والتفتت إلى شكرية تحدثها مازحةً بأن تنادي والدها وتُعلمه بأن الجوع قد عضهم.

لاحظتْ أمُّ صعب تغيُّرَ نظراتِ شكرية التي تحولت عنها وثبّتت عينيها بشكلٍ أثار حفيدتها، فاقتربتْ منها وهي تناديها، ولكنّ نظرات شكرية بقيت متسمّرة في اتجاه واحد، مما دفع جدتها إلى هزها بشدة فانتبهت الطفلة وقالت إن أباها مشتركٌ مع رجالٍ آخرين بصب الماء نحو إحدى الغرف.. شعرت أم صعب بالخوف وتركتِ المطبخ وفمُها يتمتمُ

بسم الله بسم الله مهرولة نحو غرفتها، فتبعتْها شكرية تناديها مما دفع الجدة إلى الإسراع والنظر خلفها نحو حفيدتها وهي تقول: (لا تآذونا ولا منآذيكم) وأغلقت باب غرفتها تاركةً شكرية تناديها. ثم جلستِ الطفلةُ قرب الباب برهة، وعندما لم تفتح لها جدتها الباب دخلت غرفة والدتها.

عاد صعب متأخراً بضع ساعات عن موعده، وآثارٌ غريبةٌ وأوساخٌ على ملابسه، فسألته والدته عن سبب تأخره مشيرةً إلى ملابسه والأوساخ العالقة بها؟ فشرح لهم اضطرارَه مع زملائِهِ في الدائرة إلى إطفاء حريقٍ حصل في غرفة محفوظات المديرية، بواسطة أوعيةٍ وسُطول ريثما حضرت سيارات الإطفاء.

تركت علياء وليدها على السرير وطلبت من زوجها أن يتبعها إلى الحمام، بينما بقيت شكرية نائمة وجدّتُها تنظر إلى وجهها والأفكار تراودها عن قدراتٍ غير عادية تملكها هذه الطفلة وأمها أيضاً، وأصبحتْ تحسِب حساباً كبيراً لعلياء وتعاملها على هذا الأساس دون أن تعلم بأن علياء لا تملك شيئاً وقررت إبعاد شكرية عن غرفتها، وعدم السماح لها بالنوم معها.

حتى كان يومٌ زارتْها فيه أمُّ سليم إحدى صديقاتها، وكانتا تتحاوران في غرفة الضيوف، وشكرية كعادتها ملازمة جدتَها تسمعُ حديثهما؛ عندما تطرقتْ أمُّ سليم إلى سرقةٍ ألمتْ بهم، ذاكرةً التاريخ واليوم، والحزنُ بادٍ على محياها، وأم صعب تستفسر وتدقق بكلام صديقتها، عندما لفت نظرَها تركيزُ نظراتِ حفيدتها على أم سليم،

فوجدت نفسها تحمل شكرية وتخرج بها متجهةً نحو غرفةِ نوم والدتها خجلةً منها.

وأثناء نقلها سمعت من حفيدتها كلاماً أوقفها قبل الوصول إلى غرفة نوم كَنَّتِها، فطلبت منها إعادة ما قالت، فأعادت شارحةً لها كيف تمت السرقة، ومكان المسروقات، مما حدا بأم صعب إلى إدخالها غرفة نومها، ودققت معها وحصلت على كل ما تريد الحصول عليه حول السطو وملابساته، ثم حملت شكرية وأدخلتها غرفة نوم والدتها قائلة لعلياء (اربطي الجدي بالعامود) ثم عادت إلى ضيفتها معتذرة عن طول غيابها، وطلبت من صديقتها إعادة ما حدث على مسامعها مرةً أخرى، مدّعيةً بأنها لم تستوعب الأمر جيداً لوجود حفيدتها معها.

بدأت أم سليم بشرح موضوع السرقة مرة أخرى، وهي مستعدةٌ للكلام بهذا الموضوع إلى الغد.

وكانت أم صعب تبرز اهتمامها وكأن الموضوع يخصها، حتى وصلت أم سليم إلى النهاية، وأثناء النقاش عرفت أم صعب بأن ما تمت سرقته قد يصل إلى مبلغٍ كبير، ويشمل ذلك الأموالَ المنقولة والعُمُلاتِ إلى حدود ثلاث مئة ألف ليرة. وهنا بادرتها أم صعب موضحة بأنها قادرة على كشف السارقين وتحديدِ مكان إخفاء المسروقات، وكانت لَهْفةُ أم سليم شديدة، حتى إنها وعدتها بدفع مبلغ قد يصل إلى عشرين ألف ليرة مقابل كشف السارقين واستعادة ما سرقوه.

بدأت أم صعب بشرح ما سمعته من شكرية، موضحةً أوصافَ السارقين، وكيفيةَ اقتحام البيت، وأمكنةَ إخفاء المسروقات.. وكانت عينا أم سليم تلتمعان عجباً واستبشاراً، لأن الذين وصفتْهم أم صعب أقرب الناس إليها، ولا يمكنها الشك بهم بتاتاً، فهم زوجُ أختها وولده. وما عزَّزَ شكوكَها أمكنةُ إخفاء المسروقات. وقبل أن تقوم أم سليم من مكانها أخذت أم صعب منها عهداً بكتمان سرها، موهمةً صديقتَها بأن (الأسياد) سينالون منها إذا أفشت السر.

غادرت أم سليم منزل أم صعب بعد أن أعطتها مبلغاً من المال، واعدةً إياها بدفع الباقي بعد أيام، وانطلقت مسرعةً إلى بيتها، وأعلمت زوجَها الذي شكّك في أول الأمر، ولكنه اندفع وأبلغ الشرطة وكانت النتائج إيجابية فقد تم استعادةُ المسروقات.

علمت أم صعب بنجاح العملية، واستعادة أم سليم كلَّ ما سُرق منها كما حددته شكرية، بالأمكنة واللصوص وطريقة السرقة.

قررت أم صعب نقل شكرية إلى جانبها، فهيأت لها مكاناً للنوم في غرفة نومها، كما بدأت باستمالتها وتنفيذ كامل رغباتها حتى تكسب وُدَّها، محاولةً تحويلَها إلى تابعٍ لها لتنفيذ رغباتها، وبدأت تبالغ بتدليلها ورعايتها لكيْ تبقى بقربها، كما جلبت لها ألعاباً زيادةً عما ترغبه.

وفي غمرة ذلك بدأ الناس يتوافدون على أم صعب راغبين بحل مشكلاتهم، وأصبحت أم صعب توصَف بالسيدة. واتبعت أم صعب طريقةً لتمكين شكرية من رؤية زبائنها دون أن يلحظوا نظراتها لهم، إذ

حولت غرفة نومها إلى مكان يؤمه الناس لحل مشاكلهم، وقسمت الغرفة نصفين: نصفٍ منير ونصفٍ دون إنارةٍ بحيث تجلس شكرية بالجانب المعتم، وعند انتهاء صاحبة المشكلة من سرد مشكلتها، تحدد لها أم صعب موعداً للعودة بعد ساعة، وبعد عودة صاحبة المشكلة تكون شكرية قد لقّنت جدتها ما شاهدته، وكانت أكثر النتائج مضمونة، حتى أصبحت أم صعب تتلقى أموالاً وفيرةً من عملها هذا.

خاضت أم صعب أول تجربة لها مع السلطة، فقد اتُّهم صُعب بحرق محفوظاتِ دائرته، وكان من شهود إثبات تورطه رئيسُه المباشر أبو مروان، الرجلُ الذي كان صعبٌ يُجله ويحترمه، وكانت أم صعب تجد صعوبة في مراجعته، حتى إنه أساء معاملتها وطردها مستعيناً بأحد موظفيه، وأمر آذنَ الدائرة بعدم استقبالها أو إدخالها مرة أخرى لمقابلته، وكان همها الكبير أن تعرف مكانَ توقيف ولدها حتى المحامي الذي كلفته عجز عن مساعدتها، والمساعدة الوحيدة التي حصلت عليها هي معرفة رقم هاتف ضابط شرطةٍ كبير للاتصال به في حال توصلها إلى ما يُثبت عدم تورط ولدها بحرق غرفة المحفوظات.

عادت أم صعب إلى منزلها بعد يوم مرهق وعصيب وقد أخذ التعب منها كلَّ مأخذ، وحين راحت تسرد لكنتها علياء ما حصل لها خلال الأيام التي كانت تبحث فيها عن ولدها أبدت علياء استعدادها لتقديم كل ما تملك لإنقاذ زوجها، ولفت نظرَ الجدة استماع شكرية لحديثها باهتمام، فقالت في نفسها متعجبة كيف غَفَلت عن قُدُرات شكرية؟! وما الذي أنساني استخدام شكرية لحل هذا اللغز...

قامت أم صعب لساعتها، وأمسكتْ يدَ شكرية وأخذتهـا معهـا إلى غرفتها، وبعد أن اطمأنت إلى عدم وجود أحد غيرهما. طلبت من شـكرية البحث عن أبيها، وحددت لها تاريخ حرق غرفة المحفوظات، وما هـي إلا لحظات من تركيز شكرية حتى تم حل اللغز وحصلت أم صعب على معلومات لا تخطرُ على بال.

خرجت أم صعب من دارها متجهـة نحو أقرب هـاتف، واتصلـت بالعقيد راتب وأعطته على الهاتف جزءاً مما علمت، فطلب منهـا البقـاء في مكانها بعد أن حددت له مكانها، مرسِلاً أحـد عنـاصره بسيارة لجلبهـا، وأخذَ منها المعلومات التي قدمتْها بهدوء وتفصيل، وهو في ذهول مما لمسـه من دقتها وثقتها بأقوالها. أمر العقيدُ الملازمَ أسعد بتفتيش مقصف الدائرة، وجَلْب صفيحةِ سُكَّر في خزانة المقصف، وجَلْـب عـامل المقصـف أيضـاً، مهـدداً أمَّ صعـب بـأن أي خلـل في تلـك المعلومـات ستسـبب لهـا السجن أيضاً.

وكم كانت دهشة العقيد كبيرةً عندمـا أنهـى التحقيق، وثبـت لـه تورطُ أبي مروان وموظفِ المحفوظات وعاملِ المقصف كما وضحت له أم صعب، وحاول العقيد جاهداً لكي تُعلمه بمصدر معرفتها بتلك المعلومـات وكيف عرفت تفاصيلها دون جدوى، فتركها بعد أن يئس منها.

وفي اليوم التالي كانت الأسرة تحتفـل بخروج صعـب مـن السـجن، ونظراتُه لم تفارق والدته التي أنقذته من سجن محقق، وهو لا يجـد تفسـيراً لما حدث، حتى إن العقيد وَعَده بمكافأة مجزئة إذا تمكن مـن الحصـول مـن والدته على طريقةِ حصولها على تلك المعلومات.

عادت الحياة الرتيبة إلى الأسرة، واستمرت أم صعب باستخدام شكرية لحل مشاكل المراجعين لمدة تزيد عن ثماني سنوات، كانت شكرية خلالها تسمع التحذير المستمر من جدتها بعدم كشف قدراتها لأحد، حتى أصبحت حساسةً وحذرةً وكتومة، وتنفذ طلبات جدتها فقط.

وفي مساء أحد الأيام كانت شكرية مهتمة بدروسها، وجدتُها تقوم بترتيب غرفتها بعد توديع آخر زبائنها، لفتِ نظرَها تركيزٌ تقوم به شكرية وهي تضحك، وعندما سألْتها جدتها عن السبب أجابتْ بأن حواراً يجري بين والدها ووالدتها مستهدفين ممارستك مهنة الشعوذة، ووالدي يدافع عنك بينما والدتي غير موافقة على ما يجري في البيت.

وبينما كانت شكرية تشرح لجدتها ما تسمع كانت أم صعب تنظر إلى حفيدتها، وقد أدركت أن حفيدتها غدت تسمع أيضاً مع الرؤية، فغادرت إلى غرفة كنتها وأجرت حواراً معها، عرفتْ من خلاله صحة ما سمعته شكرية، وأدركت مدى قدرات حفيدتها، وكان فرحُها كبيراً، فهذا سيساعدها على تحويل عملها نحو حماية مريديها من تسلط السحرة وكشف أسرارهم، وعندما سألت حفيدتَها، منذ متى أصبحتِ تسمعين مع الرؤية؟ كان الرد: عندما كنتُ أهتم بإرضاء زميلاتي في المدرسة ومعلماتي، فكنت أسعى إلى أن أسمع ما يجري، وأنفّذ ما يرغبون، حتى نِلتُ محبة الجميع، وقد نَمَتْ مع الأيام حتى أصبحتُ أسمع بوضوح.

خاضت أم صعب أولَ مواجهاتها مع السحرة والمشعوذين، عندما حضرت أم سعد تشكو إليها من ضيقٍ يلازمها، راجيةً من شيختها

تخليصَها من هذا الضيق الذي بدأ يوم الجمعة، ثم بدأت بذكر من زاروها في ذلك اليوم، وغابت أم سعد ساعة ثم عادت لتجد شيختها ما زالت في مجلسها على طراحتها والبخور يتصاعد من الموقد (المنقل) والضوء الخافت حولها، فدخلت منحنية كعادة زوارها، وقبلت يديها، وجلست قبالتها باحترام، ثم بدأت أم صعب تسرد لها ما وافاها به (الأسياد) وأعطتها وصفاً دقيقاً للسحر ومن جلبته والساحر الذي قام به، فانتفضت أم سعد وقد عرفتِ الساحر وهو حاييم اليهودي، ومَن وضع السحر نادرةُ زوجة ابنها، وقد زودتْها أم صعب بثلاث كلمات سحرية اختص بها هذا اليهودي، وعند ذكر هذه الكلمات له تنجو من تأثير سحره، وحذرتْها من ذكر اسم أم صعب أمامه.

استشاط حاييم اليهودي غضباً وغيظاً عندما ذكرت له أم سعد كلماته السرية، وقام من على طراحته يحطم عنا قيده المتدلية من السقف، ورجاها عدم ذكر كلماته مرة أخرى واعداً إياها بإنهاء ما قام به ضدها، وخرجت أم سعد من عنده مزهوةً بانتصارها، شاعرةً بأن أم صعب هي الأقوى وهي الشيخة التي تملك الأسياد الأقوياء.

وفي أحد الأيام كانت شكرية في ا لمنزل تراجع دروسها، وكانت جدتُها في الُخارج، حضر اثنان من الرجال يسألون عن أم صعب بوصفها (ستّنا الشيخة)، فكان رد شكرية أن طلبت منهم الجلوس، وأنها بصدد إعلامها بحضورهم، وحدقت نظرها قليلاً عليهم ثم خرجت لتلتقي جدتها في طريقها إلى نُزُلها، فأعلمتها بأن في نُزُلها اثنين من رجال الأمن

بلباس مدني، فاضطربت أم صعب خوفاً ورهبة، فعاجلتها شكرية بأنهم جاؤوا يطلبون مساعدتها في فقدان بارودة من مركزهم وهم في حيرة من أمرهم. فانبسطتْ أسارير أم صعب ودخلت نُزُلها فاستقبلوها ببرود ظاهر، ففاجأتْهم أم صعب بأنهم من رجال الأمن جاؤوا من أجل بارودة فُقدت من مركزهم، فتغير موقفهم وقد هالهم ما سمعوه، فجلست أم صعب وبقربها حفيدتها تسمع سرد المقدّم الذي قدّمه زميله بقائد المنطقة للشرطة.

طلبت منهم أم صعب تحديدَ يومِ فُقدانِ البارودة وذكر أسماء زوار ذلك اليوم، وبعد أن انتهوا طلبت منهم العودة بعد ساعة. وكم كانت دهشتهم كبيرة عندما أعلمتْهم بتفاصيل سرقة البارودة، وأوصاف السارق، ومكان إخفائها... وعاد المقدم جميل بعد أيام ليشكرها، طالباً منها عدم ذكر الحادثة، ثم عرض عليها مساعدته بالكشف عن عصابة سرقة تمارس نشاطها منذ سنين، دون أن يتمكن أحد من وقفها عند حدها. طلبت أم صعب منه مكان ويوم آخرِ سرقة، وعقدت لسانَه الدهشةُ عندما أعطته كل الخيوط التي توصله إلى اللصوص، واستمر التعاون بين المقدم جميل وأم صعب عاماً كاملاً، تمكن خلاله المقدم جميل من تنظيف منطقته من المجرمين واللصوص، كما وصف لها احترامَ رؤسائه له، وأنه نال ترفيعاً مبكراً... وقدم لها بطاقة حديثة بوصفه العقيد جميل والابتسامةُ لا تفارقه.

وقد استغلت أم صعب علاقتها بهذا القائد فأصبح لها سلطةٌ تتجاوز كثيراً من القوانين واللوائح، وموظفو منطقتها يحسِبون لها حساباً، وبفضل ذلك تمكنت من شراء أرض، وحصلت على الترخيص اللازم لإقامة دارة خاصة بها.

بعد فترة علمت أم صعب بنقل العقيد جميل من المنطقة وتعيين بديل عنه، فتنفست الصعداء، منهيةً حقبةً من الزمان كانت فيها أسيرة له ولطلباته، ولرغبته الدائمة ببقاء علاقته بها مكتومة، فقد تحررت بعد مغادرته من أي علاقة تربطها برجال الأمن.

احتفلت أسرة أم صعب بنجاح شكرية، ونيلها الشهادة الإعدادية بتفوق بارز، وحصولها على مكافأة الدولة لها، لأنها كانت الأولى على أترابها جميعاً. وكان احتفالاً شارك فيه كثير من معلماتها وزميلاتها بالإضافة إلى أسرتها، وكان البذخ ظاهراً في ذلك الاحتفال، وكانت جدتها أكثر المحتفلين فرحاً بها، وهي التي كانت لولب الحفلة، وكلمتها التي ألقتها كانت محورَ تفكير شكرية في سرها، واصفةً جدتها بالكاذبة الدجالة، كما أن تفوقها كان يعتمد على ما وهبها الله من خوارق، حتى محبة زميلاتها ومعلماتها الظاهر كان دورُ الخوارق بارزاً فيها، فمعرفتها لميول وتطلعُات الآخرين يُكسبها القدرة على استمالتهم وتحسين العلاقة بهم، بوصفها الواعية الناضجة المريحة، وليس لجدتها أي دور إيجابي بهذا لتفوق.

فاجأت أمُّ صعب حفيدتَها بالانتهاء من بناء دارتها الجديدة، التي كان لأفكارها وإشراف وتصميم أحد مريديها من المهندسين المعماريين الذائعي الصيت الفضلُ في ذلك، بادئةً بزيارة المنشأة المخصصة للعمل، بمدخل ضيق له ستارة سوداء، تحرسها امرأةٌ بلباسٍ شيطاني، ويتألف من جلباب أسود بأكمام عريضة، عليها صورة اثنين من الشياطين، وغطاء رأس مفتوح من الأمام مرسوم عليه حية تنفث سماً، وكان المدخل مليئاً بالأنوار الكهربائية الخافتة والملونة والسراج الزيتي، وبعد تجاوز الممر تصل إلى قاعة واسعة يتوسطها موقد ضخم تتصاعد منه رائحة البخور، وفي جنبات القاعة أربعةٌ من تماثيل الأفاعي فاغرة أفواهها، يخرج من فمها ضوءٌ بأربعة ألوان، وفي صدر القاعة يظهر مجلسٌ مرتفع عن القاعة تصعد إليه بأربع درجات، وعلى يمين المجلس فتحتان وعن يساره فتحتان مغطاة بأربعة أردية، ومحروسات بأربع نساء، على كل فتحة امرأة ترتدي لباساً يشبه لباس حارسة المدخل، وهي تحرس الجني الموجود بالداخل الذي ينتظر الأمر من سيدته.

صعدت شكرية خلف جدتها الدرجات الأربع للوصول إلى المجلس، فلم تجد لها مكاناً. فالمجلس لا يتسع إلا لشخص واحد جلست فيه جدتها، وشعرت أم صعب بالحيرة تبدو على حفيدتها، وأنها بصدد التركيز عليها لتعرف مرادها، فأسرعت الجدة وصفقت بيديها فاختفت جميع المظاهر التي رأتها، وأطفئت الأنوار واختفت النسوة وأُغلقت الأبواب، ولم يبق بالمنشأة سواها هي وجدتها، وهنا التفتت أم صعب إلى حفيدتها مزهوة بما حققت، وأنها أشرفت على كل صغيرة وكبيرة.

ثم أعلمتها بأنها ما زالت في أول الطريق وأن ما شاهدتْهُ لا يوازي ما ستشاهده الآن. ثم قامت أم صعب من مقعدها وتجاوزته ووقفت خلفه داعية حفيدتها لتتبعها، وأشارت بيدها إلى بلاطة ضيقة في الزاوية وأدخلت رأس قدمها وضغطت دافعةً البلاطةَ نحو الحائط فانفتح باب بارتفاع متر وعرض متر، دخلت منه أم صعب وتبعتها حفيدتها، فأدهشها وجود غرفة كبيرة ملأى بالأجهزة والأزرار الكهربائية، وجالت ببصرها فلم تجد لها باباً أو نافذة، وشاهدت أربع فتحات ضيقة، اثنتان من سقف الغرفة واثنتان خلف مقعد جدتها نحو الخارج، وقُبالة الفتحتين مقعد يشبه تماماً مقعد جدتها ويقابله حاكٍ (مسجل ناقل) مثبَّت في الحائط.

انبرت شكرية وأعلمت جدتها بجهلها بكل ما رأت، وهنا شرحت أم صعب لشكرية الأسباب التي دفعتها للخروج من نُزُلها الذي ينقصه كل مظهر من مظاهر السحر، كما أنها ستتلقى منها ما تحتاجه لحل المشاكا وهي جالسة على هذا الكرسي، لتلقّن جدتها ما تريد تلقينه لحل مشـ المراجعين فوراً دون تأجيل وذلك من خلال الحاكي المثبت أمامها، والفتحتان قرب الحاكي لرؤية أصحاب المشكلة. وكل شيء صُمم أثناء البناء والتجهيز، وكانت تنفذ الأفكار المتجددة عند كل تقدم يحصل بالبناء، وتُجرِي التجارب على ما تصممه لتضمن نجاحه في أداء مهمته، حتى إنها هدمت وأعادت التشييد لأماكن كثيرة، حتى تدريب النساء ولباسهن أشرفت عليه بنفسها، أما فتحتا السقف فهما مخصصتان للتهوية وتغيير الهواء فقط.

عرفت شكرية بأن هذه الغرفة مخصصة لها، فمن خلالها ستشاهد صاحب المشكلة، وتلقّن جدتها الحل من خلال الحاكي المثبت أمامها، وتبقى في مكانها مختفية عن الجميع. ولكن ما شغل بالها هو أن المدخل الوحيد سيكون عائقاً، وستكون كالسجينة ما دامت جدتها في مجلسها، عندها قامت جدتها واتجهت نحو حائط على يسار الجالس، ووصلت قرب قنديل مثبت به، فرفعت القنديل وتركته متدلياً فظهر في قاعدته أربع نقط سود ونقطة حمراء، فوضعت أصابعها على النقط السود،ووضعت إبهامها على النقطة الحمراء وضغطت فسمعتا صريراً خافتاً، وظهر مقبض باب قامت أم صعب بتحريكه لتجد باباً، ففتحته فظهر ممر فيه بابان باب على يمينه وباب على شماله، وقُبالتَه مدخلٌ يصل إلى الدارة التي سيقيمون بها.

أما الأبواب الثلاثة فهي حمامات لقضاء الحاجة، كما أن هناك قنديلاً آخر مقابلَ القنديل الأول لفتح الباب من الممر أي من الخارج. أغلقت أم صعب الباب، وأعادت القنديل إلى مكانه، فاختفى الباب وتبعه مقبضه، وعاد الحائط كما كان، وشكرية مدهوشة بهذا الإنجاز الذي ما رأته إلا جاهزاً.

واستمرت جدتها بالتوضيح فانتقلت إلى الحائط قُبالتَها واقتربت من قنديله المعلق أيضاً، وكل من يراه يدرك أنه للإضاءة وليس له استعمال آخر، ولكن أفكار أم صعب وتطلعاتها حوّلته إلى استعمالات أخرى لا تخطر على بال.

تقدمت أم صعب من القنديل، وفعلت ما فعلته بالقنديل الأول، وشكرية لا تخفي دهشتها مما ترى إذ ظهر المقبض ثم ظهر الباب، وبعد فتح الباب التفتت الجدة ودعتها للنزول، فظهر سلّم بست درجات، هبطت الاثنتان لتجدا باباً على اليسار وممراً قُبالتَهما، ففتحت أم صعب الباب، ودخلتا غرفة تبريد فيها أطعمة مبردة ومحفوظة.

التفتت أم صعب إلى شكرية، وأعلمتها بأن ما حفظته في تلك الغرفة هو لضمان حماية حياتهما من الضياع في حالات الخطر، موضحةً بأنها تنوي التوسع في عملها، وهذا التوسع سيوجد خصوماً خطرين. وهناك احتمال بأن يُعدَّ عملُنا مخالفاً للقانون.

أغلقت أم صعب الغرفة وسارت في ممر تحت الأرض مسافة عشرين متراً، وشاهدت شكرية كثيراً من القناديل المنتشرة بهذا الممر حتى وصلت إلى آخره، وأشارت بيدها إلى قنديل وهي تبتسم، فعرفت شكرية بأن هناك مفاجأة جديدة قد تظهر بعد معالجة هذا القنديل.

فعلت أم صعب بالقنديل ما فعلته بالقناديل السابقة، فظهر مرآب سيارات فيه ثلاث سيارات إحداها جيب، فعرفت شكرية بأن المنشأة على اتصال بالمرآب بواسطة ممر سري. ثم دخلتا المرآب إلى باب المرآب الخارجي، ففتحته أم صعب وخرجتا إلى حديقة دارتهم، وسارتا في ممشى علوي يوازي الممر السفلي.

صعدت أم صعب تتبعها شكرية ست درجات، وفتحت باباً نحاسياً مزركشاً لتدخل منزلاً مفروشاً مهيأً للسكن، يبدأ بصالون مستطيل أوله عند الباب الرئيسي للدارة، وآخره عند باب الحديقة الذي دخلتا منه.

وكان فرح شكرية شديداً عندما شاهدت غرفة نومها، وغرفة خاصة لدراستها، وغرفة جلوس وغرفة ضيوف ثم بدأت تتجول في أرجاء الدارة، وشاهدت الممر الموصل إلى الغرفة السرية، ثم دخلتا غرفة نوم جدتها، وهي تحوي كثيراً من النفائس المهداة إليها مع أثاث ورياش في الغرفة لا يمكن وصفه.

علمت شكرية من جدتها بأنهما لن تعودا إلى بيتهما القديم، وأن جميع حوائج شكرية قد جُلبت ووضعت في غرفة نومها، وأن جدتها كانت تستغل غيابها في المدرسة لتقوم بكل ما قامت به خلال السنين الثلاث الماضية، وكانت سعيدة لسعادة شكرية بهذا الإنجاز.

بدأت أم صعب تطبق أسلوباً جديداً في العمل، فقد أقامت مكتباً بمدخل المنشأة لتسجيل الزائرين وتحديد مواعيد الزيارة، كما قررت رسمَ تسجيل يُدفع عند التسجيل ويوزع على عاملات المنشأة، ويحدد بموجبه يوم وساعة الزيارة، ومَن يَحين دوره لمراجعة الشيخة يدخل ماراً بالمدخل الضيق، فيشاهد النساء والعاملات بأرديتهن الشيطانية، والأنوار الخافتة وتماثيل الأفاعي مع رائحة البخور المتصاعد، حتى يصل وهو على حال من الرهبة تجعله أسيراً مطواعاً للشيخة، يجثو بعدها على ركبتيه في المدرج وعلى الدرجة الأولى، ثم يضع مبلغاً من المال في حفرة بين أقدام أم صعب، ثم يبدأ بسرد مشكلته، ويترافق الرد باهتزازات صوتية وكهربائية، وتقوم شكرية بتلقين الحلول الفورية لجدتها، كل هذا مكّن أم صعب من أسر قلوب المراجعين، واستمرت على ذلك منفذة رغبتها، مستمتعة بما

تفعله، فخورة بما أنجزت، وعدد المراجعين في تزايد حتى أصبح وقتُ أمِ صعب بوجود شكرية لا يفي بالعدد المتزايد من المراجعين، فقد كانوا ينتظرون أياماً وأسابيع ليَحين دروهم وزيارتهم، وازدحام جدول المواعيد يثلج صدر أم صعب، ويضعها في مصاف السحرة المبرزين، واستمر نشاطها سنين دون أن يعكر صفوه أحد.

احتفلت أسرة أم صعب بنجاح شكرية، ونيلها الشهادةَ الثانويةَ العلمية بتفوق، وكان الاحتفالَ الأول الذي اشترك فيه أناسٌ من خارج الأسرة ومن الهيئة التدريسية لشكرية، مستغلةً المناسبة لإظهار مكانتها بين الناس على مستوى واسع، فقد جلستْ في صدر الصالون، وكان الداخلُ يجد نفسه مضطراً للسعي إليها ماراً بكامل الصالون حاملاً هديته حتى يصل إليها، فمنهم من يُقبّل يدَها، ومنهم من ينحني احتراماً لها، واضعين ما يحملونه من هدايا بين يديها، مباركين بنجاح حفيدتها، طالبين مباركتها ودعاءها.

في خضم ذلك كله فوجئت أم صعب بضابط كبير بزيه الرسميّ يقترب منها وينحني، فشاهدت نجومه المتألقة على كتفيه فأدركت بأنه قد رُقّي إلى رتبة جديدة وأصبح عميداً في الشرطة، هنأ الضابط شكرية بالنجاح، وهنأته أم صعب بالترفيع، وأفردت له مكاناً قريباً داعية إياه للجلوس، وبدآ يتهامسان بابتسامات لم تستمر طويلاً، فقد فوجئت أم صعب بعودة العميد جميل إلى طلباته السابقة، بمساعدته على كشف ملابسات قضية كانت تؤرقها وتركتْها حين ابتعادِهِ، وها قد عاد يطلب بجدية مُفرطة وإلحاح شديد لقاءً فورياً على انفراد.

بينما كان إخوة شكرية شاكر وماجد وعددٌ من النساء العاملات في المنشأة يقدّمون المشروبات، كانت أم صعب تحاول رؤية شكرية واستدعاءها لتكون إلى جانبها في تلك اللحظات الصعبة بوجود العميد الذي عكر مزاجها.

غادر العميد الحفل بعد أن حصل على موعد لقاء مع أم صعب بعد يومين الساعة السابعة في المنشأة وهي في مزاجٍ سيئ، وقد أنبت حفيدتَها لعدم بقائها بقربها. لمست شكرية خوفَ جدتها وقلقَها، رغم أن العميد طلب موعداً و لم يُفصح عن السبب.

بعد منتصف الليل كان قد غادر جميع المهنئين الصالون، ما عدا نساءَ المنشأة اللواتي يقمن بالتنظيف، وأسرةَ أم صعب بما فيهم ولدُها صعب وزوجته، ورجلاً ما زال جالساً على كرسي في ركن قصيّ من الصالون. قامت أم صعب من مكانها متثاقلة فتبعها أفراد أسرتها، وأثناء تجاوزها الصالون عرّجت على الرجل المتبقي ودَعَتْه لمرافقتها، ودخلوا جميعاً غرفة أم صعب، وبعد أن جلسوا جميعاً بدأت بسرد ما نوَتْ عليه، وقد أشارت نحو الرجل الذي جلس بقربها بالأستاذ سليم المحامي، موضحة بأن هديتها لشكرية بمناسبة نجاحها كان تسجيلَ دارتها ومنشأتها باسم حفيدتها.

فوجئ الجميع بما أقدمت عليه أم صعب، عندما علموا بأن أم صعب من الآن فصاعداً لن تملك شيئاً في تلك الدارة، وأنها مجرد ضيف لدى حفيدتها. وقد وضّح سليم المحامي ذلك بموجب الوثائق الرسمية الموثقة، ثم

غادر سليم المحامي الدارة يرافقه شاكر حتى الباب بعد أن أجاب على أسئلة صعب الكثيرة. عاتب صعب والدتَه وهزته مبادرتُها بشدة، وأجرى معها حواراً منفعلاً، وكانت أمه تحاول تخفيفَ الصدمة عن ولدها بإعلامه تركَها رصيداً جيداً في البنك، سيكون من نصيبه في المستقبل، وكانا آخر مغادري الدارة بعد نساء المنشأة اللاتي قمن بالتنظيف.

بينما كانت أم صعب تتألق في مهنتها كان مشعوذو المدينة يجدون فيها قاطعةً لرزقهم، ملتفةً عليهم مجتذبة زبائنَهم، وبدؤوا يجمعون شملهم للوقوف في وجهها، وهم الذين يستهينون بقدرات بعضهم، وكل منهم يسعى لإزاحة الآخر من طريقه، وقد وجدوا أن مصلحتهم تقتضي تعليقَ خصوماتهم والتصدي للخطر المُحدق بهم جميعاً، ودَعَوْا إلى اجتماعٍ يجمعهم ليجدوا حلاً لمعضلتهم. وكان حاييم اليهوديُّ رأسَ الفتنة فيهم، وفي بيته تم اجتماعٌ عاصف تكلم فيه المشعوذون، واصفين محنتهم ومتهمين أمَّ صعب بالخطر المهدد لمستقبلهم، في حين أخذ التطرف يظهر على تصرفات بعضهم، وكان حاييم اليهودي أكثرَهم اعتدالاً ورغبة بحل الإشكالات مع أم صعب بالطرق الوديّة، لعلمه بأنه أولُ من اكتوَى بقدرة أم صعب واصفاً خُدّامها من الجنّ بالأقوياء.

وانفضّ الاجتماع بعد الاتفاق على مقابلة أم صعب، وطرح الأفكار معها قبل الصدام بها، وتم تكليف الشيخ وهبة بلقاء أم صعب والاتفاق معها على تحديد موعد اللقاء.

تَمَّ لقاء العميد جميـل مـع أم صعـب في منشـأتها وعلـى مقعدهـا في الموعد المحدد، وقد اعترض العميد في أول الأمر على مكان الاجتماع، ثـم وافق بعد أن أقنعته أم صعب بأن المنشأة هي الأكثر ضمانـاً، ورغـم ذلـك قام العميد بجولة متفحصاً المنافذ ومغلِقاً بعض الأبواب، ولم يجلـس قُبالتهـا إلا بعد أن اطمأن إلى عدم وجود ثالث بينهما، في حين كانت شكرية في غرفتها السرية تسمع وترى.

بدأ العميد بطرح مشكلته واصفاً إياها بالخطيرة، ومحذّراً مـن إفشـاء ما سيطرحه وهو يلتفت يمنـةً ويسرة إلى أن دخـل في الموضـوع قـائلاً إن هناك عصابةً دولية قتلتْ أحد رجاله، واقتحمـت مكتبـه وحصلـت علـى وثائق هامـة تديـن العصابـة، وأنـه المسؤول الوحيـد عـن فقدانهـا، وأنهـا ستكلفه مركزه إن لم يستعِدْها.. وأبدت أم صعب تأففَها من هذه المهمـة وخوفَها من العصابات. وكان العميد يخفف من شكوكها ويطمئنها علـى سرّية الأمر حتى وافقت على التعاون معه طالبةً أيَّ دليل لتَدْخُل القضيـة. وهنا انبسـطت أسـارير العميـد وكشـف لهـا عـن وجـود معتقَـلٍ لديـه في مستشفى السجن، وأنه في غيبوبة نتيجة إصابةٍ حدثـت لـه أثنـاء اعتقالـه، مقترحاً عليها زيارته.

أبدت أم صعب معارضة شديدة محاولةً التملص من ا لمهمـة، واتّبـع العميد كافة السبل لإقناعها بزيـارة السـجين بالمستشـفى، وأن رؤيتـه لـن تستغرق سوى دقائق، ونتيجة لإصراره طلبت تـأجيل الزيـارة إن لم يكـن في إمكانه إحضاره إلى المنشأة يومين علـى الأقـل، ولكنهـا وافقـت أخـيراً على مرافقة العميد لزيارة سجينه في مستشفاه في اليوم التالي.

غادر العميد منشأة أم صعب تاركاً إياها في حَيرة وقلـق، وغـادرت منشأتَها إلى دارتها والتقت مع شكرية على العشـاء الـذي لم تمسّـه رغـم محاولات شكرية ورجائِها، تركت شكرية أيضـاً عشـاءها محاورةً جدتهـا واضعةً حلولاً عدة، ولم تصلا إلى نتيجة لوثوق أم صعب بـأن العميـد لـن يوافق على مرافقة شكرية لرؤيته فالجدة دون شكرية لا شيء، وهنا ردت شكرية بأنـه ليـس بـالضرورة مرافقتهـا بجسـدها وإنمـا سـترافقها وتشـاهد السجين معها بالنظر.

قفزتْ أمُّ صعب من مكانها وقبّلت شكرية وهي تضحـك، واصفـةً إياها بالمنقِذة والفتاة العظيمة، وأنهـا فعلـت خيراً عندمـا سـجلت دارتَهـا ومنشأتها باسمها، واستدارت نحو طاولة الطعام وبدأت بالتهامـه. وعندمـا انتهت من طعامها أخبرتها شكرية بأن أمراً آخر مُلِحّاً سيأتي دورُه قريبـاً، وأخبرتها بقرار المشعوذين وأن الشيخ وهبـة الـذي وضـع اسمـه في سـجل الزيـارات قـد جـاء دوره للمقابلـة بعـد غـد. تغيّر لـون وجـه أم صعـب وشعرت بأن الوقت غير مناسب، ونتيجةً للحـوار مـع حفيدتهـا وضعـت شكرية لجدتها برنامجاً لزيارة الشيخ وهبـة، واللقـاءِ المرتقـب للمشـعوذين، مخففةً عنها عناءَ ذلك اليوم الذي لم تجد أم صعب فيه الراحة، ثم صرّحت لحفيدتها لأول مرة بأنها بدأت تفكـر بـإغلاق المنشـأة والاسـتراحة حتـى تستعيد حماستها للعمل، وأنها بشوق للأخبـار المفرِحـة. أطرقـت شـكرية برأسـها وبـدأت تضحـك في سرّها مما أثـار حفيظـة جدتهـا وسـألتها عما يضحكها.

انبرت شكرية لتخبر جدتها بما كانت تُخفيه عنها بغية المفاجأة، ولكن حوادثَ ذلك اليوم العصيب قد دفعها إلى بثّ البِشارة المفرحة إلى جدتها، بقبولها طالبة طبٍ نفسيّ بالجامعة، بمنحةٍ مجانية وراتب شهري، وكان فرحُ جدتها لا يُعادِلُهُ فرح، ولكن بعد المناقشة وجدت أم صعب بأن حفيدتها ستداوم طالبة جامعية دواماً كاملاً صباحاً وبعد الظهر، مما يهدد الدوام الحالي للمنشأة، وأفصحت بصراحة لحفيدتها بأن الأيام القادمة ستكون صعبة، وأن المشاكل بدأت تأتيها من كل صوب.

وفي اليوم الثاني وحسب الموعد حضر العميد إلى منشأة أم صعب، ورافقته إلى مستشفى السجن وشاهدت السجين وهو مُسَجَّى، والعميد لا يُخفي قلقه من أن تخرج أم صعب وهو الأمل المتبقي له صفر اليدين.

ثم عاودت النظر مرة أخرى وانسحبت من الغرفة خارجاً، وتبعها العميد ملهوفاً ينتظر بصيص أمل، وسمعها تقول لو يفتح عيونه.. ثم التفتت إلى العميد طالبةً منه مغادرة المستشفى إلى منشأتها، وأن ما يريده بحاجة إلى وقت طويل. انفعل العميد طالباً منها تحديد الوقت، وأي تأجيل سيجعل الخطر يحدق به.. وبينما كان العميد وأم صعب يصعدان السيارة كانت شكرية تراقب السجين مستمرة في التركيز عليه، وفوجئت به ينظر حوله.. ثم يدخل الطبيب فيعود إلى سُباته، فينهرُه الطبيب ويسرع بإعطائه حقيبة صغيرة كانت مخبأة تحت ردائه الأبيض، ثم يُخرج خارطةً ويضعُها على السرير، ويبدأ الاثنان بمناقشتها مشيرين نحو فوهة الهواء في الغرفة، وشاهدت خريطةَ هروبه بوضوح.

وصلت أم صعب برفقة العميد إلى المنشأة وأسرعت الخُطا نحو مجلسها وصوت العميد يلعلع معترضاً على عدم إجابتها على أسئلته قبل وصولها، بينما كانت أم صعب تركز جلستها على مجلسها دون الاهتمام بما يقول وسمعت صوت شكرية من داخل غرفتها السرية وظهر عليها الاهتمام بما تقوله شكرية حتى انتهت.

التفتت أم صعب إلى العميد الذي ما زال في أسفل درجات مجلسها متذمراً يثرثر؛ عندما فاجأته بأن السجين يدّعي المرض وأنه بحالة صحية جيدة، وسألته عن وجود طريقة لكشفه، وكان جوابُ العميد والدهشة تلفُّه بأن الطرق عديدة لكشفه، لكن الطبيب المداوي يؤكّد إصابته، واستطردت أم صعب قائلة بأن خطة هروبه من السجن قد أُعدت وتم توقيتُها خلال الليلة القادمة، وفصّلت له الخطة وهو في ذهول كامل لما بدا من معرفتها مداخل المستشفى وأماكن تهويتها، واستمر بالاستماع إلى أقوالها وهو يشكك مقتنعاً باستحالة الهروب، ولكن تفصيل الخطة التي رَوَتْها أقنعته بإمكانية الهروب، فترك أمَّ صعب وخرج لا يلوي على شيء، فتبعته أم صعب مودعة حتى باب المنشأة وشعورُها بالفوز والخروج من الورطة أعاد إليها بهجتها.

عادت أم صعب إلى شكرية لتتأكد مما رَوَتْه لها، فزادت عليه بأن السجين هدّد وتوعد بالانتقام إذا تعرّف على أم صعب وهذا حدث بعد مغادرتكم غرفته. كما أن الطبيب المداوي، له صلة قوية بخطة هروبه.

تنفست أم صعب الصعداء بعد تأكيد حفيدتها، وبدأت بمناقشة اجتماع المشعوذين، في اليوم التالي، وفي الساعة المحددة للّقاء بالمشعوذين استقبلت أم صعب اثني عشرَ مشعوذاً وقد بهرتهم بمنشأتها ومجلسها والمعالم التي توحي بصلاتها القوية مع ملوك الجانّ وطغاتهم، ووجدوا أنفسَهم دون وعي يُبدون لها الاحترام والطاعة، وهذا وَضَع حاييمَ اليهوديّ في مكان لا يُحسد عليه، فقد اضطر إلى التصدي لأم صعب وحده، واتهامِها بالإساءة إلى المهنة وكَشْفِ خفاياها للزبائن، وعلى أثر ذلك بدأ كل مشعوذ ومشعوذة بالشكوى من قطع أرزاقهم، وإضعاف قدراتهم، وسحب زبائنهم. وحدَثَ بعض الهرج وارتفعت بعض الأصوات، وكادت أم صعب تُنهي الاجتماع، وشعر حاييم اليهوديّ بأن صبر أم صعب بدأ ينفد، وخاف من عدم اتّخاذ ما يخفف من تسلط أم صعب على الزبائن، وترْك المجال للمشعوذين لنيل حقوقهم في هذا، فقد عمل بجهد وأناة حتى تمكّن من ضبط الجلسة وبدأت المناقشة بهدوء.

وبينما كان المشعوذون يضعون المقترحات وينظمون طريقةً لعملهم؛ كانت شكرية ترصد أفكار من يتكلم منهم وتتمكن من معرفة كتاب السحر الذي يستخدمه، والطريقة المثلى لحركاته. وكان هذا الاجتماع من أغنى ماحصلت عليه شكرية، وكانت من الفرص النادرة التي استغلتها، وتمكنت من تسجيل كتاب كل منهم أو طريقة عمله دون أن يعلم أحد منهم بأن هناك شخصاً آخر يرصد تحركاتهم.

وتوصل المجتمعون آخرَ الأمر إلى وضع منهجٍ عملٍ يلتزم فيه الجميع، وقبل إقراره عرضت شكرية على جدتها عبر الهاتف اقتراحَ إقامةِ نادٍ للسحرة تكون منشأة أم صعب مركزاً لهذا النادي، وتجهيز لوحة توضع فيها صورة لكل عضو من أعضاء النادي، واتّخاذ قرار يمنع مزاولة المهنة إلا للأعضاء المسجلين وصورهم ضمن اللوحة. أُعجب الجميع بالاقتراح وسارعوا إلى إظهار موافقتهم، وسلموا أم صعب صورهم، وانفضّ الاجتماع وغادر المجتمعون منشأة أم صعب والابتسامة والرضا على وجوههم، بينما كان حاييم اليهودي يتساءل في قرارة نفسه عن السر، فشكْلُ أم صعب لا يوحي بأنها تملك الذكاء والفطنة التي ظهرت عليها، ويبدي امتعاضاً لظهور عجزه عن مواكبتها وخسارة مركزه المتميز بين المشعوذين، بينما خرجت أم صعب من هذا الاجتماع أكثر ثقة بنفسها، معتدةً بما حققت، مزهوة بانتصارها، متجاوزةً مشكلةً كانت تؤرقها، ولم تسأل شكرية عن بدعة النادي والصور، ولم تفهم مراد حفيدتها، ولكنها شعرت بسيطرتها من خلال ذلك وتواصلها الدائم بهم.

وفي اليوم التالي ودون سابق إعلام حضر العميد إلى منشأة أم صعب، وتم إدخاله دون موعد، مما حدا بأم صعب إلى قطع المواعيد وإغلاق المنشأة خوفاً ورهبة، واستقدمته إلى جانبها والابتسامة لا تفارقه، بادئاً حديثه بشكرها يشكرها ثم شرح لها ما حققه بعد خروجه من عندها أول أمس قائلاً.

خرجتُ بعد لقائي الأخير معـك يائسـاً، ولـولا تجـاربي الماضيـة لمـا صدّقت قصةَ هروبه، ووضعتُ خطـة القبـض عليه متلبساً، بإيهامـه بـأن أحداً لن يزوره بعد منتصف الليل، وقمت بـالتفتيش علـى جميـع فتحـات الهواء ووجدت فتحة هواء القبو قد أُزيلت مثبتاتهـا واختفـت، وشـككت فوراً بطبيبه الذي كان مناوباً في تلك الليلة.

وفي الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق بعد منتصف الليل بدأ بإزالـة مثبتات فتحـة هـواء غرفتـه، وبعـد دقـائق كـان قـد دخـل الفتحـة وأعـاد شبكتها كما كانت دون مثبتـات، ولحرصـي الشـديد وضعـت عنـد كـل فتحة هواء شرطياً.

أما القوة الأساسية فكنت على رأسها عند فتحة القبو، وكـان أحـد رجال الشرطة ينتظره أمام الفتحـة بلبـاس الطبيـب ووجهتـه نحـو الخـارج حسب خطة هروبه التي بلّغْتِني إياها.

وكم كانت دهشتنا عندما سمعنا صوت اقترابه من فتحـة القبـو، ثـم دفعه لشبكتها وخروجه يحمل مسدساً بكامل قوته وعافيتـه، واقـترب مـن الرجل ذي اللباس الأبيض الذي قفز نحوه ضارباً إياه ضربة فنيـة أسـقطت مسدسه من يده، وعاجله بضربـة أخـرى أصـابت فكّـه وأسـقطته أرضـاً، ودخلنا القبو واعتقلناه وصراخه يَصُمُّ الآذان، حينها تذكرت ستنا الشيخة وأفضالَها التي لن أنساها أبدا.

أعلنتْ أم صعب إغلاق منشأتها مدعيةً سـوء حالتهـا الصحيـة، ولم تفصح عن سبب الإغلاق الذي كان بسبب غياب شكرية بدوام الجامعة،

ويستمر الإغلاق حتى العطلة الصيفية، حيث استعادت أم صعب نشاطها مستغلةً وجود شكرية في الغرفة السرية لتنفيذ هوايتها، ومشاهدة الزبائن يتوافدون على منشأتها يقدّمون إليها الاحترام والتبجيل. وتصاب بالضجر والاكتئاب لدى اقتراب عودة حفيدتها إلى دوام الجامعة، وتعود أم صعب لوضع إعلان بإغلاق المنشأة مرة أخرى منتظرة العطلة الصيفية القادمة وهكذا..

استغلت شكرية وجود صور المشعوذين وبدأت بدراسة كل مشعوذ على حدة، وكانت تجد في عملها هذا متعة لاتجاريها متعة، فقد تمكنت من كشف أعمالهم والكُتب المعتمدة من قبلهم ووجدتهم لا حول لهم ولا قوة، مستغلين البسطاء من المجتمع الذين يقدمون المال والهدايا مقابل حصولهم على وعود براقة وأذى غير محسوب، واكتشفت شكرية بعد إنهائها دراسة المشعوذين الإثني عشر أنهم عبء على المجتمع وضررهم يتجاوز حدود الاحتمال، فهم يسببون الأذى للأُسر، ويفرّقون بين الناس، ويضعون العراقيل في مسيرة حياتهم، حتى لقد أصيب بعض الناس في عقولهم نتيجة تجاربهم المزعومة، وكان من النتائج التي توصلت إليها أن الشعوذة مرض اجتماعي خطير، والواجب محاربته بلا هوادة.

حضر العميد جميل إلى دارة أم صعب صباحاً بعد غيابٍ طويل، فاستقبلته شكرية وأدخلته صالون الدارة، وسألها عن دراستها وعلِم بأنها على موعد مع التخرج هذا العام، وسألها عن كونه من المدعوّين لحفل تخرجها فوصفته بأنه الأصل، ثم سألها عن جدتها، وعندما علم بأنها نائمة فوجئت بطلب إيقاظها وكأنه وليُّ أمرها.

امتثلت شكرية لطلب العميد، ودخلت غرفة نوم جدتها فوجدتها في سبات عميق، فنبهتها بلطف حتى صحت من نومها معترضة على إيقاظها، ولما أعلمتها بطلب العميد. إيقاظَها جلست في السرير، ووضعت نظارتها متأففة من حضوره إلى الدارة، ثم نظرت إلى حفيدتها تستفسر منها عن غرضه فأعلمتها حفيدتها بما اكتشفت، فزاد ذلك من تذمرها لحضوره وقامت ترتدي ألبستها وهي تثرثر.

خرجت أم صعب من غرفة نومها، واستقبلت العميد في الصالون استقبالاً أثار سخرية شكرية، فقد وجدت حرارةَ الاستقبال تفوق كل التوقعات، ولم تدُم تلك الحرارة، فقد طرح العميد ما جاء من أجله، وشاهد تبرُّمَ أم صعب من تلك المهمات الخطرة راجيةً إعفاءها، مدّعيةً المرضَ وإغلاقَ المنشأة، وهو يحضها على خدمة بلدها، وأنها كانت السبب في إنقاذ أرواحٍ وأملاكٍ كانت معرضة للخطر. ولما لم تجد أم صعب مناصاً وافقت على شرط أن تكون المرةَ الأخيرة، وبدأت تستمع وشكرية تراقبهما عن بعد، وذكر العميد قضية سجين في المركز متهم بالخطف وهو ينكر ذلك، والعميد مضطر للإفراج عنه، فأرتأى أخذ رأي أم صعب ليتأكد من براءته ويكون قد أرضى ضميره.

تركت أم صعب العميد معتذرةً بضع دقائق لارتداء ملابس الخروج، وعرّجت على حفيدتها لتستشيرها وكان رد شكرية جافاً، فقد حذّرتها، وعندما حاولت أم صعب طرح وجهة نظرها ردت شكرية بأنها حضرت الاجتماع وسمعت حوارهما وقبولها السريع، وأنها تفضّل ألاّ تقبل أبداً، واعتذارها أقلُّ خطراً ومسؤوليةً من قبولها.

غادرت أم صعب الدارة وانتقلت مع العميد بسيارته ودخلوا معاً إلى غرفة متطرفة بمركز الأمن، وبعد دقائقَ دخل عليهم بعضُ رجال الأمن مصطحبين معهم رجلاً قد فعل فيه الاعتقال فِعْلَه وهو في حالة يرثى لها. نظرت أم صعب متفحصةً وجه الرجل الذي بادلها بنظرات ملؤها التحدي وهز رأسه.

شعرت أم صعب بالخوف الشديد، فطلبت إخراجَها من الغرفة وإعادتَها إلى دارتها، ولبّى العميد طلَبها وعادوا معاً إلى دارة أم صعب التي طلبت منه انتظارها بضع دقائق، ودخلت إلى غرفة حفيدتها التي أبلغتها بهروب المشتبه.

خرجت أم صعب إلى الصالون وأبلغت العميد بهروب السجين بمساعدةٍ من سيارة صدمت سيارة الشرطة أثناء صعودهم إليها، وأوقعت اثنين منهم أرضاً، وفي الوقت نفسه، برزت دراجة نارية مسرعةٌ حملت السجين وفرت به.

لم يصدق العميد روايةَ أم صعب لأول وهلة، وبدأ يتلعثم ويردد كلاماً عن استحالة الهروب، ثم نظر إلى أم صعب التي استمرت بالتفاصيل دون أن تعبأ بما يتكلم، وأذهله رؤيتُها ما حدث وهي بعيدة عن المسرح، فانطلق مسرعاً وغادر الدارة وهو يسعى نحو مركز الأمن، ولم يَدُر بخلده إلا موضوع قدرات أم صعب غير المحدودة.

عادت أم صعب بعد مغادرة العميد لتجد حفيدتَها تؤنب جدتها بشدة على تسرعها بإبلاغ العميد بتفاصيل ستكلفها كثيراً، وحذرتها من

السجين الهارب، وأن خطره سيلاحق حياتها بشكل دائم، مما حدا بأم صعب إلى أن تهاجم العميد بشراسة، وأنه سوّد عيشها ووضعها وجهاً لوجه أمام عصابةٍ لا تتوانى عن القتل.

دخلت أم صعب غرفة نوم حفيدتها لتجدها منكبّةً على عمل كتابيّ باهتمام كبير، فدعتها إلى التوقف بعد تقديمها الامتحان النهائي، ونهضت شكرية واستقبلت جدتها وأبلغتها بأن ما بيدها يوازي شهادة، فهي بصدد الانتهاء من كتاب يشمل جميع كتب السحرة وأفكارهم، وأنها إذا فرغت منه فسيكون لديها أقوى كتاب في السحر.

حذرتها جدتها من اللعب بالنار وأبلغتها قدرتهم على إلحاق الأذى بها، وأنها بعملها هذا تكون قد تجاوزت الحدود. واستمرت المناقشة بين أخذ ورد، مما حدا بأم صعب إلى أن تتركها تفعل ما تشاء بتغيير مسار الحديث وسؤال شكرية أهي جاهزة لاستئناف العمل بالمنشأة؟، فردت شكرية بأن العمل مع جدتها قد انتهى، وأنها بصدد فتح عيادة لها في غرفة تسجيل الزائرين بمدخل المنشأة وإلغاء ما كانت تفعله جدتها طالبةً منها عدم تعريض مجرى ما بقي من حياتها للخطر.

خضعت أم صعب بعد جهد لاقتراحات شكرية، وأغلقت المنشأة وعادت تحيا حياة رتيبة في دارتها. كما قامت شكرية بتحضير عيادتها بعد نيل شهادتها بتفوق، وبدأت بمزاولة العمل بعد تعيين موظفة لاستقبال المراجعين في الصالون. مرّ عشرون يوماً على مزاولة شكرية العمل في عيادتها دون أن تحظى بأية مراجعة، حتى أخذ اليأس يتسلل إليها دون أن تجد حلاً مُرْضياً آنيّاً تخرج به.

ثم حدث ماكانت شكرية تحسِبُ حسابَه، فقد زارتها جدتها في العيادة وعلمت منها بالجمود الذي وصلت إليه، مما دفع أم صعب للعودة إلى نغمة فتح المنشأة مرة أخرى، وتذكير شكرية بالزبائن الكُثر والأموال الطائلة. وأثناء الحديث تمكنت شكرية من تغيير مساره عندما سألْتها عن وجهتها وهي بلباس الخروج، وقد أثارها رد جدتها بأنها ستعود بعد قليل ومشوارها بالسيارة ذهاباً وإياباً، ولم تقبل أم صعب اقتراح حفيدتها بمرافقتها، بدعوى أنها تركت لشكرية السيطرة على مسار حياتها، وخرجت وهي تصف حفيدتها بالتسلط ومعاملة جدتها وكأنها ابنتها.

خرجت أم صعب من عيادة شكرية، ودخلت الموظفة لمياء بعد خروجها بقليل لتجد شكرية غارقة في تفكيرها، ثم طلبت من لمياء مغادرة العيادة إلى بيتها، وأنها ستراقب الخادمة وتغلق العيادة بعدها ولكن لمياء أصرت على البقاء بقرب شكرية حتى انتهاء الخادمة. وأثناء ذلك قُرع جرس الهاتف واستغربت شكرية لأن أحداً لم يتصل منذ إغلاق المنشأة، فردت الموظفة واكفهر وجهها وأعطت الهاتف إلى شكرية بيد مرتجفة.

أخذت شكرية الهاتف وعلمت بأن جدتها تطلبها من مستشفى الدهناء، فسقط الهاتف من يدها وأسرعت بارتداء ألبستها وتوجهت بسيارتها نحو مستشفى الدهناء، ودخلت غرفةً لتجد جدتها فيها ملقاة على السرير دون حراك بعد أن أصيبت بثلاث رصاصات استقرت في جسمها، وأنها تعاني سكرات الموت، وتكلمت بضع كلمات مفهومة

قائلة: (أوَّصوني يا تي تي، كل عمري بسمع كلمتك ليش هلأ ما سمعت) واهتز فمها للاستمرار بالكلام فلم تَقْوَ وفارقت الحياة.

بكت شكرية جدتها بكاءً مراً، وشعرت لأول مرة بالوحدة والاكتئاب، وبموت أم صعب بقيت شكرية ودارتها سراً مكتوماً لا يعلمه أحد.

مرّ أربعون يوماً على وفاة جدتها ودموع شكرية لم تجف، ورقّ قلب والديها وعرضا عليها الإقامة بينهم.. واستقر الرأي بعد مناقشة مستفيضة على بقاء أخويها شاكر وماجد معها في دارتها حتى بدء العام الدراسي أي عشرين يوماً أخرى.

بقيت شكرية في خلواتها تتابع قاتل جدتها، مضطرة في كل مرة تود فيها مشاهدته إلى استعادة تاريخ القتل، ورؤية القاتل وهو يوجه رصاصاته من سيارة متوقفة لدى خروج جدتها من مخزن لبيع الأحذية، وكيف لوحق، والتجأ إلى دارة فارغة بضاحيةٍ تبعد بضعة كيلومترات عن المدينة. والحيرة التي وقعت فيها أنها غير قادرة على إبلاغ السلطات لعدم وجود قرائن تدين القاتل، وستكون عرضة للسؤال وهي غير مستعدة لكشف قدراتها، لأن ذلك سيسبب لها ضرراً كبيراً وإساءة فاضحة لجدتها المتوفاة.

وبعد دراسة وتأمل واعٍ للواقع استقر رأيها على الاستمرار بالبحث والملاحقة، حتى تجد مبرراً قاطعاً للإدانة لا يعرّض حياتها واستقرارها للخطر، بوضع خطة تعتمد بها على نفسها مستغلةً ما وهبها الله من

قدرات، وجدَتْ شكرية أن الوقت قد حان للبدء بالعمل، فاقترحت على أخويها الخروج والتنزه ووجدت من أخويها القبول والحماسة.

مع بداية اليوم التالي اصطحبت شكرية أخويها نحو أماكنِ التنزه والاصطياف مستخدمة إحدى سياراتها الفخمة، مارةً بضاحية جميلة ذات أبنية فارهة وحدائق غناء، متوخيةً المرور بالذهاب والإياب من أمام دارة شاهدت قاتل جدتها يدخلها، ثم اقتربت منها أكثر ودارت حولها وشاهدت مداخلها ومنافذها، ثم توقفت بإحدى الزوايا، ودعت أخويها لتناول طعامٍ قد جلبته معها، فاشترط ماجد أنه لن يأكل إلا إذا وافقت شكرية على أن يقود هو السيارةَ بدَلَها قليلاً.

أُعجبت شكرية باقتراح أخيها ماجد، ووافقت على ترك أخويها يقودان أثناء العودة، فاعترض شاكر على موضوع العودة المبكرة، فطمأنْته أخته بأن العودة لن تكون مبكرة، وأن الوقت سيضيع بتعليم السواقة.

وبعد تناول الغذاء الذي مضى بسرعة، جلس ماجد خلف المقود داعياً أخته للتحرك.

اعترضت شكرية على التعليم هنا واقترحت الانتقال إلى الأماكن المخصصة لذلك، ثم وافقت بعد إصرار أخويها وجلست بجانب ماجد تلاحظ وهو يقود بتؤدة نحو الخروج من الضاحية، عندما لمحت سيارة قادمة بالاتجاه المقابل يقودها قاتل جدتها، فاهتمت للقادم وأهملت ملاحظتها أخاها الذي اضطر إلى الابتعاد عن السيارة المواجهة التي تجاوزت سيارتهم التي انحرفت نحو أحد تخوم دارةٍ قريبةٍ وصدمتها.

توقفت السيارة عن السير، وهبطت شكرية لمعاينة الأضرار، وترافق ذلك مع ظهور شاب من الدارة التي صُدم حائطُها، وكان يافعاً عريضَ المنكبين مفتولَ العضلات والشاربين له نظرة قوية ومعبرّة، نظرت شكرية نحو القادم فاستهواها ورأت فيه اكتمال الرجولة، ولم تتمكن من تحويل نظرها الذي تسمر نحوه فركزت عليه لتسمعه يصفها بالجميلة لولا غرابةُ عينيها وشبّهها بأعين الجان.

بدأت شكرية بتحية الرجل الذي وصل وهي تقول مرحُباً يا أخ، فرد سلامَها وعرّفها باسمه عصام الساكت، وبدأ بمعاينة الحادث عارضاً على شكرية وأخويها الاستراحة قليلاً في بيته، ووصف الحادث بالطفيف وهنأهم بالسلامة، لبّثتْ شكرية طلب عصام مخالِفةً عادتَها، فهي لم تزر أحداً وليس لها أصدقاء، واتجهت نحو باب قد وقفت على عتبته امرأةٌ تدعوها والابتسامة على وجهها، علمَتْ شكرية بأن المرأة هي والدة عصام بقولها ماما عصام لا تتأخر.

حيّتْ شكرية مُضيفتها التي أفسحت لها مجالاً للدخول، وقد رافقها أخوها ماجد على استحياء، ودخلا إلى الحديقة من باب نحاسي مزركش على ممر يلفه الشجر الباسق، حتى وصلا إلى درج وصعدا ست درجات إلى ممر عريض حول بناء الدارة فيه أثاثٌ للراحة، ثم دخلوا إلى البناء بادئين بصالون مؤثث بذوق رفيع، ولسانُ أم عصام لا ينقطع عن الترحيب، ثم دعتهم للجلوس في الصالون.

وفي تلك اللحظة دخل شاب إلى الصالون وألقى التحية وعرّفتْه أم عصام بولدها الأصغر حسام، وأتبعَتْ كلامَها بأنها لم تنجب سواهما، ولم تتزوج بعد وفاة والدهما، وفي تلك اللحظة دخل عصام وشاكر ولم تتمالك شكرية نفسها فقد كانت نظراتها لاتفارق عصاماً، وبادرت بسؤاله عن الأضرار التي سببها الحادث فاستهان بالحادث وما سبّبه.

غيّرتْ أم عصام الحديث بسؤالها عن اسم أسرتها، وهل هي قاطنة في الضاحية، فردت شكرية بأن اسمها شكرية الماوردي، وهذان الشابان أخواها شاكر وماجد، وأنهم جميعاً عائدين من أحد أماكن الاصطياف، ومرورهم من هنا كان عرَضيّاً، وأنهم من سكان المدينة.

وفي تلك الأثناء غادر عصام وحسام الصالون، وعرفت أم عصام بأن شكرية دكتورة نفسية وأن عيادتها في المدينة مغلقة حالياً بسبب وفاة جدتها، وهنا عرفت أم عصام سبب ارتداء شكرية السواد وقدمت اعتذارَها.

وأثناء تجاذبهن الحديث بحضور شاكر وماجد اللذين بدأ الملل يتسرب إلى نفسيهما حضر عصام، ودعاهم جميعاً إلى تناول الغداء أمام البحرة بالحديقة، ولم ينفع اعتذارُ شكرية وأخويها، فقد تجاوزا الصالون إلى باب الحديقة الجميلة التي تكثر فيها الأشجار والشمشير والورود من كل صنف ولون، وهبطوا الدرجات الست وساروا على ممر تحفه الورود من كل جانب مسافة عشرين متراً، ووصلوا إلى مكان مرتفع ثلاث درجات تحفة الأشجار، يتوسطه بحيرة ماء وبجانبه شلال بألوان زاهية

وأحجار زينة، مقتربين من طاولة طعام صُفّت عليها أنواع من الطعام والفاكهة.

حاولت شكرية الاعتذار، ولكنّ إصرار أصحاب الدارة واهتمام أم عصام بها جعلها تقبل الدعوة والجلوس، متوخيةً أن يكون عصام قُبالتَها وكانت الجلسة هادئة والحديقة ساحرة، ولكن شكرية كانت تتحين الفرصة للنظر نحو عصام، حتى انتهى من طعامه وبدأ بتقشير الفاكهة، وبقيت والدته مستمرة بالكلام. وكانت شكرية تعبر لها عن اهتمامها بهز الرأس دون أن تفهم ما تقوله، ونظراتها نحو سواعد عصام وهو يقوم بالتقشير متمنية أن لايكون لغيرها، وحدث أن اقترب ماجد من أخته وهمس بأذنها فعرفت أم عصام مبتغاه، فطلبت من ولدها حسام تنفيذ رغبته، كما اقترب شاكر وهمس أيضاً، فاستفسرت أم عصام وعرفت بأنه يرغب بالعودة، فعرضت عليهم رؤية غرفة عصام لتسليتهم، فردت شكرية بأنها أيضاً تود رؤية غرفة عصام.

راقت الفكرة لعصام وتحرك الجميع عائدين إلى الدارة يتقدمهم عصام وشاكر، ودخلوا الصالون وصعدا منه درجاً واسعاً، إلى الطابق الأعلى ودخلوا غرفة نوم تشرف بزواياها على الحديقة، وهي أقرب بمحتوياتها إلى أن تكون متحفاً أو مَعْرِضاً وليس غرفةَ نوم، رغم أن الأثاث المخصص للنوم بارز فيها، ولكن التحف والصور مع الذوق الرفيع بتوزيعها لفَتَ نظر شكرية وزاد من اهتمامها بعصام، فسألته عن صورة له وهو يحمل كأساً رياضياً، فعلمت بأنه منتسب إلى نادي الرماية، وأنه يجيد

إطلاق النار، وقد ورث ذلك عن والده بطل الرماية المعروف حسين الساكت، ثم فتح خزانة الحائط وأخرج منها صندوقاً مزركشاً يحوي مجموعة من الأسلحة الفردية، وصفها عصام بالأسلحة النادرة وكانت مُلكاً لوالده.

وبينما كان عصام يستمر بالكلام كانت شكرية تتفحص هذا الرجل الذي ملك قلبَها من النظرة الأولى، وبدأت تبحث عن سببٍ للقائه مرة ثانية، فارتأت سؤالَه عن عمله عسى أن يكون عمله يتناسب مع إمكانية رؤيته في مكان آخر غير دارتهم، فعلمت بأنه يزاول عمل بيع الصناعات التقليدية في المدينة، وقد ورث هذا العمل عن والده، واستمر بذكر مناقب والده، واسترسل بذلك وهي بجانبه وكأنهما وحدهما وهي لا تَمَلُّ النظرَ إليه وسماعَ ما يقول مهما كان هذا الكلام، ولسان حالها يقول لماذا هويتُ هذا الرجل؟ فوجودي بالجامعة أتاح لي رؤيةَ مجموعةٍ كبيرة من الشباب، ومن شرائح شتى من المجتمع، فلم أشعر تجاه أحدهم بما أشعر به الآن نحو هذا الشاب.. أرجو أن أجد مبرراً لزيارتهم مرة أخرى ولو افتعلْتُ تلك الزيارة.

وفي تلك الأثناء سمعت صوتَ أم عصام التي كانت بقربها منذ دخولهم غرفةَ نوم عصام، ولم تشعر بوجودها إلا حينما قالت بأن عيد ميلاد عصام السبتَ القادم، وأنها مدعوةٌ لحضوره، وأكمل عصام ما بدأته والدته بدعوة أخويها شاكر وماجد ورجاها قبول الدعوة.

وجدت شكرية المنفذَ الذي كانت تبحث عنه، وقبلت الدعوةَ مسرورة، لأن ذلك سيتيح لها الحصول على صور من آلة تصوير الحفل يكون لعصام النصيب الأكبر فيها، معتبرةً تلك الفرصة من الفرص النادرة.

غادرت شكريةِ وأخواها منزل أم عصام مودَّعةً بالحفاوة والإكرام، وقد ركَزت عليه أثناء توديعها له فوجدته غيرَ آبهٍ بها، وخرجت وهي تتساءل بقرارة نفسها ماذا يريد هذا الرجل؟ أليس له قلب..

غادرت شكرية وأخواها دارة أم عصام شاردةَ الذهن، تفكر بهذه المصادفة التي جمعتهم حتى ركبت سيارتها وانطلقت بها عائدة إلى المدينة. وأثناء الطريق استمزجت رأيَ أخويها بتلك العائلة فكان ردهما سطحياً والذي لفتَ نظرهما هو المسدسات فقط.

في حين سألت أمُّ عصام ولدَها عصاماً عن رأيه بتلك الفتاة واصفةً إياها بالجميلة والغنية، وكان رده السلبي قد أثارها وتركته وهي تتمتم: هذا إذا قبلَتْ بك زوجاً!؟ فهي أكثر منك مالاً وثقافة.. وصلت شكرية دارتَها وشغلَ تفكيرَها عصام والساعات الجميلة في دارتهم، واعتذرت من أخويها ودخلت غرفة نومها وأوَتْ إلى فراشها تتقلب فيه، حتى تجاوزَ الليلُ منتصفَه و لم تتمكن من النوم، وطيف عصام لا يغادر مخيلتها. ثم جلست على السرير وأنارت الغرفة وتساءلت هل تَعلّق قلبُها بهذا الرجل؟ ولماذا.. وإذا لم يقبل بها فماذا هي فاعلة.. يجب أن تصل إلى قرار وإلا فإنّ النومَ سيبقى مجافياً جفونَها حتى تصل إلى قرار، يجب أن تنال صورةً

له أولاً، لأنه من دون الصورة فلن تتمكن من أن تفعل شيئاً. و لم تنم إلا بعد أن وجدت أن أفضل سبيل لكسب قلبه هو غلاء وجمال الهدية التي ستقدمها له في عيد ميلاده، وستكون تُحفةً تفوقُ ما لديه في غرفة نومه من التُّحف.

وفي صباح اليوم التالي وقبل أن يصحو أخواها من نومهما، انتقلت إلى غرفتها السرية تبحث بين هدايا جدتها عن هدية مناسبة، فوجدت تمثالاً لطائرِ العاشق والمعشوق وهما يتبادلان القُبَل، وعاينتهما لتجد أنهما من الذهب الخالص، ومناقيرهما من البلاتين، وأرجلهما من الفضة. ففرحت كثيراً لما يعبران عنه ولجمالهما الأخّاذ، ثم بحثت بين الهدايا عن صندوق يليق بهما فوجدت صندوقاً لهدية جميلة، فأفرغت الهدية من الصندوق وعاينته فوجدته مرصَّعاً بالزمرد والياقوت، وكان قد استوعب هديتها فأغلقته واقتربت من القنديل ورفعته، وأطبقت أصابعها على النقط الدائرية، وسمعت صوت تحريك المزلاج وخروج المقبض، ففتحت الباب وخرجت ثم أغلقته فاختفى المزلاج. وانتقلت إلى غرفة نومها، وبعد دخولها بدقائق سمعت أصوات أقدام أخويها تقترب من باب غرفتها، فأخفت الهدية في خزانتها. وفي أثناء ذلك سمعت طَرْقَ باب غرفة نومها، فانتقلت نحو الباب ففتحته لتجد ماجداً على الباب يسألها أين كانت..

ثم تبعه شاكر الذي كان يبحث عنها فردت وهي تبتسم بأنها ها هي أمامهم بلباس النوم.. ثم تساءلوا عن أصوات تحريك أشياء سمعوها و لم يعرفوا مصدرها.

نظرت شكرية في وجوه وملامح أخويها وهما يرويان ما سمعاه ويودّان التحققَ من مصدره، فوجدت أن أخويها سيسببان لها ما لم ترغب به فقررت عدم استضافتهما مرة أخرى. ثم اقترحت لإغلاق الموضوع مشواراً خارج الدارة بعد تناول طعام الإفطار فاستجاب الإخوة لاقتراحها، وانتقلوا إلى غرفة الطعام وبذلك خرجت من دائرة أسئلتهما وشكوكهما.

أزف اليوم الذي كانت تنتظره شكرية لتشاهد عصاماً في عيد ميلاده بسعادة لاتوصف، وهي في صباح ذلك اليوم تقوم بتهيئة نفسها ولباسها وزينتها حتى اقترب موعد المغادرة، وتأكدت من أناقة أخويها واستعدادهما، وخرجوا إلى مرآب الدارة، وانتقت سيارة فارهة، ووضعت هديتها بجانبها وتتألف من صندوق لف بورق، وعليه بطاقة باسم شكرية وبعض عبارات التهنئة، وفوقه آلة تصوير جاهزة.

انطلقت السيارة نحو منزل أم عصام في الضاحية بسرعة أقلقت أخويها فطلب ماجد تخفيفَ السرعة لأن العدّاد قد تجاوز الثمانين ولا مبرر للعجلة، فخففت شكرية سرعة السيارة مخالفةً رغبتها، ثم سمعتْ شاكراً الجالسَ بقربها يسألها إن كانت قد أنهتْ مدة ارتدائها ملابسَ الحداد على جدتها، واصفاً لباسها وزينتها بأنه غير لائق لمن مات له شخص عزيز عليه منذ مدة لاتتجاوز الشهرين، والمناسب أن لاتبدأ بتغيير الحِداد قبل عام على الأقل. هزتها ملاحظاتُ شاكر من الأعماق، وشعرت بتدخلٍ سافر بحياتها لم تألفْه سابقاً، فردت بسؤاله: أكان يرغب

بحضور مناسبة كهذه بلباس الحِداد؟! أم أنه غير راغب بزيارتهم أصلاً.. ومنذ متى ترك لنفسه حرية انتقادها..

اعتذر شاكر طالباً من شكرية المتابعة، وأنّ رغبته لاتقل عن رغبتها بتلك الزيارة. صمت الجميع والتوتر ظاهر بحركات شكرية أثناء القيادة، حتى اقتربت من دارة أم عصام، ووجدت مكاناً آمناً لوقوف سيارتها خلف سيارة متوقفة قرب الدارة.

هبط الجميع من السيارة، وأسرع شاكر بحمل الهدية التي لا يعرف محتواها وهو يشاهد أخته بزينتها ولباسها وآلة التصوير على كتفها ممتعضاً في سره، وفي تلك الأثناء فُتِح باب الدارة، وخرجت منه أم عصام مرحبةً وصوت الموسيقى منبعث من الداخل.

دخلت شكرية وأخواها الدارةَ فوجدوا استقبالاً حاراً من الجميع، وكان من بين المستقبلين الذين لفتوا نظر شكرية فتاةٌ جميلة. قبّلت شكرية بعد أم عصام، وامرأة أخرى قدمتها أم عصام بأنها أختها سامية وابنتها أسمهان قائلةً: ألا تشبه أسمهان المغنية؟ ثم قدمت شكريةَ إلى أختها وابنتها واصفةً شكرية بألطف وأنعم بنت عرفتها. وفي تلك الأثناء حضر عصام مكرراً الترحيب الحارّ مقدماً اسم شكرية بالدكتورة، فعلّقت أسمهان قائلة دكتورة؟!

أخذت شكرية الهدية من أخيها وأعطتها إلى عصام قائلة، كلَّ سنة وأنت طيب، فردت أم عصام قائلة حضوركم أحلى هدية، وكان رد عصام، وأنت طيبة، وفي تلك الأثناء دخل حسام ومعه شاب عَرَف

شكرية فوراً ورحب بها ذاكراً اسمها قائلاً: إن معرفتي بالآنسة بالجامعة فقط، وأنه لم يرها إلا أثناء المحاضرات، فقدمه حسام بأنه سعيد ابن خالته. تقدمت أم عصام لأخذ رداء شكرية وهي تسحبه عن عاتقها، فاعتذرت شكرية وأعطته لأخيها وبرزت آلة التصوير، فعلّقت عليها أم عصام قائلة أيضاً آلة تصوير، فنحن نصوّر الحفل بالفيديو، وزيادة الخير خير. وكانت شكرية تحاول إبراز مفاتنها لتنال بركة ومحبة فارسها، ولكنْ خاب فألها عندما سمعته يتمتم بأن جسمها غير منتظم وماذا فعلت لعينيها.. ثم اقترب الجميع من الهدية التي كانت أم عصام تفتحها، وعندما برز الصندوق شاهدت شكرية دهشةَ الجميع بالصندوق، واستمرت أم عصام وفتحته وأخرجت طيرَيْ العاشق والمعشوق، ولم يُخْفِ الجميعُ إعجابَهم الشديد، فلم يتصور أحد أن تَقْوَى فتاةٌ كشكرية على تقديم هدية تفوق قيمتها الفنيةُ قيمتَها المالية. حتى أخواها وجدا في أختهما الفتاةَ المستهترةَ بما ورِثَتْ، أو أنها فقدت عقلها.. ومما أغاظهما أكثر اهتمامها الزائد ونظراتها المتكررة لعصام، بينما اهتمامه انصبّ على هديتها حتى نسي الحضور، ولم يَمَلَّ من النظر إليها، وراح يفحصها لمدة زائدة عن الحد، مما حدا بوالدته لأن تدعوه إلى إطفاء الشموع وتقطيع (الكاتو)، فعاد إلى نفسه واتجه نحو الشموع وبدأ بالتعاون مع الجميع بإطفائها.

ركّزت شكرية عليه أثناء اهتمامه بتقطيع الكاتو فوجدته لا يُعيرها اهتماماً، وكذلك لابنة خالته، وبهرَتْه هديتُها معتبراً شكرية فتاةً ساذجة

لأتُقيم للنفائس وزناً، حتى شاهدتْهُ يُقْبل نحوها حاملاً قطعة الكاتو الأولى على طبق وقدمه إلى شكرية التي حاولت الاعتذار، طالبةً منه التقديم أولاً إلى والدته وخالته، وقد أخذتها على استحياء بعد إصراره أمام نظرات الحضور وتعليقاتهم، وخاصة ابنة خالته أسمهان التي عبرت عن هذا.. فردت والدتها على ابنتها بأنه قدمها عليهم من أجل هديتها لا من أجلها.

وضعت شكرية طبقَها أمامها، واستلّت آلة التصوير وخَصَّت بالتصوير عصاماً ووالدته من كل الجوانب بتصميم ظاهر، بعد أن سمعت تعليقاتِ الجميع بما فيهم عصام واستهانتَه بها عندما قال لها كاذباً بأنه خصها بأول قطعة لمكانتها في نفسه، في حين كان سعيد يتنقل بين المدعوين وكاميرة الفيديو تشمل بتسجيلها كامل الحفل، ولم يهتم أحد بما تفعل شكرية حتى أنهت ماجاءت من أجله، فقد أظهرت مفاتنها وقدمت هديتها وأنجزت تصوير ما ترغب بتصويره، ومالت إلى أم عصام طالبة السماح لها بالمغادرة.

حاولت أم عصام ثَنْيَها فلم تُفلح، فأوقفت أم عصام المسجِّل فتوقف الجميع، لتعلنَ أن شكرية تود المغادرة، في حين كانت شكرية ترتدي ملابسها وتحمل آلة التصوير والحقيبة عندما بادرتها أم عصام بطلب عنوان منزلها وعيادتها لواجب الزيارة، فأخرجت شكرية بطاقة باسمها من حقيبتها وأعطتها إلى أم عصام وهي تودعهم بعبارات التهنئة لعصام ودوام الأفراح في دارهم، وتبعوها حتى باب الدارة مودَّعة بحفاوة بالغة.

انطلقت شكرية بسيارتها مسافة قصيرة، ثم توقفت ودَعَت شاكراً للجلوس خلف المقود وأخوه بجواره وعادت هي إلى المقعد الخلفي، وأمرته بقيادة السيارة بهدوء بين دهشةٍ واستغرابِ أخويها اللذين لم يجدا تفسيراً لهذا التصرف.

بينما كان شاكر يقود السيارة كانت شكرية قد ركزت على عصام قبل أن تنسى صورته، لترى وتسمع ما يدور من أحاديث بعد مغادرتها الحفل، فوجدتهم قد أوقفوا الغناء والرقص ليلتفوا حول هديتها، وسمعت ما دار بينهم.. فقد اكتشف عصام معدن الهدية، ووضّح لهم بين الدهشة وعدم التصديق بأن الطيور من الذهب الخالص، ومناقيرهما من البلاتين، وأرجلهما من الفضة وبدأت تعليقات الحضور وابتعدوا بظنونهم لدرجة اتّهامها بالجهل، أو أنها سارقة لهذا دون أن تعرف قيمتها.. ولكن الصندوق المرصّع قد أنقذ شكرية من أوهامهم حين وصف عصام الصندوق بأنه قطعة مستقلة، ووضع الطيور فيه تنم عن جهل بقيمته الفنية والمالية، وبالمحصلة فإن قيمة الهدية لا تقدر بثمن. فتساءلت أسمهان مستفسرة عن سبب دفاعه المستميت عنها، وهل أحبها.. فرد باستخفاف بأنها لم تلفت نظره ولا يرغب بهذا النوع من البنات. وعندما سألته عن النوع الذي يستهويه كانت والدته أسرع بالجواب عن سؤال أسمهان: بأن ولدها لا يفهم ما يريد، وأن شكرية أكثر جمالاً وكمالاً، وهي ترغبها كَنةً لها، ودعت ربها أن تكون من نصيب ولدها الذي طلب تغيير الحديث عن شكرية وهديتها. وهنا انبرت أسمهان تطلب العودة إلى احتفالهم وإكمال فيلم الفيديو.

قطعت شكرية التركيز على منزل أم عصام وعادت تفكر بوضعها مع عصام، وبدأ اليأس يتسرب إلى نفسها. قطع شاكر حبل أفكارها عندما دعاها لقيادة السيارة قبل الدخول إلى المدينة. أوقف شاكر السيارة وهبطت شكرية لتعود إلى مقعد القيادة دون أن تتكلم، وشكلها لا يوحي بالراحة التي كانت بها قبل الزيارة، ووصل الجميع إلى الدارة ودخلت شكرية غرفتها وهي بحالة نفسية لم تألفها سابقاً، وأخواها يراقبانها حتى دخولها غرفتها. وقد علّق الأخوان على معاملة أختهما لهما بأنها ليست ذات معشر جيد، والأفضل لهما العودة إلى حياتهما السابقة، وأن أمنيتهما الدائمة بالعيش مع أختهما قد خابت بالتجربة.

أما شكرية التي لم تجف دموعها، فقد بقيت مضطجعة على سريرها تراجع ما حصل في دارة أم عصام وتسأل نفسها: هل المشكلة في عيوني أم بإحجام عصام عن الزواج؟ أليست أمه التي تشكو من تأرجحه، وها ابنة خالته لها عيون كعيوني.. أين المشكلة إذن؟ ثم تساءلت من أين جاءتها بلية الحب.. إن مشكلتها ملاحَقةُ قاتلِ جدتها فصارت معلقة بمشكلة قلبها الحزين. ثم فكرت قليلاً ووصلت إلى نتيجةٍ مَفادُها أنه إذا بقي قلبها معلقاً به فستناله ولو استخدمت السحرَ لكسب قلبه.

نظرت شكرية إلى ساعتها فوجدتها قد تجاوزت الواحدة والنصف ليلاً، فرأت نفسها تراجع يوم مقتل جدتها لتعرف مكان قاتل جدتها في هذه الساعة المتأخرة، فتُخرج من رأسها ما يؤرقها ويمنع النوم عن جفونها، فوجدت القاتل داخل منزل وبقربه رجل بدين يحاولان فتح

خزانة حديدية، وبقربهما حقيبة جلدية، فدققت النظر متسائلة عما يفعلان، والواضح أنهما يحاولات فتح صندوق عنوة، وهذا له تفسير واحد وهو السرقة. وتقدم الوقت وهي تراقب والصندوق مستعصٍ عن الفتح، حتى شاهدت البدين يبتسم وبعد معالجة أخيرة يستسلم الصندوق ويفتح أبوابَه، ويحصل المعالجان على محتوياته من الأموال وغيرها.

وبينما كان قاتل جدتها يضع محتويات الصندوق في حقيبة كان البدين يُعيد العُدَّة إلى الحقيبة الأخرى ويسارعان بالخروج بعد أن أعادا لثامَهما وتجاوزا الغرفة إلى الصالون، وتعثّرا برجل مقيَّدِ اليدين والفم، ثم خرجا من المنزل، وهبطا سلّماً نحو مدخل البناء ليجدا سيارة (ستيشن) بانتظارهما، وبعد دخولهما السيارة دخلها ثلاثة آخرون مسلحون وملثّمون، واستمرت شكرية بملاحقة السيارة لتتعرف على الأمكنة وهل هي في مدينتها أم في أمكنة أخرى، ثم توقفت السيارة وهبط منها البدين يحمل حقيبة العُدَّة، فأرتأت شكرية متابعة البدين الذي اقترب من سيارةٍ متوقفةٍ قرب الرصيف، وفتح صندوقَها الخلفي ووضع الحقيبة فيه دون قَفْلِهِ، ثم ركب السيارة وانطلق مسافةً قليلة، ثم توقف أمام بناءٍ شاهقٍ عرفَتْه فوراً وعرفَتْ الحيّ، وهبط من السيارة وأغلقها ثم أقفلها واتّجه نحو البناء، ودخله وصعد سلمه حتى الطابق الثاني، وأخرج من جيبه مفتاحاً ودخل الشقة.

أوقفت شكرية التركيز، وأعادت تقييم مشاهداتها ووصلت إلى النتيجة دون شك، فهؤلاء سرقوا واختفت آثارهم، وأنا الآن أعرف

الخيط الذي سيوصِلُ رجالَ الأمن إلى اعتقالهم، ولكنْ من يضمنُ حمايتي.. دمُ جدتي ما زال ساخناً.. ثم كيف أفسّر اتهامي؟ هل سأفشي سري وأكون عرضة لضابط يستخدمني وأكون مطيَّته كما فعلتْ جدتي للعميد جميل.. ثم فكرتْ قليلاً وقررتْ سرقةَ حقيبةِ العُدَّة فإذا انكشف أمرها أثناء السرقة فستفشي مشاهداتها إلى رجال الأمن، وإذا تمكنَتْ من سرقتها فستعتمد على نفسها رغم أن الخوف تملّكها، فقد نظرت إلى ساعتها فوجدتها تشير إلى الثانية والنصف، فارتأت الانتظار حتى السادسة صباحاً. قامت لساعتها ونزعت لباس السهرة وارتدت لباس النوم، وتقدمت من ساعة الطاولة ووقّتتْها على الخامسة والنصف، وأدارت محرك الجرس وأوت إلى فراشها.

وفي الساعة الخامسة والنصف دقَّ الجرسُ معلناً وصولَها إلى التوقيت، فقامت من فراشها وارتدت بنطالاً من الجينز وخرجت على رؤوس أصابعها مارّةً بالقرب من غرفة أخويها إلى ممشى أوصلها إلى قنديلِ غرفتها السرية، وتجاوزت غرفتَها إلى ممشى المرآب فوصلته، وخرجت بسيارتها منه وقلبُها لايكف عن الوجيب بشدة، وانطلقت بها حتى وصلت إلى مكان سيارة البدين، فوجدتها ما زالت في مكانها.

أوقفتْ سيارتها خلف سيارة البدين، وبدأت بالمراقبة حتى اطمأنت، ثم خرجت من سيارتها بهدوء واقتربت من مؤخرة سيارة البدين، وفتحت صندوقها الخلفي وشاهدت صندوق العُدَّة، فحملته وشعرت بوزنه ونقلتْه إلى صندوق سيارتها والخوف قد لفها، وقلبها

لايكف عن النبض الشـديد، ثـم ركبـت سـيارتها وانطلقـت نحـو دارتهـا وأدخلت سيارتها إلى مـرآ ب دارتهـا بعـد فتحـه وإغلاقـه آليـاً، وحملـت الصندوق عبر الممر تحت الأرض بكلتا يديها والفرحة تغمرها وهـي تفتـح أبوابَ ومداخل غرفتها السرية بواسطة القناديل حتى وصلتها، وتركتـه في الغرفة السرية، وتعمدتْ دخولَ الدارة من بابها السرّي، ووصلت غرفتهـا دون أن يشعر أحد، ونزعـت ألبستها وارتـدت لبـاس النـوم، وقـد بـدت عليها السعادة الغامرة بنجاح أول تجربة لها نحـو هدفهـا للانتقـام لجدتهـا، ودخلت سريرها ونامت قريرة العين.

في الساعة العاشرة صباحاً قام شاكر وماجد بتحضير طعـام الفطـور منتظريـن شـكرية لكـي تشـاركهم طعـامهم، ولمـا لم تحضـر اتفقـا علـى إيقاظها، فاتجه ماجد نحو غرفتها وعاد مسرعاً عندما سمع صوت خروجها من غرفتها واتجاهها نحو غرفة الطعام، وظهرت والابتسامة مرتسـمة علـى شفتيها بادئةً بالسلام، مما أسعد أخويهـا وجعلهمـا يَرُدّان تحيتهـا بكـلام فاضت على أثره الابتسامات، ووجد الأخوان مَخرجاً لمفاتحتهـا برغبتهمـا بقطع الزيارة والعودة إلى منزل والدهما، بحجة اقتراب يوم افتتاح المـدارس ورغبتهما بالتحضير لهذا الافتتاح.

عادت شكرية للعيش بدارتهـا دون أنيـس، وكـان تفكيرهـا منصبّـاً على الأمن الذي تبغيه، وبعد تفكير عميق ارتأت نقل جزء من غرفـة نـوم جدتها إلى غرفتها السرية استعداداً لمواصلة ما بدأته.

وفي اليوم التالي بينما كانت تقوم بالطهي في مطبخ الدارة، سمعتْ الإذاعةَ وهي تقدم أغنية ذكّرتها بعصام، وعندما همت بالتركيز تذكرت أنها لا تملك صورةً لعصام، وأن الفيلم الذي صورته لم تقم بتحميضه بعد، فتحركت على الفور وأزالت المريول وأطفأت موقد الغاز وخرجت ترتدي ملابس الخروج نحو السوق وهي تحمل الفيلم لتحميضه.

وأثناء عودتها مرّت بمحل بيع أدواتِ البناء، واشترت مطرقة وشوكة، وعادت وهي مصممة على فتح حقيبة عُدَّة البدين ورؤية أجهزته العالية الجودة، التي يستخدمها في فتح أكثر الأقفال مناعة. وعادت إلى الدارة واتجهت فور دخولها إلى غرفتها السرية، وبدأت بمعالجة فتح الحقيبة مستخدمة أدواتٍ بدائيةً للكسر والخلع، ونال فتح الحقيبة جهداً ووقتاً، و لم تتمكن من فتحها إلا بعد تمزيقها وتقطيع قُفْلها.

وبدأت بمعاينة محتوياتها من العُدَد والأجهزة الحديثة الخاصة بفتح أشد الأقفال وخزائن الحديد وأحدثها، كما وجدت مسدساً حربياً مزوداً بكاتم للصوت موضوعاً بجراب فني، وطلقات موزعة على الجراب بشكل جميل أثار فضولها وإعجابها، وراحت تتفحص ذلك وتفكيرُها لا ينفك عن حال البدين عندما يكتشف فقدانه الحقيبة ومحتوياتها، وكيف سيكون وقْعُ ذلك عليه وعلى مستقبل نشاطه، وهل سيصارح العصابة بذلك.. ثم بدأت بالتدرب على استعمال تلك الأدوات والأجهزة ثم خطر لها خاطر هو شراء كمية من الأقفال المتنوعة والتدرب عليها.

وفي اليوم التالي ذهبت إلى السوق واشترت عَدداً كافياً من الأقفال، ومرت أثناء عودتها وأخذت صور حفلة عصام بعد التحميض، ودخلت غرفتها السرية لتجرب ما غنمته من الأجهزة، ولتتعرف أولاً على المبادئ الفنية التي تكمن في كل قطعة أو جهاز منها وكانت سعادتها بهذا لا تقاوم، فقد كانت تواصل الإقامة في غرفتها أياماً طويلة دون أن تشعر بمرور الوقت، حتى بدأت تَحُل اللغز تلو اللغز وتُجري التجارب الكافية حتى أتقنت استعمال الأجهزة، ثم اختبرت الأجهزة في فتح صندوقها الحديديّ الذي ورثته عن جدتها، وكم كانت سعادتُها غامرةً عندما وجدت سرَّ فتح صندوق كانت تَعُدّ فتحَه مستحيلاً بغير مفتاحه، واعتبرت ذلك قِمَّة محاولاتها، وأنَّ تجاربها القادمةَ ستكون خارج دارتها.

عادت شكرية تمارس حياتها العادية بفتح عيادتها، واضعةً تسعيرةً متدنّية للمراجعين لجلب الزبائن، مما أثار حفيظة موظفتها لمياء، التي حذّرت شكرية بأن القيمة الموضوعة للمراجعة ستكون خسارة حتمية للعيادة.. وفي تلك الأثناء حضرت الخادمة وأعلمت شكرية بوجود زبونة، مما دفع شكرية إلى إبلاغ لمياء بالبقاء خلف مكتبها في الصالون.

وتوالت الأيام وازداد عدد الزبائن والمراجعين حتى صارت تغص بهم العيادة، مما دفع لمياء إلى اتّباع طريقة المواعيد في تعاملها مع الزبائن.

وفي أحد الأيام – وكانت العيادة تعج بالزبائن والهدوء يخيم على الصالون – حضرت امرأة في سن متقدمة، ودخلت الصالون واتجهت نحو لمياء تسأل عن الدكتورة، فطلبت منها بطاقة الموعد، ولما أعلمتها بأنها

ليست مريضة، وإنما هي صديقة واسمها أم عصام، أمهلتها لمياء قليلاً حتى خروج من كانت تعالَج بالداخل، ولدى خروجها دخلت لمياء وخرجت من غرفة شكرية ودعت أمَّ عصام للدخول وأنّ شكرية بانتظارها.

وكان لقاءً حاراً جرى بين أم عصام وشكرية، تخلله التقبيل والعناق الشديد، والعتاب لانقطاع شكرية عن زيارتهم. ثم جلست الاثنتان على مجالس، وبدأتا تتحاوران، وأبدت شكرية أسفَها لتقصيرها في زيارتهم بسبب ارتباطاتها بمواعيد موضوعة مسبقاً لزبائن عملها والمراجعين، وأن تلك المواعيد تتجاوز أسابيع قادمة، وانصبّ الحوار بعد ذلكَ على أسرة أم عصام، وانتقلوا للحديث عن زواج عصام، وسألت شكرية هل وجد شريكة له؟! فتبدل شكل أم عصام ونعتت ولدها بالمغرور وأن الأيام كفيلة بتليينه، أو أنه سيبقى عازباً. وفي تلك الأثناء كان الجو قد تلبد في صالون الانتظار بلوم لمياء لإدخالها مَن لا دَوْرَ لها، وجرى حوارٌ بين الزبائن كشف عن ثقتهم بقدرة شكرية على حل معضلات زبائنها النفسية، واستمعت لمياء منهم إلى حكايات عن مشاكل مستعصية حلت دون أن يكون للمريض أي دور في هذا. وبينما كانت لمياء تستمع تاركة المراجعين يسترسلون بحكاياتهم عن القدرات التي تبديها الدكتورة بشفاء حالتهم النفسية، وكشفها لأسباب تلك الحالات، سمعت صرير باب شكرية يُفتح، وتخرج أم عصام وخلفها شكرية مودِّعة حتى باب العيادة، وأثناء عودتها طلبت من لمياء إدخال من جاء دوره.

في المساء ومع توديع آخر مريض، جلست شكرية تتنفس الصعداء، وبقربها لمياء تناقشان سؤالاً وجَّهتْه لمياء، داعيةً شكرية للتخفيف من العمل المرهق والدوام الطويل، الذي يتجاوز أحياناً أذان العشاء بكثير.. لكن شكرية أبدت سعادتها برؤية العدد المتزايد من الزبائن، حتى إن رؤية دفتر المواعيد يثلج صدرها. عندها وجهت لمياء سؤالاً محرجاً عن كلام تتناقله المراجعات بأن لشكرية قدرات على كشف مكنونات النفس البشرية، حتى إن المريضة لا تعرف عن نفسها ما تعرفه شكرية. فانبرت شكرية تدافع عن نفسها، وأن التعاون الحاصل بينها وبين المريض هو الذي يوصلها للحلول الجذرية للحالات المستعصية، وأنها ليست سوى دكتورة تتقن مهنتها وتهواها، وتدرس حالة مريضها باستفاضة حتى تجد حلاً يرضي ضميرها ثم رأت أن تنهي هذا النقاش بقولها: كم أنا متعبة وأود الراحة، وغداً سأنام حتى منتصف النهار. الله ما أجملَ يومَ الجمعة.

تنحنحت شكرية وتراجعت دافعة كرسيها إلى الخلف، وأدخلت يدها في درج مكتبها، وأخرجت مغلّفاً وأعطته للمياء قائلةً هذا أجرة الأسبوع مع الساعات الإضافية، طالبةً منها الحضور يوم السبت باكراً للإشراف على التنظيف وترتيب العيادة.

وفي صباح اليوم التالي استيقظت شكرية باكراً على خلاف ما ترجو، وحاولت جهدها الركونَ في الفراش ونيلَ غفوةٍ إضافية دون جدوى، وبدلاً من النوم بدأ يمر بخاطرها أحداثٌ من ضمنها زيارةُ أم عصام لعيادتها بالأمس، فوجدت أن الوقت مُواتٍ لمراجعة صُور حفلة

عيد ميلاد عصام، فقفزت من سريرها وأخرجت الصور، وبدأت تراجعها صورة صورة، وتتذكر المواقف حتى وصلت إلى صورة مشتركة وصورة أم عصام فيها واضحة فركزت عليها متوخية كشف رأيها بعد خروجها من عيادتها وانتقالها إلى منزلها.

شاهدت استقبالَ عصام لوالدته، والقلقَ يلفُه بسبب غيابها غير المتوقع، وسؤالَه بقلقٍ عما أخّرها وليس في المدينة أحد تزوره، فردت والابتسامة على شفتيها بأنّ لها في المدينة مَن تزوره وتحدّثه ليعرف من هو..

نفد صبرُ عصام ورجاها إعلامَه بسرعة، فردَّتْ بأن الزيارة كانت للولبِ حفلة عيدِ ميلاده. فهدأت نفسه وسأل عن حالها، هل انقطاعُها عن زيارتهم له ما يبرره.. ولكن أم عصام استرسلت بوصف الزيارة، بدخولها صالون عيادةِ شكرية الكبير والمؤثث بذوق رفيع، وفي زاويته موظفة لتنظيم المواعيد وهالَها رؤية عددِ المراجعين الذين يفوقون عدد الكراسي، وكان السؤال التقليدي الذي وجهته الموظفة إلى أم عصام، أكان موعد زيارتها قد أزف، طالبةً رؤيةَ البطاقة، وعندما أعلمتها بأنها صديقة وزيارتها ليس لها علاقة بالمرض وذكرت اسمها، كان انتظار خروج المريضة من الداخل مملاً حتى دخلت الموظفة، وسمعت أم عصام صوت شكرية تدعو لإدخالها لتجد أمامها فتاة كأميرة في إيوانها.. وكان استقبالُها حاراً منقطعَ النظير، أشعرتْها بأقرب المقربين منها، داعيةً ابنها إلى الفوز بها قبل فوات الأوان لكنها فوجئت بابتسامته الساخرة وسمعت ردَّه السلبي.

امتعضت شكرية من جواب عصام، وأشاحت بوجهها عن الصورة، وفكرت قليلاً تسأل نفسَها: ماذا يريد هذا الرجل؟ إذا كانت شكرية ليست فتاة أحلامه فما أوصاف فتاة أحلامه إذن؟.

بحثت بين الصور لتجد صورةً واضحة له، فركزت عليها لدراسة ما يرغب به من النساء، فاكتشفت أنه يرغب الفتاة الرياضية بصدرها العامر، ووركها الملفوف، وخصرها النحيل، أوقفت التركيز ووجدت أن عينيها لم تكونا سبباً لإحجامه، وأنها ستعمل على تنفيذ رغباته بجسمها لتكون أقربَ إلى قلبه، وظهرت عليها السعادة، فقد اكتشفت الحل للوصول إلى دارة عصام.

وخرجت من غرفتها السرية وأغلقت بابها خلفها، ودخلت دارتها نحو المطبخ لتحضير طعامها وهي تُغني أغنية شائعة واضعة اسم عصام بداخلها عندما سمعت جرس الدارة يُقرع، فخرجت نحو الباب الرئيسي متوخية الحذر وهي تسأل نفسها من يكون..

لكن الأفضل التريث لمعرفة من يقرع، ونظرت من عدسة الباب، وكم كانت فرحتها كبيرة عندما لمحت أفراد أسرتها، ففتحته وابتسامة عريضة على وجهها، وظهر عليها الفرح وهي تقبّل أيدي ووجنات الحضور، معتذرةً بسبب لباسها المطبخي، طالبة منهم الدخول وانتظارها لتغيير ما ترتدي.

دخل الجميع الدارة، واستقروا في الصالون حتى عودة شكرية التي عادت تكرر الترحيب بحرارة فائقة، ووالدتُها تبرر الزيارة المبكرة في يوم

الجمعة، واصفةً هذا اليوم بأنه الوحيد للراحة، ثم اقترحت عليها التفكير بنفسها وإيجاد الزوج المناسب، وإنهاء عزلتها بعد تحقيق ما كانت ترغبه فقاطع والدها الحديث واصفاً بيتها بالمُكَرْكَب، واقترح إيجاد خادمة تساعدها في المنزل واصفاً إياها بالانطوائية التي اعتادت على الوحدة، وهي التي تجد الحلول لمرضاها بينما لا تداوي نفسها، وشكرية تحاول الالتفاف حول الانتقادات اللاذعة بمبررات غير مقنعة، متجنبة الأسباب الحقيقية. ثم وجدت حلاً للتهرب بحوارٍ أجرته مع أخويها عن دراستهما وأحوالهما، وشارك الجميع بهذا الحوار، ثم اقترحت والدتها القيام بعمل البيت وتنظيفه، فوجدت شكرية بهذا الاقتراح هروباً مناسباً، فتحمست له وشرعت بالقيام به تساعدها والدتها، بينما اتجه والدها وأخواها نحو رقعة الشطرنج يمارسون هوايتهم.

نفّذت شكرية ما كانت قد صممت عليه بالانتماء إلى أحد النوادي الرياضية ذات الأساليب الحديثة بأجهزتها ومدربيها، وحصلت على برنامج مكثف للرياضة البدنية، مما اضطرها إلى تعديل جدول دوام العيادة، تبعه تعديل مواعيد مراجعة مرضاها، ونظمت بذلك جدولاً جديداً لدوام العيادة وأبلغت ذلك إلى لمياء طالبةً منها تعليقه. لكن لمياء وجدت فيه تقليصاً كبيراً للدوام، مما يسبب اضطراباً في مواعيد المرضى، ولكن إصرار شكرية أفهم لمياء بأنها ارتبطت بجدول دوام نادٍ رياضي لكي تحسم أمر العناية بلياقتها البدنية.

زاولت شكرية الرياضة بعنف لمدة تزيد على أربعة أشهر، وشعرت بالتحسن الواضح، وبدأت تجد ما كانت ترتديه غير مناسب لقوامها المعدل، مما اضطرها إلى شراء ألبسة تتناسب مع ما جدّ في جسمها، ومن ضمن الملابس التي اشترتها بنطال من الجنز الضيق وقميص يتناسب مع نمو صدرها. بعد أن جربت بنطال الفتوة ووجدته قد غدا مناسباً.

صحت شكرية في يوم عطلتها متأخرة، وقامت تنظر إلى قوامها في المرآة فوجدت فيه ما ترغب، ثم اتجهت نحو باب خزانتها وأخرجت بنطال الجنز وقميصه وقامت بارتدائها بغية رؤية جسمها بها، وهي تميل نحو اليمين ونحو الشمال وتأخذ الشهيق وتشاهد ارتفاع صدرها، وابتسمت ثم قالت خصرٌ نحيل، وورك ملفوف، وصدر عامر.. أليس هذا ما يريده عصام.

ثم فكرت قليلاً ونظرت إلى ساعتها فرأتها قد تجاوزت العاشرة والنصف فأخذت كراسة الصور (الألبوم) من خزانتها وركّزت على صورة عصام فوجدته مع أسرته وخالته وابنتها يستعدون لمغادرة دارتهم نحو أحد المتنزهات بعد حجزهم طاولة فيه، وغاظها رؤية غريمتها معهم فقررت الإسراع والوصول قبلهم.

خرجت شكرية من دارتها مسرعة، وأبقت على ما ترتديه لأنه يناسب المتنزه وذوقَ عصام، وامتطت سيارتها الفارهة مسرعة لتصل قبل أسرة عصام، وعند وصولها أوقفت سيارتها بموقف مخصص للمنتزه، ودخلت لتجد طاولتهم ما زالت فارغة، فاقتربت من أحد النوادل وسألته

عن الطاولة رقم (٢٨) فأشار نحوها، فقالت أليس لديكم طاولة تشرف على الوادي مثلها، فأشار بيده نحو طاولة مماثلة تحمل رقم (٣٠) قائلاً إنها غير محجوزة.

وضعت شكرية حاجياتها على الطاولة، ونزعت رداءها ليظهر قوامها بلباس الجنز، نظرت بطرف عينها نحو الباب وشاهدت أسرة عصام تقترب منه يتقدمهم عصام ووالدته، وزيادة في إظهار ما وصلت إليه فقد وقفت بشكل يَرَى المتجهُ نحوها جانبَها وقد برز فيه الورك والنهدان، ووجهها نحو الوادي.

وقع نظر عصام الداخل إلى المتنزه على تلك الفتاة وقال لوالدته ما أجمل قوام تلك الفتاة.. ونظرت والدته نحوه متعجبة وقالت بهدوء: هل أعجبتك؟ فقال كثيراً.. فقالت هل تتمناها زوجة؟ فقال طبعاً؛ فهذا القوام أجمل ما رأيت. فقالت إذن فهي لك. فرد هل تعرفينها؟ فقالت طبعاً أعرفها ولو كانت بين مئة فتاة.. واسترسلت ساخرة هذه مَن رفضتها حتى رفضْتَ ذكرَ اسمها. ثم وصلوا وحيَّت أمُّ عصام شكرية باسمها.

التفتت شكرية نحوهم متعمدةً رفع عضلات صدرها محيية، ووجهها ينمّ عن التعجب للقائهم قائلةً ما هذه المصادفة الجميلة.. تسمرتْ عينا عصام نحو قوامها قائلاً في سِرِّهِ: شكرية بهذا الجسم! والله إنها مثل الشمع. وشاهد يد شكرية تمتد لمصافحته، وتم لقاء شكرية مع الجميع وهم يثنون على المصادفات السعيدة، وسرعان ما انتقلوا إلى سؤالها عن طاولتها، وأدهشهم أيضاً قرب طاولتها..

اقترح عصام جمع الطاولتين، ولقي هذا الاقتراح قبولاً، وامتعاضاً من أسمهان ووالدتها، ولكن عصاماً وحساماً نفّذا هذا الاقتراح، وجلست شكرية مع الأسرة تتبادل الحديث، بينما راح عصام يقارن شكرية بأسمهان ووجدت شكرية نفسها قادرة على المنافسة، وأرادت استغلال إعجاب عصام، فاقترحت على أسمهان مرافقتها ورؤية الوادي من قرب الحاجز.

لبّتْ أسمهان الدعوة ورافقت شكرية حتى وصلا الحاجز، وتعمدت شكرية الوقوف بشكل يقارن من يرغب بالمقارنة بين الاثنتين، وتعمدت أيضاً انتصاب قوامها ورفع صدرها، وركزت لتسمعه يقول أين كنت يا شكرية.. الجنز أظهر حقيقة مفاتنك لن أترك أحداً يأخذك مني.

ابتسمت شكرية لهذا القول، ولم يطل انتظارها فقد اقترب عصام من الفتاتين سائلاً عن المناظر الجميلة، ووجد من شكرية ما أثلج صدره، وأشعره بقبولها صحبته عندما أفردت له مكاناً بقربها عارضةً عليه النظر إلى الوادي.

نظر الاثنان في وجه بعضهما نظرة معبّرة عن الإعجاب ولم يتكلما، مما دفع أسمهان التي شعرت بأنها خسرت المنافسة إلى المغادرة مرددة بأنها ذاهبة لتعمل عملاً نافعاً، تاركةً المجال لبثّ ما يجول بصدر المحبين من عواطف. وعرف عصام بأن شكرية تحبه وترغب في الاقتران به، وفاجأها بطلب يدها، فأطرقت رأسها تلوم نفسها لأنها ما حاولت أن تعرف ما يريد بالتركيز عليه، فالمفاجأة ألجمتها، وما حيَّرها هو سرعته باتّخاذ القرار. ثم كرر سؤالها مضيفاً: هل أنت مرتبطة بأحد؟..

نظرت إليه وقلبها يطرق طرقاً قائلةً شوف أهلي. لم يصدّق عصام ما سمع، ثم أمسك بيدها وتلاقت رغبتهما عندما أمسكت يده أيضاً، وسارا معاً نحو مجلس العائلة، والعائلة بنظراتها تبحث عن تفسير لتصرفهما حتى وصلا، وبادر عصام قائلاً: لقد طلبتُ يد شكرية ووافقتْ، ومن الآن شكرية خطيبتي.. ردت والدته والدنيا لا تسعها قائلةً، هذا أجمل ما سمعت، وكادت تفقد توازنها وتزغرد، وتقدمت من الخطيبين تقبلهما ودموع الفرح تنهمر من عينيها. ثم سألْتها عن أفضل وقت لأخذ رأي أهل شكرية، واتفق عصام مع شكرية على الموعد، وغادرت شكرية المنتزه بعد وقت قصير.

عاشت شكرية الأيام التي تلت خطبتها أجمل أيام حياتها، فقد حصلت على الإنسان الذي أحبته بكل جوارحها، وتم تجهيزها وزواجها بوقت قصير. ولفرط حبها وعدم تصديقها امتلاكه كانت تنسى نفسها أثناء تجهيزها وتشتري له.. حتى انتقدتها أمّها وهي التي كانت تظن بأن ابنتها لا يمكن أن تُحب، وما صدّقت أولادها عندما ذكروا لها تعلّق شكرية بعصام.

وفي صبيحة زواجها فتحت عينيها لتجد عصاماً بقربها يبتسم قائلاً: مِن أين لك هذا الجسم الجميل الذي أحبه وأحب امتلاكه؟ فردت شكرية قائلةً: مَن قال إنه سيكون لغيرك.. فلك يا أغلى الناس جسمي وقلبي وعمري.. فرد عصام قائلاً: يسلمُ لي قلبك وعيونك فوجودك بقربي رضا من الله تعالى. وفي تلك الأثناء سمعا قرعاً على باب غرفة نومهما مع

طلب الخروج فوراً لأن طعام الفطور جاهز. ضحك الاثنان وهرعا يرتديان لباس المنزل.

دخل العروسان غرفة الطعام وتلقّيا قبلات الجميع، وخاصة والدة عصام ووالدة شكرية ومُبارَكَةَ الجميع والسعادة تلفهم. مرت الأيام وسعادة شكرية تزداد مع زوجها المحب العطوف الهادئ الرزين، الذي سمح لها بمشاركته بغدواته ومشاريعه حتى إنه أدخلها نادي الرماية وتعلمت استعمال السلاح، وفوجئ يوماً بإصابتها الهدف بدقة بعد مرور ثلاثة أشهر فقط على انتسابها يفوق دقته، وصرح لها بأنه لولا غيرته عليها لتركها تنافس بالمباريات، بينما كان تفكيرها منصباً على تعلم استعمال المسدس وعدم الخوف منه، أما إصابتها للهدف فإن اعتمادها على قدراتها بتقريب الهدف قد حقق الإصابة المثلى.

مرت الأيام وبدأ بطن شكرية يرتفع وظهرت عليها علامات الحمل، غير أنها لم تنقطع عن ممارسة تمارينها الرياضية دون توقف، لأن الرياضة كانت سبب زواجها وسعادتها. وفي يوم عطلته وأثناء احتسائه قهوة الصباح، كان يجلس على الشرفة وينظر بين الفينة والأخرى نحو زوجته وهي تمارس الرياضة قائلاً: أليس من الأفضل التوقف مؤقتاً عن ممارسة الرياضة حتى تلدي؟ فردّت بأن ما تمارسه هو رياضة الحَبل ليس إلا، بل إن هذه الرياضة ستساعدها على اجتياز فترة الحمل، وسيكون الجنين أفضل مع الرياضة، كما أنها تحمي بطن الحامل من التشققات التي تظهر عادة بعد الولادة.. ثم استرسلت أأنت من تطلب مني التوقف، أتخالف إيمانك الراسخ بالرياضة..

وفي أحد الأيام كان عصام في مجلسه يبحث أمر بيع مزهرية فنية مع أحد السائحين؛ سمع رنين الهاتف وكانت المتكلمة والدته تبشره بطفل ولد له بسهولة ويسر، واستغرب سرعة ولادتها وهو الذي غادر البيت منذ سويعات وكانت زوجته عادية لم يظهر عليها عوارض الولادة واسترسلت والدته قائلةً إن صوت الطفل ترافق مع حضور الدكتورة التي وجدته خارجاً، واصفةً إياه بالجميل والقوي. أغلق عصام الهاتف ولسانه يلهج بشكر الله الذي سهل الولادة ووهبه طفلاً. وفي لحظات قام بإغلاق محله، فقد كان شوقه إلى زوجته وطفله يتصاعد بلا فتور..

وفي صباح يوم مشمس كان فيه عصام وزوجته ووالدته يداعبون أمجد الذي يدب بين ثلاثتهم فتتلقفه الأيدي فرحين بنموه وقدرته على السير وسنه لا تتجاوز عشرة شهور، مع نظرات الحب والحنان المتبادلة بين الزوجين السعيدين، ونظرات أم عصام الخفية سعيدةً بهذا الوئام النادر، والطفل ينقّل قدميه متمايلاً وآيلاً للسقوط في كل لحظة.

لم تدم تلك السعادة طويلاً إذ بدأ القلق يتسلل إلى تلك الأسرة الصغيرة، فقد شعرت شكرية بأن زوجها يعاني من أمر يقلقه محاولاً إخفاء قلقه عن أسرته متظاهراً بالسعادة، والدكتورة شكرية لا يَخْفَى عليها تمثيل السعادة وهي القادرة على كشف خبايا الناس، ولكنها لاتريد إحراج من تحب. ازداد قلقها يوماً عندما عاد من عمله مكفهرّ الوجه وغيرَ قادر على إخفاء قلقه، فانتظرته ليفصح عما يقلقه فلم يفعل، إلى أن أوَى إلى فراشه، وبقي كاتماً سر قلقه، ولم يغمض له جفن، فرأت بأن

الأمر أكبر من احتماله، فقررت مشاركته بالأمر، فقامت وأنارت الغرفة ونظرت إلى وجهه المتسائل عن سبب إضاءتها النور في هذا الوقت المتأخر من الليل، و لم ينتظر كثيراً فقد بادرته شكرية بالسؤال عن سبب قلقه وعدم السماح لمن تحبه بالمشاركة قائلةً ألسنا معاً على السراء والضراء؟: وبقي عصام يطمئنها ويدعوها إلى النوم دون أن يفصح عما يقلقه. ولكن إلحاح شكرية دفعه إلى صدّها بحنان، إذ وصفها بالرقيقة غير الثرثارة، وهذا ما يميزها عن أقرانها. وكرر الرجاء بتركه يحل مشاكله، فهو الوحيد القادر على حلها، ثمّ ردد طلبه منها بإطفاء النور والخلود إلى النوم.

لبّت شكرية طلبه وأطفأت النور، ولكنها قررت التدخل بطريقتها الخاصة إذ ركزت على زوجها فاستعرضت أحداث اليوم الذي ولّى وشاهدت جميع من زاروه في محله و لم تشاهد ما يثير القلق. وقبل الإغلاق بقليل دخل المحل ثلاثة رجال، وقف اثنان منهم عند المدخل، وتقدم الثالث نحوه وأعطاه قصاصةً من الورق دون سلام أو كلام وقفل راجعاً، وتبعه مرافقوه.

قرأ عصام الورقة ونظر نحوهم محاولاً استدعاءهم، ولكنهم كانوا قد ركبوا سيارتهم وانطلقوا. قرأ عصام الورقة ثانية وثالثة ورابعة بوجه عابس والحيرة تلفه، ثم دس الورقة في جيبه. وشعرت بأن ما قرأه غير سارّ، و لم يقم بعدها بأي عمل سوى إغلاق المحل والعودة إلى المنزل.

عرفت شكرية بأن ما يقلق زوجها في تلك القصاصة من الورق التي لم تغادر جيبه بعد، فقررت تحيُّن الفرصة وقراءتها، منتظرة أذان الفجر حين يقوم زوجها لأداء الصلاة في وقتها.

سمعت شكرية أذان الفجر، وشعرت بزوجها يغادر فراشه بهدوء حتى لا يوقظها، ثم يغادر الغرفة. فغادرت شكرية الفراش أيضاً وبحثت عن القصاصة في جيب زوجها، وقرأت عبارة تقول جهّز مئة ألف ليرة قبل مساء الغد. أعادت شكرية قصاصة الورق إلى جيب عصام، وعادت إلى فراشها تسأل نفسها عن السبب، ولم تجد مخرجاً سوى أنهم لصوص النهار، وخطرهم يتمثل في الإيقاع بالضحية قبل ابتزازها حتى لا يكون لها ملجأ سوى الدفع. وشعرت بالخوف الشديد وكأنّ شيئاً خفياً قد حثها بأن زوجها في خطر، ولكنها غير قادرة على كشف المستقبل، فكل ما وهبها الله هو التعرف على الماضي فتمتمت، لو أن الله سبحانه منّ عليها بكشف المستقبل لحماية عصام ولو لمرة واحدة.. ثم تساءلت عمّا تحس به من خفقان القلب مع موجات حارّة تغمرها وراحت تتلمس جبينها.

بعد عودة عصام إلى فراشه لم تنم شكرية حتى الصباح، ثم قامت من فراشها نحو المطبخ لتحضير الفطور، ولم تتمالك نفسها فسالت دمعتُها دون أن تتمكن من كبحها، وشعرت باقتراب زوجها من غرفة الطعام فمسحت دموعها وتصنّعت الابتسامة واستقبلته كعادتها، ثم حضرت أم عصام وحسام وتناولوا الفطور ككل يوم، وعادت شكرية وزوجها إلى غرفتهما ليعمل على ارتداء ملابسه ليخرج، وأثناء ذلك أعلمته بأنها تودُّ زيارة أهلها مع ولدها أمجد، واقترحت عليه المرور إلى المحل مساءً لمرافقته فوافق بعد تردد. قبّل عصام زوجته وولده وغادر الدارة.

بعد مغادرة عصام بقليل غادرت شكرية الدارة نحو دارتها، وبدأت منها تركز بين الفينة والأخرى لتطمئن على سلامة زوجها حتى اقترب موعد الإغلاق، فأخذت آلة التصوير بعد التأكد من صلاحيتها وغادرت دارتها نحو محل زوجها قبل اقتراب الموعد الذي وضعوه في قصاصة الورق، ووصلت وكان في استقبالها زوجُها الذي أدخلها إلى مكتبه، وأثناء قيامه بإقفال بعضٍ من خزائنه دخل محلّه الرجال الثلاثة، فتوجه عصام نحوهم حتى لا يُوغِلوا في المحل ويشاهدوا زوجته وطفله بالداخل، كما أسرعت شكرية بتصويرهم دون أن يلحظوا ما تفعل، فقد احتاطت للأمر ولم يَدُرْ بخلدهم أن يكون بمكتب المحل أحد، واستمرت بالتقاط الصور حتى مغادرتهم، فلم يدُمْ دخولهم وخروجهم سوى بضع دقائق كانوا قد أعطوا عصاماً ورقة أخرى، وشاهدته يدسُّها في جيبه ويعود إليها طالباً منها المغادرة لإقفال المكتب، غير أن شكله وتصرفاته أقلقت شكرية التي اقتربت من السيارة وأمنيتُها أن تعرف ما يريدون قبل فوات الأوان.

انطلقت السيارة بعصام وزوجته وابنه دون أن يوجه أحدهما إلى الآخر أي كلمة، وكان الصمت المطبق قد أثار أعصابهما، وبينما كان عصام يقود بسرعة غير معهودة كانت شكرية تتمسك بطفلها خوفاً عليه، ثم تكلمتْ بعنف طالبةً من زوجها التوقفَ فوراً وأشارت إلى رصيف قريب. أذعنَ عصام وخفف من سرعته وتوقف أمام الرصيف، وأعلمتْه أن السبب في طلب الوقوف كان تهورَه وخوفَها من حادث لا

تُحمد عقباه، ودعته إلى ترك المقود وبدأت هي بقيادة السيارة تاركةً الطفل في حِجر أبيه.

وصل ثلاثتُهم بأمان واستقبلتهم أم عصام آخذةً أمجدَ من يد والدته وهي تردد اشتياقها الشديد له، ودخلت به غرفتها بينما اتجه عصام وشكرية إلى غرفة نومهما والصمت يلفهما.

وفي الليل عادت شكرية إلى غرفة نومها بعد أن اطمأنت على ولدها، لتجد زوجها في السرير ما زال صاحياً يحملق في سقف الغرفة. اقتربت منه بهدوء الواثق ودعته إلى مصارحتها بما يجول في خاطره لتشاركه همومه، باعتبار أنه يساوي حياتَها ومستقبلَها راجيةً منه أن يجرب مشاركتها، ولكن عصاماً قاطعها بجفاء، ودعاها إلى الخلود للنوم وإطفاء النور، وأنها تتوهم الهموم لعلمه بأنها وابنَه نِقاطُ ضعفه، ولولاهما لما خضع وقَبِل إنذارَهم، ولكن شكرية الامرأة الخارقة وجدت نفسها مضطرة إلى حمايته بطرقها الخاصة.

سمعت شكرية أذان الفجر، وانتظرت عصاماً حتى غادر الغرفة، وهنا قفزت من سريرها، واستلّت الرسالة من جيب بنطال زوجها وقرأت محتواها، فقد حدّدوا يوم الخميس الساعة السادسة آخرَ موعد لتسليمهم المبلغ دون تُحديد مقداره.

أعادت شكرية الرسالة إلى مكانها وعادت إلى فراشها مشغولةَ الفكر، فخوفها على زوجها له ما يبرره وهي تجد الخطر يزحف نحوه، فكلمة الإنذار النهائي تعني أن حدثاً خطيراً ينتظر زوجها، وسيكون المبلغ

ضئيلاً بالقياس إليه، ثم تذكرت الفيلم الذي صورته لهم مصممةً على تحميضه وإظهاره والتصدي لهم بطريقتها الخاصة، مناجيةً بارئها حمايةَ من تحب.

وفي صباح يوم الخميس الذي ينتهي فيه الإنذار وبينما كانت شكرية تساعد زوجها بارتداء ملابسه في غرفة نومهما، عرضت على زوجها بأدب جم - وهو يطلب الإسراع - أن لا يذهب إلى عمله ويستبدله بمشوار يخفف من توترهما.. توقف عصام عن ارتداء ملابسه ونظر إلى وجه زوجته التي فوجئت بنظراته الحادة، ثم أدخل يده في جيبه وتحسس الرسالة، وبعد ذلك سألها إن كانت قد قرأت الرسالة التي في جيبه فردت شكرية بأنها على علم بمجريات الأمور دون التفاصيل، وأنها ترجوه السماح لها بمساعدته، ولكن عصاماً طلب منها عدم التدخل، وأنه قادر على إبعادهم عن طريقه، وأصرت شكرية وهي ممسكة بسترته، مما دفع زوجها إلى أخذ السترة من يدها بعنف وارتدائها بمفرده وخرج، وهي تتبعه وتسأله أن يعطيها بعضاً من المعلومات عنهم، دون جدوى.

خرج عصام وغليان قلبِها وانفعالاته تزداد وهو يوسوس لها عن أمور خطيرة ستحدث.

وصلت شكرية إلى غرفة نومها وركّزت على عصام لتجده في الطريق يكلم نفسه بصوت مسموع متسائلاً، كيف تعرف كل شيء ومشاركتها غير مجدية، إنها عرضة لأن تكون مستهدفة من قبلهم، فهي من أسباب ضعفي.. أوقفت شكرية التركيز وفكرت قليلاً، ثم رأت أن

من الأفضل إبلاغه بقدراتها وإثبات فعالية تلك القدرات ولو كان ذلك سيكلفها تركه لها. عادت إلى غرفة الطعام لتجد أمجد مع جدته وهما يمرحان، ولاحظت أم عصام شرودَ كنتها وإصفرار لونها فسألتها عن ولدها، وهل غادر البيت مبكراً فهي لم تره عند مغادرته، فكان جواب شكرية بأنه حاول رؤيتك غير أنك كنت نائمة. وسألتها أهناك ما يقلقها.. فأجابت بالنفي.

بقي القلق ملازماً شكرية طوال النهار، وقبل أن يحين موعد انتهاء إنذار زوجها عادت إلى غرفة نومها، وأخرجت الصور التي التقطتها لمجموعة الإنذار، وركزت على كبيرهم فوجدته واقفاً في غرفة أمام صورة، وجالت ببصرها في أرجاء الغرفة وكانت سعتها أكثر من المعتاد، وهي مجهزة ومؤثثة وفيها مكتب وخلفه صورة كبيرة لرجل يقطع رأس غزال أمام جدول من الماء، وتجاعيد وجه الرجل بارزة بوضوح، وبيده سكين ذات نصاب أبيض، وبأسفل الصورة إشارات ضوئية ملونة، والرجل ما زال واقفاً أمامها. ثم بدأ يردد كلمة نعم حتى وصل العدد إلى ست كلمات، ثم توقفت الإشارات الضوئية وترك الرجل الغرفة. وبقيت شكرية مندهشة تتساءل: هل القاتل مجرد قائد مجموعة والصورة جهاز يختبئ خلفه القائد الكبير لتلك العصابة؟؟ وهذا له معنى واحد، هو أن الضحية ليس لها خيار سوى التنفيذ، وأن المجموعة التي تقوم بالملاحقة ليس أمامها إلا تنفيذ ما تتلقاه، وأن زوجي مجبر على الدفع، وفي تلك الحالة فإن جرأته وقوته ستكونان وبالاً عليه، وليس أمامه سوى إبلاغ

الشرطة التي يتحاشاها.. وهذه هي الحلقة المفقودة عند شكرية . ثم انتبهت مرددة يجب متابعة الرجل، وأن أعلم المكان الذي يقبع فيه. ركزت مرة أخرى عليه، فوجدته بسيارته في أحد الشوارع المعروفة، وقد لامت نفسها لعدم متابعة خروجه وبهذا أضاعت مكان تلقيه الأوامر. ونظرت إلى ساعتها فرأتها قد تجاوزت الرابعة والنصف، وكلما اقترب الموعد المضروب للإنذار المسجل في قصاصة الورق ازداد خوفها وقلقها، حتى إنها كانت تذرع غرفة نومها ذهاباً وإياباً طوال الوقت المتبقي، ونظرها لا يفتر عن رؤية ساعتها، حتى اقتربت من السادسة إلا ربعاً، فجلست بجانب سريرها وركزت على زوجها فوجدته يضع مالاً في حقيبة جلدية من صندوقه الحديدي، مكرراً إدخال يده في كل من الصندوق والحقيبة، ثم أغلق الصندوق الحديدي، ووضع مفتاحه في ثقب قريب من الخزانة، وأغلق باب الخزانة.. ثم أغلق الحقيبة جيداً ووضعهاجانباً.

كانت الساعة تدق معلنة السادسة تماماً عندما دخل الرجال الثلاثة، وتقدم الذي شاهدته يتلقى الأوامر منه وسأله إن كان قد جهز المبلغ، فرد عصام بالإيجاب وحمل الحقيبة وقدمها للمتلقي الذي سأله عن العدد، فرد عصام مئة ألف حسب طلبكم، فرد المتلقي بأن هذا المبلغ يعود للطلب القديم أما الآن فالمبلغ مئتان فقد كلفك تأخرك مئة ألف، فرد عصام بأن مئة ألف غير متوفرة، وقد أتم بصعوبة ما دفعه، وأن أسلوبهم بالتعامل مرفوض، وحمل الحقيبة وأعادها لقربه ووقف متحدياً بقوله: إما أن

تأخذوا مبلغكم وتقطعوا ما كان بيننا أو افعلوا ما يحلو لكم. وبقي ينتظر ردة فعلهم التي كانت أن اتجه المتلقي بنظره نحو زميليه وهز رأسه، فخرج المرافقون وعادوا يحملون أوعية بلاستكية وبدؤوا يصبون ما تحويه في أركان المحل، مما دفع عصاماً للقفز من خلف مكتبه واتجه نحوهم ولَكَم الأول لكمة طرحته أرضاً، ثم اتجه نحو الآخر الذي هيأ نفسه للمقارعة ولكنه وجد قوة عصام تفوقه فتلقى ضربة قوية تركته يترنح، ثم اتجه نحو المتلقي الذي أشار برأسه وخرج مع مرافقيه دون أن يكملوا ما بدؤوه، وخرجوا مغادرين بسيارتهم، وعصام ينظر إليهم وهو يقول: من خمسة وثلاثين ألفاً إلى مئتين وغدا خمس مئة ما هذه الورطة التي وقعت فيها.

عاد عصام إلى مكتبه وأعاد الحقيبة إلى صندوقه الحديدي وأعاد مفتاحه إلى مخبئه، ثم جلس ووضع يديه على الطاولة وأسند رأسه عليها، وبعد بضع دقائق قام من مكانه واتجه نحو خارج المحل وأغلقه ثم ركب سيارته وانطلق.

أوقفت شكرية التركيز على زوجها بعدما رأت ما حصل بأعصاب منهارة وخوف شديد، ثم أخذت صورة الذين زاروه وركزت على كبيرهم لتشاهده مع عناصره يصلون إلى مفرق الطريق الواصل نحوهم، ثم يخفون السيارة ويختفون، وبعد قليل اقتربت سيارة منهم تسير ببطء وشاهدت سيارة زوجها خلفها تحاول تجاوزها دون جدوى، ولدى اقترابها خففت من سيرها تاركة عصاماً يخفف أيضاً من سير سيارته، ثم توقفت فارضةً توقف سيارة عصام خلفها، وهبط منها ثلاثة رجال

واتجهوا نحو عصام الذي هبط أيضاً من سيارته، وبدؤوا عراكاً غير متكافئ، ولكن قتال عصام الضاري دفع بالثلاثة الكامنين للتوجه وقتال عصام. غير أن المتلقي لم يشترك ولكنه أشهر مسدسه ينتظر الفرصة المواتية، ثم تقدم وضرب مؤخرة رأس عصام فترنح وسقط أرضاً، وسمعت صوت ثلاث رصاصات انطلقت من مسدسه واستقرت بصدر عصام وهو يردد (مستهين فينا.. خُذ).

صرخت شكرية بملء شدقيها: قتلوه الله يخرب بيتكم؛ واستمرت بالصراخ والعويل وهي تستعد للخروج، فدخلت عليها أم عصام لتجدها كالمجنونة تهذي وتخرج من غرفة نومها بلباس البيت وهي تردد قتلوه قتلوه، وأم عصام تسألها قتلوا مَنْ تكلمي، وهي تقترب من أمجد الذي أجفله صراخ أمه وبدأ يبكي بشدة، فحمته أم عصام تتفحصه، ثم تبعت شكرية وهي حاملة الطفل حتى خرجت من الدارة وهي تردد (قتلوا عصام) وأم عصام تسأل أين عصام؟ كيف عرفت بقتله؟ ولكن شكرية خرجت وانطلقت بسيارتها تاركة أم عصام بحالة سيئة من الذهول والخوف على مصير ولدها، واقفةً عند باب الدارة الخارجي رافعةً يدها تستعطف شكرية وتحمل أمجد باليد الأخرى، ثم انهارت بعد اختفاء شكرية وهي تبكي وتتوسل إلى بارئها حماية عصام من أي مكروه.

وصلت شكرية مكان الجريمة لتجد المكان محاصر والمرور ممنوع، فوقفت أمام حاجز للشرطة، ونزلت من سيارتها وانطلقت مهرولة، فاعترضها الشرطي ولكنها استمرت بالاندفاع وهي تصرخ: اتركوني

أرى زوجي، فتبعها شرطي آخر محاولاً اعتراضها ولكنه لم يتمكن من إيقافها، حتى اقتربت فشاهدها الضابط المسؤول وهي بلباس البيت، فسمح لها بالمرور حتى وصلت إلى جثة زوجها وهي مغطاة بقماش أبيض، أزاحت القماش عن وجهه ثم عن صدره وانحنت تقبله وتناديه باسمه..

تمكن الضابط من تهدئتها بعد أن أفهمها بأن عملها هذا يزيل الدليل المتوقع أن يكشف القاتل به، وأن بصمات القتلة الذين شاركوا لم تؤخذ لعدم وصول مسؤول الأدلة، كما أن الطبيب الشرعي لم يصل بعد، وبدأ بتوجيه بعض الأسئلة، وفي خضم ذلك شاهدت رجلاً يدلي بشهادته أمام ضابط آخر مستغربةً وجود شاهد في تلك اللحظة إذ لم يكن في المكان الذي جرى فيه العراك أي شاهد.

وارت الأسرة جثة عصام، وبدأ الناس يتوافدون على دارتهم لتعزية الأسرة، واستمر ذلك ثلاثة أيام كان صوت المقرئين فيها يتردد في أرجاء الحي، كما شارك والد شكرية وأخواها باستقبال وتوديع المعزين.

مر الأسبوع الأول وتحقيق الشرطة لم ينته، والمحامي سليم يتتبع القضية، ومرت أربعون عصام ولم ينته التحقيق، وبعد مضي ستين يوماً على ارتكاب الجريمة سمعت شكرية نتائج التحقيق من القاضي المكلف، وقد سجلت باسم مجهول.. ثارت شكرية وسألت ألم يكن هناك شاهد؟: وفوجئت بأن الشاهد شاهَدَ عصاماً يطلق النار، وأن بصمات عصام كانت على المسدس الذي كان يحمله، وعندما قالت بأن زوجها لا يحمل مسدساً رد القاضي بتململ: القضية انتهت وسُجلت ضد مجهول.

أما إذا جدّ جديد فسنعيد فتح التحقيق مرة أخرى، ثم التفت إلى المحامي سليم وطلب منه إفساح المجال لمراجعين آخرين. خرجت شكرية مكسورة الجناحين وسارت والمحامي يواسيها بكلمات لاتقدم ولا تؤخر، ثم يطلب منها مراجعته في مكتبه مساءً.

وفي المساء التقت شكرية بمحاميها، وبعد فترة صمت قال المحامي: لو كان زوجك حياً لكان هو المُدان بهذه القضية.. استغربت شكرية قول المحامي الذي استرسل قائلاً: إن التحقيقات ليس فيها شيء إيجابي. فقاطعته شكرية بقولها هل لديك صورة لقاتل مشهور؟ فرد المحامي مستفسراً هل تودين استئجار قاتل؟ هل تعرفين القتلة؟ فردت ليس هذا ولا ذاك ولكن اعتقادي بأن القاتل مأجور وهارب من يد العدالة، فرد المحامي بأنه منذ سنوات ظهر قاتل واختفى دون أن تناله يد العدالة وكان ملثماً، ثم وقف واتجه نحو خزانته وهو يقول: لدي جريدة فيها صورته وبدأ يبحث بين أضابير عن جريدة دسها منذ أربع سنوات، واستمر بالبحث وهو يقول وصوته المختنق داخل الخزانة: الغريب أنني كلما بحثت عن إضبارة كنت أجد الجريدة أمامي، وحين قصدتها لم أجدها. ثم أخرج رأسه من الخزانة يحمل صحيفة يومية قديمة ويعطيها إلى شكرية قائلاً: ما من شيء ينفعك، فهو ملثم، وهو الآن يعيش بيننا دون أن يلحظه أحد، ويمكنه الظهور ملثماً مرة أخرى وسيختفي كما ظهر.

في اليوم التالي دخلت شكرية محل عصام لتجمع جميع الأوراق والفواتير والمستندات في حقيبة جلدية جلبتها معها، كما أفرغت

الصندوق الحديدي من محتوياته بما فيها الحقيبة التي كان ينوي عصام إعطاءها للقتلة، كما دققت الأضابير وأخذت بعضها ونقلتها إلى غرفتها السرية التي عادت إليها تضع فيها ما تعتقد أنه هام.

وفي اليوم التالي وأثناء النهار والجميع جالسون في صالون دارة أم عصام، قدمت شكرية مفاتيح المحل إلى أم عصام مقترحةً قيام حسام بفتح المحل بصفته مالكاً. فردت أم عصام بأن المحل ملك لشكرية وأمجد ولها حصة منه، فردت شكرية بأنها تقصد حصة حسام من أبيه. واسترسلت: صحيح أن المحل باسم عصام لكن لحسام حصةً مثل أخيه، فرد حسام بأنه سيعمل لدى شكرية وولدها ووالدته كمالكين. فردت شكرية أنت لك حصة كأخيك. وهنا قالت أم عصام فيك الخير يا شكرية، ونظرتي فيك ماخابت، بنت أصول. وبعد صمت نظرت شكرية نحو أم عصام التي كانت كلها آذان صاغية وعرضت فكرتها بأنها ستترك أمجد لديها لتتفرغ لملاحقة قتلة عصام، وتقديمهم للعدالة بالبحث عن قرائن لفتح التحقيق مرة أخرى. و لم تجد أم عصام بُداً من موافقتها، بعد أن وجدتها مصممة على السير بالطريق الذي اختطته لنفسها. ولكنها طلبت مواصلة زيارتهم والعودة للعيش معهم عند انتهائها من المحاولة. وكانت دموعها تنساب على خديها، كما فقدت شكرية صمودها وبكت أيضاً، ثم تعانقتا عناقاً شديداً وطويلاً خرج على أثرها حسام يحمل أمجد معه إلى حديقة الدارة.

خرجت شكرية من دارة أم عصام تحمل جزءاً من أمتعتها، وصورة كبيرة لعصام أثناء زفافه وبقربه شكرية متعانقين، واتجهت نحو سيارتها وأم عصام تقوم بتوديعها.

وصلت شكرية دارتها، ووضعت ما جلبته معها في غرفتها السرية، لتنام ليلتها الأولى بعد زواجها في المكان الذي ودعته وودّعت معه الماضي، حيث عاهدت نفسها بالعودة إلى جادة السلام بعد زواجها، وترك الانتقام من قتلة جدتها وملاحقتهم، ولكن مقتل زوجها أعادها إلى النقطة التي توقفت عندها، متسائلةً: هل كتب الله عليها الشقاء.. وبقيت تتقلب في فراشها والكوابيس تلاحقها، وبذرة الانتقام تنمو مصممة على توديع الاستقرار حتى أغفت.

صحت شكرية في الصباح لتجد نفسها في غرفتها السرية، وتمنت لو بقيت نائمة ولا تصحو كي لا ترى الواقع المؤلم الذي انحدرت إليه، فقامت من فراشها وفتحت حقيبتها وأخرجت صورة زفافها وعلقتها فوق سريرها، وبكت زوجها بكاءً مراً حتى إن صوت بكائها قد تصاعد، وحاولت كبح جماحه بقولها إن البكاء لن ينقذ حبيبي، والأفضل لي أن أبدأ العمل وأكشفَ القتلة وسأنتقم شر انتقام.

ثم بدأت بنبش أوراقِ ومستنداتِ وفواتيرَ زوجها، واستمرت بالتدقيق الشديد ورقة ورقة، وبقيت بعملها هذا أياماً عدة، وأثناء ذلك وجدت قصاصة مؤرخة قبل أسبوعين من مقتله تشبه القصاصات التي شاهدتها في جيب عصام تقول: ادفع خمسة وثلاثين ألف ليرة قبل مساء الغد.

هذا يعني أن كل تأخير بالدفع يضاعف المبلغ. ثم نظرت إلى صورة عصام مرددة إنني لم أشبع منه وقد فقدْتُه بسرعة.. وبدأت الدموع

تنساب مرة أخرى، ثم قامت وأحضرت صورة القتلة وركزت على كبيرهم، فشاهدته يقود سيارة في أحد الشوارع، واستمرت بمراقبته حتى توقف أمام ملهى، وشاهدته يرفع يده فوق رأسه ويفتح باباً جراراً ويضع فيه شيئاً، ثم أغلقه وأدار مزلاجه بمفتاح، ثم وضع يده في صندوق السائق الأمامي وأخرجها، ثم أدار مزلاجها بمفتاح، ثم تلمس مسدسه وخرج من السيارة وأغلقها وأدار مزلاجها بمفتاح، ووضع مجموعة مفاتيحه بجيبه واتجه نحو مدخل الملهى. وشاهدت عماله يستقبلونه باحترام.

أنهت شكرية التركيز على صورة الرجل وهي تفكر بعمل شيء ما، فقد دخل الرجل ليسهر وسيقيم بضع ساعات قبل أن يخرج، ووجدت نفسها تقوم من مقامها وترتدي ملابسها وتنتقي مجموعةً من أدوات ومفاتيح حقيبة البدين، ثم حملت مسدسه ووضعتها جميعاً في حقيبة جلدية، وخرجت لتنطلق بسيارتها الفارهة نحو هدفها. واقتربت من موقف سيارات الملهى، وأوقفت سيارتها خلف سيارة كبير القتلة ولم تهبط من سيارتها بل راحت تراقب عمال الملهى والمارة والسيارات القريبة والمتحركة، وفي تلك الأثناء ارتفع صوت الموسيقى المنبعث من الملهى، وتبعه وصلة غنائية لإحدى المغنيات المشهورات فوجدت الوقت موافقاً لضربتها، فهبطت من سيارتها تحمل جهاز فتح الأقفال والمفاتيح واقتربت بهدوء وحذر من باب سيارة كبير القتلة ولم تجد عناءً بفتح قفل باب السيارة، ففتحته وقبعت داخل السيارة وأغلقت الباب دونها، وبدأت بفتح قفل فوق رأس السائق ففتحته أيضاً، ومدّت يدها لتجد

مبلغاً كبيراً من المال فأخذته وتركت الباب مفتوحاً، ثم عالجت قفل صندوق السائق الأمامي ففتحته أيضاً، ومدت يدها لتجد مسدساً مزوداً بكاتم صوت وستة مخازن ذخيرة، فأخذتها جميعاً ووضعتها في حقيبتها وهي خائفة، وخوفها يتزايد بمرور كل لحظة، ثم حملت حقيبتها وخرجت وأغلقت باب السيارة بهدوء، وهي تنظر ذات اليمين وذات الشمال عائدة إلى سيارتها وانتظرت قليلاً أثناء ذلك ثم نزعت قفازاتها، وحركت سيارتها ببطء وخرجت من موقف الملهى، حتى أصبحت جاهزة للانطلاق، وقلبُها يدق بقوة ورجلاها لا تحملانها، ثم انطلقت وهي لا تصدق نفسها بأنها انتقلت من الدفاع الذليل الممزوج بالخوف إلى الهجوم، واخترقت شوارع المدينة والدنيا لا تسعها.

فقد كسرت حاجز الخوف الذي لازمها منذ تاريخ زواجها، وازداد هذا الحاجز وهي ترى زوجها يعاني الأمرّين من ضغوط لا قِبَل له بها، وشعرت بأن شخصاً جديداً يتشكل داخلها له نزعة مختلفة تميل إلى الانتقام والعنف.

وصلت شكرية دارتها وانتقلت إلى غرفتها السرية، تحمل ما تشعر بأنه سيثير زوبعة في صفوف القتلة لم يألفوها من قبل، ووضعت ما جلبته من سيارة كبير القتلة أرضاً، وحملت المسدس وقلّبته بين يديها، وشعرت بأن قوة قد أضيفت إلى قوتها بهذا السلاح الفريد ثم قلّبت المال متسائلة عن الضحية التي ابتزوها هذا اليوم.. وأثناء انتقالها لوضع المال في الخزانة شاهدت صورة القتلة ما زالت على سريرها، فحملتها وركزت على

كبيرهم فوجدته ما زال يلهو في الملهى، وهو جالس وبقربه فتاة تؤانسه، وأمامه طاولة عامرة بالطعام والمشروبات، ثم سمعت اسمه من عمال الملهى، ورددته: سالم بك إذن.. «الله لا يسلّم فيك ولا عظمة» ثم تقدمت منه فتاة شبه عارية عارضة عليه الرقص، واستمرت شكرية بمراقبته دون ملال حتى عاد إلى طاولته.

نظرت شكرية إلى ساعتها فوجدتها عند الثانية عشرة ليلاً، وقد عضها الجوع، وهي ترى طاولة سالم بك العامرة، وشعرت بأن سهرته ستطول فقررت تركه يكمل سهرته ودخلت مطبخها في الداورة لتناول عشائها.

عادت شكرية إلى غرفتها السرية، ونظرت إلى ساعتها فوجدتها قد تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل، ورأت أن تعرف ما يجري في الملهى، فركزت على صورة سالم بك فوجدته يستعد للخروج من الملهى، ركزت جلستها وهيأت نفسها لمشاهدة ما تريد أن تستمتع بمشاهدته بعد قليل.

خرج سالم من الملهى مودّعاً بحفاوة مميزة، معتداً بنفسه مزهواً يمشي كالطاووس، وعندما وصل إلى سيارته وجد بابها مفتوحاً فأنتابته هيستيريا واستشاط غضباً، وبدأت عيناه تلتمعان عندما أوغل داخل السيارة ووجد المكمن السرّي مفتوحاً، وأسرعت يده لتدخل في صندوق السائق الأمامي ليجد مسدسه الحربي العالي التقنية قد فُقد أيضاً، فخرج كالمجنون وفتح صندوق السيارة الخلفي وفحصه ليجد ما بداخله سالماً، ثم فكر قليلاً وجال ببصره حول السيارة، ثم ابتعد قليلاً ببصره متفحصاً الشوارع

والدروب والأبنية المجاورة والدهشة بادية عليه، ثم دخل سيارته وأعاد النظر نحو مكمنه السري فوق رأسه، وأدخل يده يبحث داخله عن الأموال، ثم نظر حوله ثم حوّل بصره نحو الكرسي الخلفي، وبين قدميه، ثم تساءل بصوت مسموع هل هو حرامي؟؟ وكيف للحرامي أن يعرف المكمن السري.. ثم لمعت عيناه ولم يلبث أن انطلق بسيارته وكأنه عرف غريمه. استمرت شكرية بملاحقته وهو ينهب الطريق بسرعة جنونية، ثم خفف سرعته وانعطف نحو شارع جانبي وتوقف أمام بناء البديين، ضحكت شكرية وعرفت بأن مَن شك به هو البدين الذي يستخدمونه لفتح الأقفال، وشاهدته يهبط من سيارته ويدخل البناء، ويصعد حتى الدور الثاني ويقرع الباب الأول، فيخرج البديس بسرعة وكأنه خلف الباب بلباس العمل، واستقبله البدين باحترام جم، وأدخله وهو يستغرب نظراته المتفحصة.. بادره سالم بالسؤال عن مكان وجوده من الساعة العاشرة حتى الآن؟ فرد البدين بأنه مع المجموعة أي رامز وكمال وقد أمضى ليلته معهم في مهمة لم ينتهوا منها حتى الآن، وأنه قد وصل منذ لحظات وهو بصدد نزع ملابس العمل والاتجاه للنوم، واقترح عليه الهدوء ريثما يحضر القهوة. وكان رد سالم بأنه ماجاء ليشرب قهوة وإنما ليعرف أكان هناك من يعرف مكمنه السري في السيارة غير رجلنا كاسم..

ارتبك البدين الذي عرفت شكرية اسمه، وبدأ بشرح أماكن وجوده خلال الليلة حتى لحظة قرع الباب. ثم سأله كاسم أكانت شكوكه قد اتجهت إليه؟ وكان رد سالم فيه شبه اعتذار، وقد انخفضت نبرات الشك

بصوته، وردد بكلمات هادئة بأن السارق شخص آخر.. وتساءل عمن يعرف المخبأ؟ ثم التفت إلى كاسم قائلاً ألستَ مَن صنعه؟؟ فمن يعرف هذا المخبأ سوانا؟! من يقدر على فتحه؟ ألم تقل بأن قفله لا يمكن فتحه بغير مفتاحه.. فرد كاسم بسؤاله، هل سُرقت؟ ومن سرقك يعرف المخبأ، وتمكن من فتحه وسرقة محتوياته..فرد سالم مئة ألف ليرة. صمت الاثنان قليلاً ثم اقترح كاسم على سالم النوم عنده حتى الصباح.

قطعت شكرية التركيز ونظرت بالمرآة ثم ضحكت ضحكة هيسترية وهي ترى وجهها وتقاطيعه، ثم بدأت ترقص والبهجة والسرور يشعان من وجهها، ثم استدارت لتقع عيناها بأعين زوجها في الصورة المعلقة فوق سريرها وبدأت بمناجاته قائلةً، هل أعجبتْك زوجتُك.. فنم يا حبيبي قرير العين، فدمك لن يذهب هدراً، وسأهدر من هدر دمك بسلاحهم، فأنا شكرية التي ستجعلهم يندمون على فعلتهم مدى الحياة. ثم اقتربت من سريرها وقامت بتجهيزه، ثم نظرت إلى ساعتها فوجدتها قد تجاوزت الثانية والنصف بعد منتصف الليل فأوت إلى فراشها وأطفأت النور.

صحت شكرية من نومها الساعة العاشرة صباحاً، بعد نومٍ عميقٍ مستقرٍ لم تعرفه منذ أن تعرّض زوجها للتهديد، وعلائم السعادة ما زالت على وجهها، ثم انحدرت من سريرها وغادرت غرفتها السرية إلى مطبخ الدارة، ونالت قسطاً من طعام الفطور، وقامت بإنجاز واجباتها البيتية وهي تردد أغنية شائعة، وذكريات ليلة الأمس لا تفارقها. ثم عادت إلى غرفتها السرية بعد إنجاز أعمالها، واقتربت من المسدس إحدى غنائم

الأمس وقلّبته بإعجاب شديد وهي تقول: إنه سيكون الرفيقَ الدائم لي. ثم استلت الصحيفة التي عليها صورة القاتل الملثم قائلة، ما زال كثير من المجرمين يسرحون، وهذا أحدهم وركزت على عينيه فظهر في مكان لم تتوقعه، فهو عامل ميكانيك في معمل سجاد بلباسه الأزرق، والزيوت والشحوم على يديه ووجهه. استغربت أن يعيش مجرم خطير من تعبه وتساءلت هل هوايته القتل أم ماذا؟

وعندما خرج من قرب الآلة وجدته قصير القامة نحيلاً وغير مؤهل لأن يكون كما وصفته الصحف، وناداه أحد العمال، إبراهيم لقد هبطت الماسورة.

راجعت الصحيفة مرةً أخرى ورأت تاريخ احترافه القتل، ثم ركزت مرة أخرى على ماضيه وقبل تاريخ انتحاله حتى وصلت إلى السبب المباشر، فقد شاهدته يغادر بيته إلى عمله صباحاً مودعاً زوجته الحامل وقد طبع قبلة لطيفة ناعمة على خدها كلّها حبٌ وحنان، وسمعت كلمات الإطراء التي دارت بينهما، ثم حثته زوجته على عدم نسيان عيد الأم والهدية المناسبة، وقد ربَتَ برقة على بطنها وخرج وهو يوصيها بحماية نفسها وجنينها. وما إن ابتعد قليلاً حتى شاهدت سيارة صغيرة تقترب من باب منزله، وهبط منها أربعة رجال يتقدمهم رجل قوي البنية، ويظهر عليهم أنهم جاؤوا من أحد الملاهي دون نوم والخمرة ما زالت تدور في رؤوسهم، وقرعوا باب منزله بهدوء، ثم سمعت صوت فتح مزلاج البيت، فاقتحم الأربعة المنزل فوراً وأغلقوا الباب دونهم، ثم وضع

أحدهم يده على فم المرأة وحملها، وصعد سلماً وأدخلها غرفة نومها، ثـم مزق ما يسترها حتى وصل رئيسهم، ودخل الغرفة وشاهد المـرأة تقبـع في سريرها وهي تنتحب وترجـوه، ثـم سمعـت صوتـاً يقـول، تفضـل زعيـم، الحرمة جاهزة.. نظرت المرأة نحو الزعيم فعرفته فقال لها أين ستهربين مـني سأنالك. فردت عليه وهي تبتعد نحو زاوية السرير وتجر الشرشف لسـتر جسمها قائلةً، اتركني بحالي فأنا حُبلَى (يستر عرضكم استروني).. ولكـن الرجل تقدم نحوها واستمر يتقدم حتى أصبح بجوار السرير فاندفع للمسها فهربت منه واتجهت نحو النافذة وهي تقول: لا، لا اقتلوني، ثـم صرخـت قائلةً يا ناس يا جـيران، فتبعهـا مرافـق الزعيـم وضربهـا بعقـب مسدسـه، وشاهدتها وهي تقع أرضاً وقد أغمـي عليهـا، وشـاهدت انفعـال الزعيـم والتفاته إلى مرافقه قائلاً، اضربها سكينين وتأكد من موتها لأنها تسـتحق الموت لتفضيلها هذا (الحقير) عليّ.

قطعت شكرية التركيز وهي مندهشة، والخـوف تَجاوزَ الحـدود في نفسها مرددةً ما رأيت ولا سمعت القتـل مـن أجـل نـزوة. وقـد سـاهمت الخمرة في فظاعتها. وازداد شوقها لرؤية ردة فعل إبراهيم الذي بدأت تجله وتحترمه قبل أن تراه، وبعد أن أخذت قسطاً من الراحة وقليـلاً مـن هـدوء أعصابها، أعادت التركيز مرة أخرى لتجد إبراهيم يدخل بيتـه وقـد انتابـه شعور بالريبة، فلم يسمع صـوت زوجتـه ولا حركتهـا عنـد سماعهـا فتـحَ الباب، فانطلق يبحث منادياً سميرة، يا سميرة أيـن أنـت يـا عزيزتـي ولمـا لم يجدها في الأمـاكن الـتي تكـون فيهـا أثنـاء النهـار، صعـد إلى غرفـة النـوم

فوجدها قرب النافذة مضرجة بدمائها فاقترب ووضع أذنه على قلبها الذي ما زال ينبض، فقام مسرعاً لإحضار الإسعاف، وقبل وصوله باب غرفة النوم سمع صوتاً خفيفاً ينادي: مهند، فعاد وسمعها تردد: الزعيم هوّ الزعيم عادل القاتل. وعندما همَّ بالخروج لإحضار الإسعاف شاهد رأسها يلوي، وسمع نَفَسها الأخير، فرجع ووضع أذنه على قلبها الذي فارق الحياة. وسمعت شكرية بكاءه ونحيبه وشاهدته يهزها ويضغط على قلبها بأسلوب هيستيري ثم يناديها بقوله أرجوك لا يمكنني العيش بدونك، أنت دنياي أنت حياتي.. ورأت شكرية نفسها تبكيها أيضاً بشكل قطَع عليها تركيزها، وعادت لواقعها قائلةً، لو كان لدي صورة لسميرة للاحقتها وعرفت أصل مشكلتها مع عادل، ولكن ما أود رؤيته هو مصير الزعيم على يد مهندٍ، ثم فكرت قليلاً، مهند؟ هذا ما قالته زوجته. إبراهيم، هذا اسمه الآن، معنى ذلك أنه استخدم اسماً مستعاراً في حياته بعد وفاة زوجته. ثم نظرت إلى ساعتها فوجدتها قد تجاوزت العاشرة مساءً ، فقامت واضطجعت في سريرها تتذكر ما رأت، ثم خطر لها خاطر متسائلةً، كيف تمكنوا من تصويره؟ فعيونه حقيقية، وإلا لما كان التركيز صحيحاً.. وقامت من سريرها وأخذت الجريدة مرة أخرى وقرأت تاريخ صدورها، وركزت على عينيه فوجدته يخرج من بين الشجر، ويلتفت ليرى امرأة تقوم بتصوير ابنها قرب سيارتها، فشاهدته شكرية كما لو كان قبالتها، فدققت النظر قبل اختفائه وعرفت ما كان يرتدي ويحمل.

قطعت شكرية التركيز وقرأت المقالة التي تقول، (السفاح الأسود يقتل عادل حنيش الملقب بالزعيم وهو من أصحاب السوابق، وتعتقد الشرطة بأن القتل كان صراعاً بين عصابات التهريب). فكرت شكرية قليلاً، وقامت بحساب الزمن فرأت أن قتل عادل جاء بعد قتل سميرة بثمانية شهور فقط، فضحكت وأثنت على مهند ووصفته بالبطل، ثم عادت تقرأ باقي ما كتبته الجريدة، (والبحث جارٍ عن السفاح الأسود الذي تجاوز عدد ضحاياه الأربعة عشر ضحية) فتوقفت عن قراءة الجريدة وأبعدتها لتقول: من أين أتوا بهذا العدد من الضحايا؟ مسكين مهند لو وجدته الشرطة لقتلته دون إنذار.

وفي اليوم الثاني كان اهتمامها منصباً على تأمين لباس أسود بكامل تجهيزاته: بنطاق أسود ذي حلقات قوية، لتحمل جراباً للمسدس وجراباً لأدوات فتح الأقفال وجراباً لسكين. فهذه أوصاف نطاق مهند كما شاهدته. وبقيت أياماً حتى استكملت لباسها. وفي أمسية الليلة الثالثة كانت ترتدي لباساً أسود مزوداً بكامل التجهيزات بما فيه القناع، وهي تنظر في المرآة وتلتفت يمينا وشمالا والسعادة تغمرها، ثم جلبت رداءً أسود ترتديه فوق لباسها الأسود، وشاهدت ما ترتديه مرة أخرى في المرآة.

وفي الصباح التالي صحت شكرية من نومها في الساعة الحادية عشرة ونظرت إلى نفسها في المرآة، ثم اتجهت إلى خزانتها وأخرجت صورة الرجال الثلاثة وهي تسأل نفسها: ماذا يفعل هؤلاء الرجال في يوم الجمعة؟ وركزت على أحدهم فوجدته مع نفس قاضي التحقيق في قضية

زوجها، ووجدتهما يرتشفان القهوة معاً كأنهما أصدقاء، وسمعت الرجل يقنع القاضي الأستاذ منير بأن جريمته لا شهود فيها، والمرأة المغتصبة لم يحصل لها شيء.. فرد القاضي بأنه ساعدهم كثيراً، وأنقذهم من جرائم قتل اقترفوها، ولكن اغتصاب امرأة متزوجة أمر يرفضه. فرد المجرم برفع مبلغ الرشوة إلى مئة ألف ليرة، فرد القاضي يعلّمه الطريق الأمثل للخروج سالماً من جريمته بإرساله شاهداً يشهد بأنه ليلة الحادثة كان خارج المدينة فردّ المجرم شاهد يكفي؟ واسترسل القاضي بقوله: إن المجرم حسب مذكرة الجلب هارب، ووجود شاهد يثبت بأنه خارج المدينة ستكون كافية. ثم طلب منه تسليم نفسه غداً السبت ويترك الباقي عليه.

بقيت شكرية تنظر إليهما بذهول قائلةً: شاهد يكفي وتقفل القضية ضد مجهول؟؟ هكذا تجري الأمور.. ثم سألت نفسها أين هم الآن؟ بما أن القاضي يرتدي بيجاما فهذا يعني أن الاجتماع في بيته. وشاهدت شكرية انتهاء المقابلة وخروج المجرم من منزل القاضي.

استمرت شكرية بملاحقة المجرم بعد خروجه من منزل القاضي وهبوطه خمس درجات ليصل إلى مدخل البناء ويخرج إلى الشارع، ثم يسير مسافة قصيرة في الشارع ويركب سيارته وتنطلق به وتنعطف، وفور انعطافه عرفت شكرية المنطقة والشارع، وكانت قد قرأت رقم المنزل وتعرفت على البناء ببعض العلامات الواضحة.

وفي صباح اليوم التالي انطلقت شكرية بسيارتها نحو منزل القاضي، ودخلت الشارع الجانبي، وأوقفت سيارتها في مدخله وهي تراقب خروج

سكان منزل القاضي، ونظرت إلى ساعتها فوجدتها تشير إلى الثامنة والنصف تماماً، وفي تلك اللحظة شاهدت القاضي يخرج من مدخل البناء يحمل حقيبته الجلدية، فركزت عليه ومن خلاله عرفت أن المنزل فارغ حالياً، فزوجته في عملها، وابنته في مدرستها. واستمرت بمراقبته حتى ركب سيارته وانطلق، فتحركت شكرية بسيارتها حتى مدخل البناء وهبطت منها وهي بلباس امرأة أنيقة حاملة حقيبة جلدية واسعة، ودخلت البناء وصعدت الدرجات الخمس وشاهدت الباب رقم (٢٠) وأخرجت عُدة فتح الأقفال من حقيبتها، وعالجت قفل باب الشقة ولم تجد عناءً في فتحه، فدخلت، وأغلقت الباب دونها. وأول غرفة دخلتها كانت غرفة النوم، وشاهدت صورة تجمعه مع زوجته بلباس الزفاف فدسّتها في حقيبتها، ثم بحثت في الخزانة وأطالت البحث في كل ما هو مغلق ولما لم تجد ما يَدين القاضي دخلت إلى مكتبه، وراعها ترتيبه وتأثيثه والأموال التي صرفت على تأثيثه.. فقد كانت أكبرَ بكثير من دخله، وبدأت تجد ما تبحث عنه، فدست أضابير رأتها قرب مكتبه، ثم عالجت أدراج المكتب وأفرغت محتوياتها بعد فتحها، ثم عرجت على الصور الكثيرة الغالية الثمن المنتشرة بأرجاء الغرفة، وبدأت تقلبها بحثاً عن صندوقه الحديدي، فوصلت إلى صورة بعيدة تمّ تثبيتها بشكل مخالف لغيرها، فوجدت أنّ تحريكها من مكانها له طريقة خاصة، فاضطرت إلى كسرها لتجد الصندوق الحديدي خلفها.

بدأت شكرية بمعالجةِ فتح هذا الصندوق وكانت من أكثر تجاربها صعوبة، فقد بقيت ساعة على الأقل تحاول فتحه دون جدوى، ثم نظرت

إلى ساعتها فوجدتها العاشرة، فوضعت لنفسها سقفاً لا تتجاوزه وهو الساعة الحادية عشرة، فإن أخفقت في فتح الصندوق قبل الحادية عشرة فستغادر دون محتوياته.

ثم تذكرت كاسم وهو يعالج صندوقاً حديدياً مثيلاً له، وتذكرت الآلة التي كان يستخدمها وطريقته في استخدامها، فقامت إلى حقيبتها وجلبت تلك الآلة واتبعت أسلوبه بالمعالجة، ولم يطل معها الوقت إذ سمعت صوت خرادقه تتحرك، فانبسطت أساريرها وعرفت بأنها وجدت الحل، واستمرت بالأسلوب نفسه حتى وصلت نهاية المطاف وفتحته، وأفرغت ما فيه في حقيبتها دون تحديد، وحملت تلك الحقيبة بكلتا يديها فقد كان وزنها يفوق طاقتها، ولكن الخوف الذي تشعر به والرغبة بإثبات ذاتها قد مكّنها من تجاوز ثقلها، وخرجت من الشقة واستقرت في سيارتها، وغادرت المنطقة والسعادة تغمرها وهي تتجه بسيارتها نحو دارتها.

دخلت شكرية غرفتها السرية وهي تحمل كنزها الثمين والتعب والإرهاق باديان عليها ووضعتها قرب الباب، وهوت على سريرها بكامل ثقلها تنشد الراحة محاولة الاسترخاء قليلاً، فنامت نوماً عميقاً أفاقت منه ونظرت الى ساعتها لتجدها الثالثة إلا ثلثاً، فأسرعت نحو الحقيبة وأفرغت كثيراً من محتوياتها حتى وجدت صورة القاضي، فركزت عليها فشاهدت القاضي وزوجته وقد عادا من عملهما وهما يقفان في غرفة المكتب ينظران الى بعضهما بحيرة ودهشة، ثم اقترحت الزوجة العمل

على إحضار الأدلة القضائية والبحث عن بصمات الفاعل، بينما كان زوجها مبتعداً في تفكيره وشكوكه، فرد منير رداً لا يمت الى سؤالها بصلة، إذ اقترح عليها الذهاب مع ابنتها وانتظاره عند أهلها وسيأتي لأخذهما مساءً.

وجدت الزوجة اقتراح زوجها صائباً وهي تظن أنه قصد حماية البصمات من العبث.. انتقل القاضي وزوجته الى غرفة النوم، وقال القاضي كم من الوقت لبث الذين حضروا حتى تمكنوا من العبث بكل أمتعتنا وأخذوا كل ما تملك؟ فردت زوجته كل ما تملك أنت أما أنا فكل أموالي ومصاغي وأمتعتي بأمان، رغم أنهم أخرجوها من أماكنها.. فرد منير بأن هدفهم هو وما يملك. ثم نظر الى ساعته فوجدها تقترب من الثالثة، حينها طلب من زوجته الخروج للقاء ابنتهما خارجاً واصطحابها الى منزل أهل الزوجة. خرج القاضي وزوجته وأغلق الباب دونه، ونظر الى قفله فوجده بحالته الطبيعية فقال ساخراً مغلق جيداً.. والذي فتحه كأنه يملك مفتاحه، وردد (آل عم يقفل آل) وأغلقه ثم أدار مزلاجه مرتين وهو يقول: إني أعرف خبيراً بالأقفال، من الممكن أن أتأخر قليلاً. فاعترضت زوجته على كلمة التأخير قائلةً: إن تأخيرك سيسبب لي القلق فلا تبخل باتصالٍ هاتفي. وفي تلك اللحظة توقفت سيارة المدرسة قرب البناء، وهبطت منها ابنتها رشا، فطلب منير من زوجته هبوط الدرج نحو سيارته التي أقلتهم إلى دار حميه، وعند هبوط زوجته نحو دار والدتها طلب منها مستهزئاً إبلاغ التحية إلى حميه مع الرجاء أن يصونها الله من

الحسد.. نظرت زوجته نحوه مستغربة كلامه، وأنزلت ابنتها وهي توصيه بأن يعتني بنفسه ويعود سالماً.

انطلقت سيارة القاضي نحو هدفها وشكرية تتابعها، حتى خرجت من المدينة لتسلك طريق ضاحية سكنها مع عصام، وكم كانت دهشتها عندما مرت السيارة من أمام دارة أم عصام، ثم انعطفت أمام دارة قاتل جدتها، مطلقاً زموراً متقطعاً. ورأت الحارس يتقدم من السيارة، ويلقي التحية باحترام فيسأله منير عن سالم فيجيب بالإيجاب، وتشاهد شكرية الإسراع بفتح الباب إيذانا له بالدخول، فينطلق بسيارته إلى الداخل دون دليل، ويستمر بالسير حتى باب الدارة وكأنه أحد سكانها، فيهبط من السيارة ويدخل الدارة فيستقبله سالم بغرفة الاستقبال وشكله ينبئ بأمر سيئ، فسأله سالم عمّ دفعه للمغامرة والحضور دون سابق إنذار؟ فرد القاضي بأن مصيبة قد حلت بهم جميعاً، وأن هناك عصابة متخصصة قد اقتحمت منزله وأخذت وثائق هامة وخطيرة.

أبدى سالم اهتماماً كبيراً وطلب منه إعادة ما قال، هل أخذوا الاعترافات أيضا؟ فرد بل أخذوا فوقها المستندات والأموال. فسأله ألم تكن هذه الوثائق في مأمن؟ فرد بأن العصابة فتحت جميع الأقفال دون كسر أو خلع بما فيها صندوقه الحديدي.. فرد سالم بسؤال القاضي هل هم لصوص؟ فكان رد القاضي سريعاً بأنهم ليسوا لصوصاً لأن الوثائق لا تساوي مالاً، كما أن مصاغ زوجته كانت متناثرة على السرير فلم يأخذوها. وقف سالم على قدميه وعيناه تقدحان شرراً..

كيف تمكنوا من فتح الصندوق الحديدي؟ وإذا فقدنا الاعترافات فسنخسر الملايين.. ثم سأله هل عرف أحد بموضوع السرقة؟ فرد منير بأن زوجته فقط عرفت، فقال اتبعني لأخذ كاسم ومعاينة الأقفال.

ضحكت شكرية ملء شدقيها، فقد كانت ضربتها موجعة دون أن تعرف، فقد كان القاضي على وشك مساعدة العصابة باعترافات تجني منها أموالاً طائلة. شاهدت شكرية انتقالهم إلى منزل منير وشاهدت في أعينهم الحيرة والخوف، وقد عبر كاسم عن جهله بما يحدث قائلاً: مَن فتحَ الصندوق الحديدي يملك أجهزة فتح حديثة.. فرد سالم بأنها المرة الثانية. فدارت عينا القاضي وظهر عليه الخوف الشديد قائلاً: إنْ كان هناك مرة أولى فهذا يعني أنني مكشوف لعصابة أقدر، وإذا ظهرت الاعترافات الثمانية فأنا في ورطة حقيقية.. ولتخفيف خوف القاضي سأل سالم أسئلة تتعلق بتحديد ساعة الاقتحام، وأظهر للقاضي وكأنه على وشك الوصول إلى الفاعلين، فقد أمسك أول الخيط ثم سأل القاضي هل الاعترافات تشكل أي خطر على أحد غيرك؟ فرد بانكسار لا تشير إلى غيري، وإذا سئلتُ فلا مفرّ لدي من الاعتراف. وأطرق رأسه وبدأ يبكي.. نظر سالم إلى كاسم وهز رأسه، فأخرج كاسم مسدسه المزود بكاتم الصوت وأطلق منه ثلاث رصاصات استقرت في جسم القاضي.

قطعت شكرية التركيز والذهول والخوف يتملكانها وهي تردد: القاضي أيضاً؟ هؤلاء لا يتورعون عن عمل أي شيء لضمان مصالحهم. ثم نظرت صوب صورة زوجها قائلة أأنت نِدّهم يا عصام؟ إنّ شبكاتهم

محبوكة، ولديهم من يخفي جرائمهم حتى من أهل القضاء. ثم أطرقت رأسها وترقرقت الدمعة في مآقيها قائلة: هكذا إذن تمت تصفية جدّتي وزوجي، أما أنت أيها القاضي فكما تَدين تُدان، غداً يتم تسجيل قتلك ضد مجهول، سبحان الله يمهل ولا يهمل، وسمعت صوت أذان المغرب فتذكرت أنها لم تأكل خلال هذا اليوم ولكن ما أنجزته أثلج صدرها.

أوت شكرية إلى فراشها مبكرة على غير عادتها، فقد كانت مرهقة جسدياً ونفسياً، ولكن بعد مرور بضع ساعات على نومها بدأت تتقلب في فراشها والعرق يتصبب منها وهي تهذي، ثم صحت وجلست في فراشها وهي تفكر وتبحث في داخلها عن سبب استمرار مشكلتها مع سالم وعصابته حية في نفسها حتى وهي نائمة، وطال جلوسها وهي مشبكة الأيدي، ثم نظرت إلى ساعتها فوجدتها الثانية عشرة والنصف، ودون تردد أنارت الغرفة وأخذت صورة سالم وعصابته وركزت على سالم فوجدته في نفس الغرفة المجهولة التي شاهدته فيها أول مرة، يتلقى الأوامر ولكنه في فراشه، وتساءلت شكرية: من أين السرير هل هو من الأثاث المتحرك فلم يكن موجوداً بالسابق؟ وأين تلك الغرفة.

ثم ركزت على الثاني في الصورة فوجدته يقارع الخمر في إحدى البارات قائلة: المال الحرام هذا طريقه، وعلى حساب صحته..

ثم ركزت على الرجل الثالث في الصورة فرأته يهبط من سيارة أجرة فتساءلت: هل عنده ضحية جديدة لاغتصابها؟ وهناك قاض لإنقاذه.. ثم شاهدته يقف أمام بناء وينظر إلى الأعلى ثم يدخل البناء

ويصعد درجه متجاوزاً الطابقين الأول والثاني، ثم يقف أمام باب شقة بالطابق الثالث ويضع أذنه على الباب، ثم يطرق الباب. سمعت شكرية صوتاً نسائياً من الداخل يردد من الطارق؟ فرد من الخارج قائلاً أنا نامق افتحي سَلْمَى. وعندما سألت من نامق هذا؟ قال أنسيتِ صوتي أيضاً، هل زوجك أنساكِ القُدامَى من أصحابك؟ فردت بكلام مكسر ممزوج بالاستجداء راجية منه تركها بحالها، فلها أطفالها وزوج تحبه ويحبها. فردّ بعنف ولهجة التهديد تصاحبها، ثم ردد محذراً بأن الباب سيكسر إذا لم تفتح. فرجته بأن يخفض من صوته قبل أن يصحو زوجها وتكون العواقب وخيمة. فضحك بتهكم قائلاً منذ وقت قريب شاهدت زوجك يعمل في ورديته ولن يغادر عمله قبل الرابعة صباحاً. وهنا قالت أتعدني إذا فتحت الباب ألا تقترب مني وتتركني بحالي؟ أبْدَى نامق قبولاً بشروطها حتى يتمكن من الدخول عندما سمعها تقول انتظر قليلاً ريثما آتي بالمفتاح.

وجدت شكرية نفسها تقفز من فراشها وترتدي لباس الملثم وهي تردد: عرفت المكان وسيغدر بها، ولن تتمكن من الدفاع عن نفسها. ونظرت في المرآة، ثم ارتدت المعطف الأسود وتركت القناع في جيب المعطف،وخرجت بسرعة وهي تعدّ الدقائق، وانطلقت بسيارتها وأوقفتها أمام البناء، وصعدته حتى الشقةَ الثالثة، وعالجت باب الشقة ودخلتها، ثم خلعت معطفها ولبست القناع واتجهت نحو الغرفة التي يجري فيها الحوار، وسمعت صوت تمزيق الملابس وهو يقول لن أخرج إلا بنيلي منك، وسمعت استعطافها ورجاءها ليتركها تعيش مع أطفالها. وحينما صمت

الاثنان عرفت بأن مقاومة المرأة قد انهارت فدخلت عليهما شاهرة مسدسها فبدت علائم الاستبشار في عيني المرأة التي ابتعدت عن نامق، ساحبة قطعة قماش لستر جسدها العاري.

فوجئ نامق بظهور الملثم وعرف بأنه قاتله لا محالة، فقام بمحاولة جريئة عندما نظر نحو ألبسته وشاهد مسدسه، فاندفع للحصول عليه، ولكن رصاصات ثلاثاً كانت قد خرجت من فوهة مسدس شكرية واستقرت بجسد نامق العاري، بينما كانت المرأة تغلق فمها بيدها وهي خائفة من أن تكون الضحيةَ الثانية ولكنها وجدت الملثم يغادر بسرعة، وكانت شكرية وهي تغادر المنزل تحسب حساباً لاستغاثة تصدر عن المرأة تسبب لها مشكلة، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، ووصلت شكرية إلى سيارتها بعد أن ارتدت معطفها وأزالت اللثام عن وجهها، وانطلقت بسرعة نحو دارتها، ودخلت غرفتها السرية، وكانت الساعة قد قاربت الثانية والنصف صباحاً. وعندما بدأت بخلع لباسها قالت يبدو أن هذا اللباس لباس عزرائيل، اضطررت إلى القتل، ولو تمكن من أخذ سلاحه لكنت أنا الضحية.. ثم التفتت إلى الصورة الملقاة أمامها ونظرت إلى وجه نامق وركزت عليه لتجده ما زال مُسَجًّى على سرير سَلْمَى، والشرطة حول جثته تبحث عن دليل، بينما بدت سلمى جالسة على كرسي مرتدية لباسها تنتظر مصيرها. ثم تقدم منها رجل الشرطة وهو يدقق بملابسها الممزقة وقال: إن الشبح الأسود غير موجود، وإنك تحاولين إخفاء القاتل، اعترفي مَن قتله؟ وأثناء ذلك شاهدت زوج سلمى يدخل

برفقة أحد رجال الشرطة وهو يقول: لقد جلبناه من عمله، ولم يغادر عمله في الفترة التي حدث فيها القتل. استمر المحقق بسؤال سلمى عن سلاح الجريمة ومكان إخفائه، وسمعت صوت الزوج وهو يقاطع المحقق ويسألها: ماذا كان يفعل رجل غريب في منزلي؟ وسمعت رد سلمى بأنها مظلومة، والشبح الأسود هو الذي قتله، وكان دخول نامق إلى منزلها عنوة، والدموع تنهمر من عينيها، وشكرية تتعاطف معها. ثم قطعت شكرية التركيز، وعادت لواقعها وارتدت لباس النوم. وبينما كانت تهم بدخول سريرها شاهدت صورة عصام تنظر إليها فقالت: أصبحتُ الآن قاتلة، فقد قتلتُ يا عصام فما الفرق بيني وبينهم؟ فجميعنا قتلة، لقد تورطتُ يا حبيبي وقتلت. ثم أطفأت النور وحاولت النوم بكل السبل ولم تتمكن، فقد كان منظر دماء نامق لا يفارق مخيلتها، مما اضطرها إلى جلب صورة عصام من الحائط، وركزت عليها لتعيد الماضي السعيد الذي كان يجمعهما حتى أغفت.

استيقظت شكرية على صوت ساعتها تدق تسع دقات متواليات، فعرفت بأنها نامت نوماً عميقاً وهنيئاً، وأثناء تحركها للخروج وجدت صورة زوجها، فنظرت إليها بعمق قائلة صباح الخير، وجهكَ يريح أعصابي ويعطيني الثقة والأمل، ثم رفعتها وقبلتها واطمأنت على سلامة زجاجها ثم علقتها، وقبل أن تجتاز غرفتها إلى الخارج شاهدت ملابس الشبح منتشرة على الأرض بلا نظام، فقامت بالتقاطها وتعليقها، وشاهدت المسدس المعلق بنطاق لباسها فحيته وحيت سرعته في أداء

مهمته بقتل نامق، ثم ارتأت أن تعرف ردة فعل العصابة لمقتل أحد عملائها، فجلبت الصورة وركزت على سالم مع تحديد هذا اليوم والساعة الثالثة صباحاً فرأت سالماً نائماً، واستغربت أن لا يكونوا قد أخبروه وقد مر على قتل نامق ساعة تقريباً.. وفي الساعة الثالثة والثلث سمعت رنين هاتفه، فمد سالم يده وتلقف الهاتف، وبعد بضع ثوان قام من فراشه مذعوراً مردداً: من الذي قتل نامق؟ ثم اعتدل في جلسته ليتلقى التفاصيل مشدوهاً مما يسمع ثم ردد: قتل بسلاح نستخدمه نحن.. ثم دعاهم إلى اجتماع في الدارة وبغرفة الاجتماعات. وبعد تركه الهاتف فكر قليلاً ثم قال: مَن سرق سلاحي وقتل نامقاً؟ أصحيح ما يدّعون من أنّ الشبح الأسود ظهر وقتل.. هذا إذا كانت المرأة صادقة، والحقيقة أنه لم يره أحد سواها. قام سالم من فوره وارتدى لباسه، واقترب من صورة الغزال وضغط على توقيع الرسام وارسل رسالة من الإشارات، وكان الرد سريعاً بإشارات أيضاً، ثم صمت الجهاز. وشاهدته يتقدم من مكتبه قرب زاوية الغرفة ويُخرج كتاباً، ثم يدفع المكتبة فتتحرك لتنفرج عن مدخل يطؤه سالم ويعيد المكتبة إلى مكانها، فيدخل ممراً يتبعه سلم يهبط فيه ثماني درجات، ويتوقف أمام مصباح كهربائي فيمسكه ويضغطه ثم يديره نحو اليمين، فينفتح باب يدخله سالم ويغلقه خلفه إلى قاعة. جالت شكرية ببصرها لتجد قاعة غريبة ببنائها وأثاثها، فلا نوافذ إلا مدخلاً منظوراً واحداً، وشاهدت الأسلحة الرشاشة معلقة بنظام، وفي وسط القاعة طاولة واثنا عشر كرسياً، وشاهدت سالماً يجلس ونظره متجه نحو جهاز مثبت فوق الباب المنظور، الذي بدأ يطلق صوتاً خفيفاً. ثم شاهدت بعدها

أضواءً متتالية ظهرت على الجهاز بلون أبيض، وبعد لحظات يدخل العدد الموازي للأضواء حتى وصل عدد المجتمعين أحد عشر وعدد الأضواء عشرة، شاهدت بعدها إغلاق الباب الوحيد، وعند جلوس الجميع كان هناك كرسي فارغ. عرفت شكرية بأن الأضواء ترمز إلى عدد الحضور، ثم نظرت إلى الطرف المقابل للوحة الأضواء المضيئة فوجدت لوحة أخرى لأضواء بألوان حمراء ترمز إلى عدد حضور الغرباء، فقالت إنها دقيقة التنظيم، حتى قائدها غير معروف، يحضر الاجتماعات ويصدر الأوامر بواسطة جهاز. ورأت بين الحضور قاتل جدتها، وعرفت بأن هذا القاتل له مكانة أيضاً في المنظمة.

افتتح سالم الجلسة بقراءة تقريرٍ أعدّه وأوضح فيه الضربات التي تلقتها المنظمة في الآونة الأخيرة دون أن تتمكن من تحديد مصدرها، وآخرها كان مقتل نامق في مكانٍ لا يمكن معرفته، حيث فاجأه قاتله في منزل مغلق الأبواب وبعيد عن الشبهات، وهذا يعني أن هناك من لديه من التقنيات ما يمكّنه من ملاحقتنا واصطيادنا بدقة متناهية، وقد صدرت الأوامر من القائد بفحص منازلنا وسياراتنا وأجهزة الهواتف لدينا خوفاً من وجود أجهزةِ تنصُّت أو أجهزة أُخرى. أما موضوع القاتل فادّعاء سلمى بأنه الشبح الأسود ادّعاءٌ كاذب، فمن المعتقد أن سلمى اتصلت بعد أن عرفت مَن في الخارج. بالقاتل لتقتل نامقاً وتتخلص من ملاحقته لها، وهذا الافتراض الأقرب إلى الواقع من افتراض الأجهزة، أما إذا ظهر الشبح الأسود وهذا افتراض بعيد فلقد انتهت معركتنا معه على حد

علمي، بعد مقتل رجالنا الأربعة وعلى رأسهم رئيسنا السابق عادل، وكانوا من أكفأ الرجال. ثم التفت إلى أحدهم قائلاً: رامز اشرح لهم تقرير الشرطة. وعندما بدأ رامز بالكلام نظرت إليه شكرية بإمعان قائلةً: هل هو شرطي؟ وكيف توصّل إلى التقرير بهذه السرعة... مع اعتقادي الجازم بأن المسؤول في الشرطة لم ير التقرير بعد.. ثم عادت لحضور الجلسة خوفاً من أن تفوتها قراراته، ولم يطل الاجتماع كثيراً وسمعت شكرية القرارات التي تقضي بوقف النشاط، والبحث عن الملثم وقتله إن وجد، مع بقاء سالم في الدارة حتى ينجلي الموقف.

رأت شكرية المجتمعين وهم يغادرون فُرادَى، حتى لم يبق إلا سالم وقاتل جدتها الذي عرفت اسمه عندما ناداه سالم يا حسان ابق قليلاً فلديّ حاجة أود أن تخدمني بها. وعندما غادر الجميع ولم يبق سوى سالم وحسان التفت سالم قائلاً: أود رؤيتك في غرفتي بعد ساعة، فرد حسان بالإيجاب وغادر القاعة. بقي سالم قليلاً وشكرية تلازمه، ثم خرج من الباب الذي دخل منه متّبعاً بفتحه الزجاجة الكهربائية، وخرج إلى البهو، وعوضاً من الصعود إلى غرفته رأته يهبط إلى أسفل بست عشرة درجة ووصل إلى ممر، فسار فيه حتى بلغ آخره ووقف قُبالة زجاجة كهربائية أخرى، فضغطها وأدارها نحو اليمين ليخرج إلى مرآب الدارة وأغلق الباب دونه، وسار قاطعاً المرآب حتى وصل إلى مدخله، فاقترب من زاوية وضغط برجله على دواسة ففتح الباب جرّاً، فرأت خروجه نحو الطريق الواصل إلى مدخل الدارة الرئيسي، وبعد خروجه ضغط على دواسة

أخرى خارجاً فشاهدت الباب يعود إلى ما كان عليه، ثم عرّج نحو مدخل دارته سائراً عل قدميه بهدوء شديد حتى وصل إلى مدخل بناء الدارة، وصعد درجاته الخمس ليصل إلى باب معدني مزركش، فيدفعه ليُفضي إلى صالون واسع فقطعه ليصل إلى سلم واسع أيضاً، يصعد فيه ليصل إلى ممر طرفه الأول يشرف على الصالون أما طرفه الثاني فهناك سلسلة من الغرف المغلقة، ووصل بسيره إلى الغرفة الثالثة وفتح بابها بمفتاح يحمله ودخلها وأغلق الباب خلفه، ثم تقدم في الغرفة ليصل إلى طاولة في وسطها، فجلس خلفها ثم فتح الدرج الأوسط وقد ركّب فيه قطعة أليكترونية ذات أزرار سوداء ومقبض أسود اللون، فضغط على الأزرار بأصابعه ثم أدار المقبض ففُتح خلفه باب، دخله سالم بعد أن حمل بيده شيئاً كان على الطاولة ملفوفاً بعناية، ورأت سلّماً مزركشاً ينزل سالم درجاته الثماني لتجد قاعة كبيرة تحوي نفائس وتحفاً رتبت بذوق رفيع، فكأنها مُتْحَف أو مَعْرِض، وجالت شكرية ببصرها في نفائس هذه القاعة، بينما كان سالم يزيل الورق الملفوف على القطعة التي يحملها فظهرت وكأنها مصوغة بالماس، فلمعانها يسر النفوس ويبهجها، ثم تقدم نحو مكان مرتفع ووضعها فيه، وكم كانت دهشتها كبيرة عندما شاهدت العاشق والمعشوق هديتها إلى عصام في عيد ميلاده قريبة منها، نظرت بعمق قائلةً هذه هديتي فكيف حصلوا عليها!؟ مؤكد أنهم حصلوا عليها عنوةً، فعصام لم يفرط فيها البتة. وفي تلك اللحظة رأته ينظر إلى ساعته ويخرج على عجل حتى يصل إلى الممر، ويسير فيه حتى آخر غرفة فيدخلها، وتفاجأ شكرية بأن تلك الغرفة هي مركز قيادة المنظمة، وهي

غرفة نوم سالم والصورة بداخلها، وأثناء تجوال نظرها بالغرفة سمعت صوت نقرٍ على الباب وصوت سالم بالسماح للقادم بالدخول.

دخل القادم حسان قاتل جدتها محيّياً، فطلب منه سالم الجلوس وسماع ما يود تكليفه به، وهو لقاء صبحية صديقة سالم في مطعم الجامعة، فهي ستنتظره هذا اليوم الساعة الثانية، وهو يود إبلاغها أن تأتيه مساء الساعة السادسة هنا في الدارة، وحتى تتمكن من دخول الدارة لأن أحداً لا يعرفها من الحرس فعليه إعطاؤها سيارة سالم المارسيدسْ البيضاء، فهي كلمة السر بالنسبة للحرس، وقدّم إليه مفاتيحها قائلاً حتى لا يكون هناك التباس بلّغ الحراس بدخول الفتاة بسيارتي الساعة السادسة.

غادر حسان غرفة سالم يحمل مفاتيح سيارته، فغادرت شكرية معه لكي ترافقه برحلته حتى لا تضيعه فليس لديها صورة له لكي تجده عندما تريد، وحضرت معه توصية الحراس ومغادرته الدارة حتى وصل الجامعة، ودخل مطعمها وكانت الساعة تقارب الواحدة والربع عندما شاهدت صبحية تدخل المطعم تبحث عن سالم، فرفع يده لكي تراه فتوجهت نحوه مبتسمة، وعند وصولها سألته عن سالم الذي وجدت سيارته خارجاً واستغربت حضوره مبكراً.

سمعت شكرية شرح سالم لصبحية التي لم تقتنع بالأسباب التي منعته من الحضور، ولكنها وافقت وهي عارفة بأنه سيتفرد بها في دارته، ثم قدم لها مفاتيح السيارة، وخرجت من المطعم تطقطق بها والدنيا لا تسعها، فتبعتها شكرية تاركة حسان بغية التعرف عليها وعلى بيتها

وأسرتها، فمن الممكن أن تكون الأداة المناسبة للوصول إلى غريمها وقاتل زوجها، وبواسطتها تصل إليه وتقتله وتريح المجتمع من شروره.

انطلقت صبحية مزهوة بقيادة سيارة مرسيدس بيضاء فارهة بسرعة كبيرة، متهجة نحو إحدى الضواحي الهادئة القريبة من المدينة، ثم انعطفت نحو شارعٍ جانبي وأوقفت السيارة في ظل البناء، ونزلت منها وهي تمايزها من كل أطرافها، ثم تدخل البناء المجاور حتى الطابق الثاني، وتدخل شقة متواضعة دون سكان، ويظهر بأنها ليست من المدينة وإنما هي طالبة مستأجرة سكناً سياحياً، وبدأت بخلع ملابسها وصوتُها لا يفتر عن ترديد الموسيقى والغناء، والسعادةُ باديةٌ على محيّاها، ثم دخلت حمامها وسمعت شكرية صوت الماء، واستمرت شكرية بانتظارها حتى انتهت من حمامها، ثم شاهدتها تقوم بتصفيف وتنظيم شعرها، ثم لفّته بلفائف بلاستيكية، ثم لفّت شعرها بمنديل ونظرت في ساعة مكتبها فوجدتها الثانية والربع، فحملت الساعة ووقتتها على الساعة الرابعة، ثم حسبت الوقت بصوت مسموع بأنها ستكون جاهزة مع الخامسة، وستغادر في الخامسة والنصف لتكون بجوار حبيبها سالم في الموعد المحدد، ثم دخلت سريرها.

انتبهت شكرية إل نفسها بأنها منذ الصباح لم تقم بأي عمل، والجوع قد عُضّها، ووجدت متسعاً من الوقت لمرافقتها بالنظر، ثم فكرت قليلاً وقالت: لماذا لا أخطط لمرافقتها بشكل فعلي..

اختمرت برأس شكرية فكرةٌ قررت تنفيذها، فقامت لساعتها ودخلت مطبخها ثم حمامها ثم بدأت تبحث عن ألبسة مغرية في خزانتها،

واهتمت بشعرها وزينتها، ولم يحن الوقت حتى كانت شكرية بكامل زينتها، ثم جلبت حقيبة واسعة ووضعت فيها ملابس ومعدات الفارس الأسود وهي تنظر في ساعتها حتى لا يفوتها الوقت، وانطلقت بسيارتها نحو الضاحية فوصلتها في الخامسة وأوقفت سيارتها قريبة من سيارة سالم، وهبطت منها وسارت بهدوء نحو سيارة سالم متوخية الحذر من رؤية أحدٍ لها، وأخذت تستعمل الأداة في فتح سيارة سالم فتم لها فتحها، فدخلتها وأعادت إقفالها، ثم انتقلت إلى الكرسي الخلفي، فخلعت اللباس النسائي وارتدت لباس الفارس الأسود، واختفت خلف الكرسي تنتظر ظهور صبحية.

وما إن أشارت الساعة إلى الخامسة والثلث، حتى ظهرت صبحية تتهادى في مشيتها كطاووس اكتمل بهاؤه وهي بكامل زينتها، واقتربت من السيارة اقتراب الواثق المطمئن، وأدارت محركها وانطلقت دون أن يدُورَ بخلدها وجود أحدٍ فيها، وانعطفت نحو الضاحية الموسرة، خارجة من الطريق الرئيسي المطروق حتى وصلت قرب مكان منزلٍ ريفي منعزل، وهنا ظهرت شكرية بلباس الملثم الأسود شاهرة مسدسها، طالبة من صبحية الانعطاف نحو المنزل والتوقف، انصاعت صبحية للأمر وقد صدمتها المفاجأة، وخففت من سيرها ودخلت مدخلاً ترابياً حسب تعليمات شكرية، وأوقفت السيارة وهي ترجو عدم المساس بها، والخوف الشديد قد تملكها.

قامت شكرية بإنزال صبحية وتوجيهها نحو الكوخ تحت التهديد، وصبحية تقول كلاماً كله ينصبُّ حول براءتها وبعدها عن المشاكل، ولكن شكرية بقيت صامتة حتى أدخلتها الكوخ، وقامت بتقييد يديها ورجليها وكممت فمها جيداً، ثم خرجت ودخلت السيارة ونزعت لباس الملثم ووضعته في الحقيبة وارتدت لباساً نسائياً مغرياً وأخفت مسدسها فيه جيداً، ثم حسّنت من زينتها وشاهدت وجهها في المرآة فرأت جمالاً أخاذاً لم تعهده منذ وفاة زوجها.

انطلقت بالسيارة مسرعة وغير مترددة وقلبُها يخفق بشدة، حتى وصلت مدخل الدارة فأطلقت بوق السيارة المتقطع حسب التعليمات، فأطل أبو محمود حارس البوابة من الفتحة، وشاهدت الباب ينزلق نحو اليمين واليسار حتى أصبحت الفرجة بين البابين كافية لدخولها، فانطلقت ونظرت بالمرآة لتجد أبا محمود ما زال يلاحقها بنظراته، فركزت عليه لتجده يحسد رؤساءه على الفتيات الجميلات، فزال خوفها بعد سماعها أقواله، واقتربت من البناء، وعوضاً من استمرارها بالسير حتى مدخل الدارة توقفت خلفها قرب المرآب.

هبطت شكرية من السيارة بسرعة، واقتربت من الدواسة الأرضية وضغطت علٰيها بقدمها فانفتح باب المرآب، فدخلته واجتازت المرآب إلى زاويته، ووقفت قرب الزجاجة الكهربائية وضغطتها وأدارتها نحو اليمين كما رأت سالماً يفعل، فانفتح باب يوصل إلى سلم فاجتازته، وصعدت ست عشرة درجة لتجد الممر، فسارت فيه حتى وصلت إلى نهايته،

وتوقفت أسفل الزجاجة ودفعتها وأدارتها نحو اليمين فانفتح باب القاعة، فتقدمت داخلها وأخذت منها سلاحاً آلياً جاهزاً، قامت بفحصه واختبار جاهزيته ثم عادت أدراجها إلى الممر، وصعدت ثماني درجات حتى وصلت إلى الزجاجة المخصصة لفتح الخزانة، ولكي تطمئن قبل الاقتحام أخرجت صورة سالم من صدرها وركزت لتجده وزميله حسان واقفين بالشرفة ينتظران صبحية، وهما بلباس الرياضة القصير والمضارب بأيديهما، وكأنهما عائدان من ملعب التنس وظهراهما نحوها.

وجدت شكرية الفرصة مواتية فأدارت الزجاجة الكهربائية بعد ضغطها، ودفعت الخزانة التي انفلت مزلاجها ببطء وحذر حتى أصبحت كافية لمرورها، فتسللت منطلقة نحو الباب الفاصل بين غرفة النوم والشرفة، فتنبه الاثنان لوجود حركة خلفهما، وقبل أن يتمكنا من أي عمل يحبطُ مساعيها كانت الرصاصات تنطلق غزيرة نحوهما، وسقط الاثنان مضرجين بدمائهما.

لم تفقد شكرية شيئاً من هدوئها واتّزانها، بل ألقت بالسلاح أرضاً وعادت من حيث أتت تغلق ما فتحته، حتى اجتازت المرآب وأغلقته أيضاً، ثم وضعت على فمها لاصقة وبيديها المغطاة بالقفاز أنشوطة ثبتتها بمقود السيارة، وقيدت يديها فيها لتوهم بأنها ضحية، وانتظرت ظهور الحراس الذين سمعوا إطلاق النار. ولم يطل الوقت فقد أطل أحد الحراس من النافذة ليجد فتاة مقيدة بسيارة سالم، فحملق بها وشاهد القيدَ والخوفُ الشديد ظاهر عليها، ثم اقترب وفتح باب السيارة وأزال

اللاصقة عن فمها، وحرر يديها وبدأ بسؤالها وهو يعلم أنها صديقة سالم وقد حضرت بسيارته، وسألها عمن فعل بها هذا، فأعلمته بأن رجلاً ملثماً يلبس السواد، أوقف سيارتها قبل وصولها إلى مدخل البناء، وفعل ما تراه. اضطرب الحارس وظهر عليه الخوف وقال الملثم الأسود!؟ هذا قاتل خطير.. وفي تلك اللحظة حضر حارس آخر وأخبره الأول بما حصل للآنسة، كما أبلغه الثاني بمقتل سالم وحسان. وعندها أخبره الحارس الأول بأن مَن قيّد الآنسة هو الملثم الأسود، فظهر على الحارس الثاني الارتباك والخوف فأشهر سلاحه وأخذ يلتفت يمنة ويسرة، ثم التفت إلى شكرية وطلب منها مغادرة الدارة فوراً حتى لا تكون عائقاً.

وجدت شكرية فرصتها قبل أن يغير الحراس رأيهم، فانطلقت حتى مدخل الدارة، فوجدت أبا محمود يسهل لها الخروج ويفتح الباب، فانطلقت خارج الدارة بسيارة سالم لا تلوي على شيء، وباجتيازها المدخل شعرت بالأمان وانحصر تفكيرها فيما ستفعله بعد خروجها فقد أكملت ما خططته. ووصلت إلى البيت المهجور الذي وضعت فيه صبحية، فوصلته والليل بدأ يرخي سدوله، فوجدت صبحية بحالة سيئة وهي تبكي.

تقدمت شكرية وحلت وثاق أرجل صبحية وأخرجتها حتى وصلت إلى السيارة، فأدخلتها إلى المقعد الخلفي ثم أعادت تقييد رجليها، وأنزلتها إلى قاع السيارة بأسفل المقعد وأغلقت الباب. ثم أدارت محرك السيارة متجهة نحو الضاحية التي تقطن فيها صبحية، ووصلت وكان

الوقت قد تجاوز العشاء بقليل وكان الليل شديد السواد، واقتربت من سيارتها وأوقفت سيارة سالم خلفها، ثم نزلت ونقلت أمتعتها، ووجدت صورة لصبحية في حقيبتها فأخذتها إلى سيارتها، ثم عادت إلى سيارة سالم وفتحت الباب الخلفي ونزعت قيد قدمّيْ صبحية، ثم أغلقت الباب، وعادت إلى سيارتها لتنطلق نحو دارتها فوصلت والتعب والإرهاق والجوع قد تجاوز المدى، فاستلقت على سريرها دون أن تنزع ما ترتديه من ألبسة حتى الحذاء والقفازات، وراحت في سبات عميق.

صحيت شكرية من نومها في اليوم التالي ظهراً، ونظرت إلى ساعتها لتجدها تشير إلى الثانية عشرة والنصف وما زالت مرتدية كامل ألبستها، فقامت متثاقلة ونزعت ما عليها من لباس وأعادت ارتداء ملابس الحداد، ثم قبّلت حقيبة اللباس الأسود ووضعت المسدس فيها وأودعتها خزانتها باحترام بالغ، وكأنها تودع أخاً عزيزاً وصديقاً وفياً.

دبَّ الحنين المفاجئ في صدر شكرية، حنين الأمومة والحياة الهادئة، وشعرت بالفراغ الذي لم تتوقعه، فقد أنجزت ما وجب عليها إنجازه واستقرت نفسها، ثم بدأت تبحث عن أمتعة العودةَ إلى بيتها، وكان آخرها صورة زفافها مع عصام، ونظرت إلى الصورة قبل أن تضعها فوق ملابسها وقبل إغلاق حقيبتها، فضمتها إلى صدرها بقوة وهي تردد: لقد ذهب قاتلوك وبقيتَ أنت، فلن تبرح عيني ولا قلبي. وأثناء مغادرتها غرفتها السرية راحت تنظر إلى أسرارها فيها قائلة: لقد كنتِ خير معين وجعلتِ السّكينة في نفسي وحفظتِ جميع أسراري.. ثم غادرتْها والدموع تترقرق في عينيها.

أوقفت شكرية سيارتها أمام بائع الصحف، واشترت نسخة من كل صحيفة من صحف ذلك اليوم، وقرأت تعليقاتها. وأكثر ما أثار اهتمامها خيال المعلقين، كما قرأت وصف صبحية للملثم، ثم قرأت الخبر مجرداً واصفاً عملية القتل بالبراعة والدقة.

سمعت أم عصام فتح الباب الرئيسي للدارة وإغلاقه، فأطلت لتشاهد شكرية بلباس الحزن تدخل دارتهم وهي تحمل أمتعتها، فعرفت بأنها عائدة وليست زائرة، فاندفعت نحوها مرحبة مشرقة الأسارير بعودتها، واستمر عناق الاثنتين وقتاً ليس بالقليل والدموع تنهمر من أعينهما، ثم عاتبتها لعدم تنفيذ وعدها بزيارتهم مرتين في الأسبوع، واستمرت الاثنتان بالسير بهدوء حتى وصلتا إلى سلم الدارة، فسمعتا صوت أمجد فقالت أم عصام لقد استيقظ أمجد، فأسرعت الاثنتان ودخلتا غرفة نومه فوجدتاه يسير باتجاه الباب، فجلست أمه القرفصاء وعانقته عناقاً شديداً قائلة: لن أتركك أبداً، وسأعيش لك ومن أجلك. ثم استدارت نحو جدته وسألتها عن طباعه، وكان الرد مفعماً بالحب العميق والحنين الجارف.

فوجئت شكرية التي لم يمض على وصولها ساعات بقول أم عصام لها بأنهم غير قادرين على العيش من دونها هي وأمجد، فعندما سألتها شكرية منْ أنتم؟ ردت أم عصام أنا وحسام الذي طلب يدك مني، فنظرت شكرية في وجه أم عصام مرددة في سرها هذا الأمر لم أحسب حسابه، وما كنتُ أعلم بأن حساماً أحبني أو أنه سيحبني يوماً.. كررت أم عصام السؤال وأضافت: بماذا تفكرين؟ هل فاجأك الأمر.. فردت

شكرية بأن الأمر بحاجة إلى تفكير، وطلبت إمهالها بعض الوقت ظناً منها أنه راغب بثروتها.

وفي المساء حضر حسام وظهرت عليه السعادة بوجود شكرية، التي وصفها بأنها نور دارتهم. وبعد الطعام وأثناء شرب الشاي نظرت شكرية إلى وجه حسام، مركزة عليه عائدة إلى أول لقاء بينهما، فرأت نظرات الإعجاب وسمعته يصفها بصاحبة الجمال الأخاذ، وذات الأعين الساحرة، فقالت هكذا إذن.. الحب من أول نظرة.. وللتأكد من عواطفه قامت في صباح اليوم التالي أثناء شرب القهوة في شرفة الدارة بالتركيز على حسام لتعرف ماجرى بينه وبين والدته بالأمس، لتجده قد علم بما طرحته والدته على شكرية، ورأت ردة فعله واهتمامه بموافقتها، ولازمته حتى دخل غرفة نومه، ثم شاهدته يخرج صورتها وينظر فيها يقبّلها ويردد كم تمنيتك يا حبيبتي.. ورددت شكرية لقد أحبني وأنا لم أُعِرْهُ أيّ انتباه.

غادر حسام الدارة، وقاطعت أم عصام أفكار شكرية عندما سألتها عمّا حلّ بقضية عصام، وهل أثمر سعيُها بالوصول إلى قاتله، فردت شكرية بالنفي. ثم سألتها عن رأيها بالزواج من حسام، فردت بالإيجاب. وكان فرح أم عصام كبيراً، حتى إنها قامت من مقعدها وقبّلت شكرية وهي تبارك للخطيبين.

غادرت شكرية الشرفة ودخلت غرفة نومها المغلقة منذ مغادرتها الدارة، وقامت بكشف ستائرها وإدخال النور إليها، ثم جالت ببصرها في أرجاء الغرفة التي هي أقرب إلى المتحف من غرفة النوم، فوقع بصرها على صورتها مع عصام يوم زفافهما، فاستسلمت للبكاء ونزعت الصورة من مكانها وضمتها بشدة إلى صدرها، ثم نظرت إلى وجه عصام وقبّلته كثيراً

تستأذنه قبول أخيه في فراشها، وتعتذر لإقدامها على ذلـك مُلْقيةً اللوم على سُنّة الحياة.. ثم ركـزت عليه وقـالت أحببتـك و لم تحبـني، ورغبـتَ بجسـدي ولفظت روحي، وأخفيتَ كل مـا يربطـك بالقتلـة. ثـم تسـاءلت هـل مكـان هديتي في عيد ميلادك في مجمع نفائسهم؟ ثم قامت بمسح زجاج الصـورة مـن دموعها المنهمر، وبدأت بتنظيف الغرفة. وعندما قامت بتوزيع ما جلبته معها من أمتعة في الخزانة، وجدت الصحف التي جلبتها معها لكي تقرأ ما قيل عـن مقتل سالم، فوجدت نفسها تحجم عن قراءتها، وقررت اعتبارها قطعة من الماضي الغابر، ومكانها سيكون في غرفتها السرية.

وفي اليوم التالي دخلت أم عصام غرفة نوم شكرية الـتي كانت تداعـب طفلها، فوقع بصرها على سريرها فلم تجد صورة عصـام في مكانهـا، فعرفـت بأن شكرية قد قلبت صفحة الماضي وهـي بصـدد فتح صفحة جديدة في حياتها المقبلة.

انتهى الجزء الأول

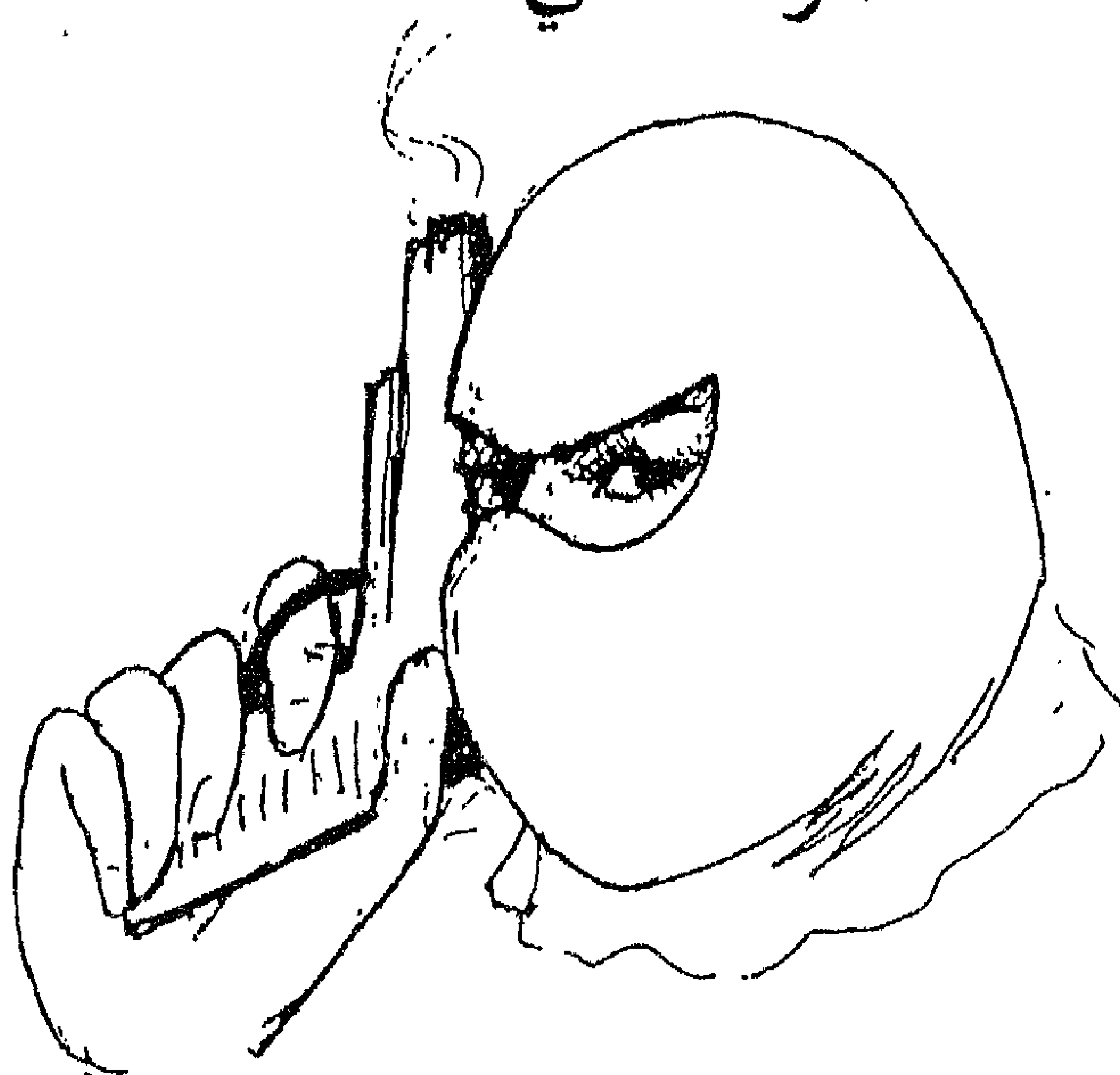
ويليه

الجزء الثاني

قصص للجميع

الخارقة

الجزء الثاني



لقد كان إعلان خطبة شكرية من حسام مفاجأة للجميع، فقد باركت أسرتها هذا الإعلان ووجدت فيه حلاً لابنتهم وولدها أمجد، أما سامية وابنتها أسمهان فقد غاظهما هذا الإعلان، باعتبار أن شكرية قد حازت على شابَّيْ أختها، وهي التي كانت ترغب بتزويج ابنتها أسمهان بأحدهما، وخاصة أن ابنتها تصغُر شكرية وحسام، في حين أن شكرية تكبرُ حساماً بعام على الأقل، ولكن رغبة أم عصام وحبِّها الشديد لشكرية أنساها الفوارق الكبيرة التي تفصل بين الخطيبين، كما أن رغبة حسام الجامحة بامتلاك شكرية جعلته يتجاهل تلك الانتقادات ولا يُعيرها أي التفات رغم قربها منه، كما أن شكرية لم تختبر مشاعرها بل وجدت نفسها وقد خرجت من خضم معركة فعلية بينها وبين المجتمع، وبينها وبين نفسها، لتجد زوجاً جاهزاً يدفعها إلى نسيان الماضي والاتجاه نحو الاستقرار الذي تنشده. ولهذا لم تُعِرْ هي أيضاً أي التفات إلى ما يقال، بل قررت الاندفاع نحو استقرارها والتصدي لمنتقدي زواجها، رغم أن دخولها بهذا المعترك ينقصه الوقت للدراسة، فقد دخلته وقبلت به رغبةً بالانتقال من حالة الضياع الذي كانت فيه، والأخطار المحدقة بها منذ مقتل زوجها حتى تصفية الحساب - إلى حالة الهدوء والعيش كما يعيش الناس، رغم الكره الذي تُكِنه للصراعات التي تجري بين النساء لامتلاك رجل.

وسارت الأمور كما يشتهي الخطيبان وأم عصام، ونسي الجميع عصاماً في خضم الاحتفالات والأفراح التي فاقت زواج شكرية الأول،

حتى إنهم أقاموا شهر عسل، وغادر العروسان مودَّعين بحفاوةٍ بالغةٍ من أهل العروس ووالدة الزوج، كما بقي أمجد في رعاية جدته أم عصام، وكان انتقالهم على هذا النحو قد بعث الطمأنينة والرضى لدى الجميع، ولكن شهر عسلهم لم يدم طويلا فقد عاد العروسان دون إنذار وكأن الأمور ليست على ما يرام، وشكا حسام إلى أمه واصفاً زوجته بالإنسانة الغريبة الأطوار، وأن لها تصرفاتٍ غيرَ طبيعية. وعندما سألْته ماذا يعني بأقواله رجاها بأن يبقى ما قاله طي الكتمان، فحبه لشكرية ما زال عميقاً ولا يريد تعكير حياتهما من بدايتها، وأنه سيعمل جاهداً على تجاوز ما بدر منها. ولكن والدته أصرّت لتعرف كيف أقنعها بهذه العودة السريعة وهي التي كانت مصرة على شهر عسل طويل، فرد بأن شهر العسل لم ينته وإنما رغبت بتغيير جهة السفر وأنهم بصدد التزود بما يحتاجونه للسفر إلى بلاد الغربة، ولكنه لم يعترض لأنه راغب في العودة ومحاولة إقناعها بإنهاء شهر العسل، ولما سألته والدته أكانت شكرية على علم بما شعر به؟ فرد بأن ما فعلتْه شكرية كان أثناء نومها، وأنه لم يخبرها بشيء، وأنه فضّل العودة لأنه صار خائفاً منها وعليها، ورجا والدتَه أن تقنع شكرية بجدوى إنهاء شهر العسل والعودة لمزاولة حياتهم الطبيعية، لأنه لا يريد البقاء معها وحده، كما يفضل أن يكون أمجد معهم دائماً وفي غرفة نومهم، ساعياً لدى والدته التخلي عنه. غير أنها ردّت بعنف وشدة واصفةً أمجد بالإنسان الذي لا يبعده عنها إلا الموت.. ونظرت إلى ولدها نظرةَ من تَلَقّى طعنة من حيث لا يدري وقالت: إمّا أن تخبرني بالذي يجري وماذا رأيت، أو أنني سأنعتك بالمريض ومن الواجب إحالته إلى

طبيب نفسي.. وقف حسام مشدوهاً أمام ملاحظات والدته وشدة ردها عندما بدأ الأمر يتعلق بأمجد، ولما كان بصدد إيجاد مخرج - ووالدته هي الوحيدة القادرة على أن تجد له ذلك المخرج - فقد استعطفها مرة أخرى ورجاها إيجاد مخرج.. فردت: قبل أن أعرف تفاصيل ما رأيت أوسمعت فلن أكون عوناً لشيء غامض. فكّر حسام قليلاً ثم قال أريد وعداً بأنّ هذا الأمر سيبقى طيّ الكتمان مهما كانت الظروف ولن أفصح عن شيء إلا بعد أن أسمع القَسَم.. فردت والدته بأن الأمر يهمها أيضاً، وأقسمتْ على أن يبقى ذلك سراً مكتوماً. وهنا انبرى حسام مستغلاً غياب زوجته في غرفتها وقال.

غادرنا ونحن في أحسن حال إلى إحدى المنتجعات والسعادة والحب يغمرنا، وكانت الأيام الثلاثة الأولى من أجمل أيام حياتي، فقد سعدتُ بها وبقربها لكمالها وحسن تصرفها وقدرتها على الإسعاد، إضافة إلى أنها تملك قواماً أخاذاً يندر نظيره بين النساء، فقد استمرت تمارس رياضتها اليومية دون انقطاع، حتى في غمرة الأيام الأولى لشهر العسل الذي يندر فيه الفراغ للرياضة أو غيرها، وقدرتها على الإثارة دفعتني إلى أن ألازمها حتى في الأماكن التي يجب أن تكون وحدها، وكان اليوم الثالث من أكثر أيامي سعادةً وهناءً، وبقينا في الفراش نتبادل الحب حتى ساعة متأخرة من الليل، وغلبَنا النعاس ونمنا، وصحوتُ على صوت نَفَسٍ عميق يتردد بسرعة، وشاهدتُ شكرية على السرير في وضع الجُثُوّ تعانقُ فراغاً والعرق يتصبب منها، وكأنها تتبادل القبل مع رجل، فانسحبتُ بهدوء من مكاني

على السرير وقبعتُ بالقرب من زاويته، واستمر المشهد ما يقرب من ربع ساعة، وسمعتُها تتكلم كلاماً لم أفهم منه سوى اسم أخي عصام، والعاشق والمعشوق، وبعدها ارتمت على السرير دون حركة، فاقتربت لأجدها نائمة بعمق، و لم أتمكّن من العودة إلى الفراش، وبقيتُ بالقرب منه أتفحّص وجهها الملائكي دون أن أجد تفسيراً لما حدث، حتى بدأتِ الشمس بالظهور، فانسللتُ من الغرفة إلى الشرفة ونظري ينتقل بين الطبيعة في الخارج وسرير زوجتي في الداخل، حتى بدأت تتحرك فيه وكأن النوم أخذ يغادرها، ثم مدّت يدها تتحسس وجودي بقربها، ولما لم تجدني جلست وجالت ببصرها لتجدني أنظر إليها، فانبرتْ تدعوني لقربها فامتثلت لها وضمتني إلى صدرها بحنان ما عهدتُ أجملّ منه، وهي تلثم كل ما يصادفها حتى شعري وتسألني عما دفعني إلى ترك الفراش.. هل مللت شكرية وقبل أن ينتهي شهر عسلها؟: فوجدتُ نفسي أعبر عما يجول في فؤادي من حب وهيام وسعادة غامرة، دون أن أذكر لها ما شاهدتُه أثناء نومها، ثم نظرتْ إلى وجهي وسألتني إن كنت مريضاً، أو بحاجة إلى النوم، أو أن الجوع قد سبب لي الأرق، أو أن ملازمتي للسرير قد أساء إلى صحتي وخاصة أنها تجربتي الأولى.. فرددتُ دون أن أعي بأنها أغلى وأحب إليّ من الدنيا وما فيها، وأنها ملكتْ فؤادي مذ رأيتُها، وأني لن أشبع منها ولو كان السرير سكنانا الوحيد.. فقالت إذن علينا بتحضير الطعام، فالظاهر أن الجوع قد تملكك وخاصة أننا لم نتعشَّ بالأمس فقد نسينا أنفسنا.

هبت من السرير مسرعةً واندفعتْ مختفية عن ناظري وهي تضحك فتبعتها أتلمس الأمكنة التي تدخلها في المنتجع محاولاً الوصول إليها حتى وجدتها خلف باب المطبخ، بقوامها الأخاذ وجمالها المعبر وابتسامتها التي لا تترك مجالاً للتفكير، وكان عناقاً شديداً ونسيت في خضم ذلك مشهد الليلة.. وقمنا معاً بتحضير الطعام، وتخلل عملنا الأعمال التي يمارسها المحبون، وتجاوزت الحدود مما دفعها إلى أن تطلب مني تركها تكمل ما بدأته أو مساعدتها، وكنت أجد في كل كلمة تقولها عبيراً فواحاً حتى انتهينا من تحضير الطعام، وبدأنا نتناوله وأيدينا تتشابك أمام أفواهنا، فكانت تأكل من يدي وآكل من يدها والسعادة تغمرنا،.. وكانت أمه تنظر إليه نظرات يكتنفها الفضول وقالت: إنها امرأة مجربة وقادرة على استيعابك، فقد بدأتَ تثير مخاوفي عليك فأنت وحيدي الآن، وما قلته عما رأيته تلك الليلة قد حيرني..

فأجابها بأن الموضوع لم ينته، ورجاها سماع حديثه حتى النهاية. ثم تابع قائلاً: في الليلة التي تلتها كنت أصحو بأقل حركة تبديها شكرية، ولم أغفُ إلا بعد أن غلبني النعاس، ولم أشعر إلا بقبلاتها في الصباح وهي تدعوني إلى الطعام الذي أحضرته وأنا غارق في النوم، ففرحت كثيراً وحمدت الباري على نجاتي من كابوس أمس، وتركي أستمتع بالنوم حتى الصباح، وكان سروري بالغاً وأنا أراها بكامل بهائها وحيويتها مضفية عليّ سعادة لا توصف.

واستمرت تلك السعادة في الأيام التالية دون أن يعكر صفو حياتنا شيء سوى ومضات سريعة تعاودني وتذكّرني بليلة اليوم الرابع، حتى وصلنا إلى اليوم الثامن وجاءت ليلة اليوم التاسع، فسهرنا واستمتعنا بسهرتنا حتى تجاوزت منتصف الليل وشعرت بأنها مقبلة على النوم وأنا أداعبها محاولاً إبقاءها صاحية، ولكن النعاس غلبها فنامت بينما بقيتُ صاحياً، أتأمل النجوم وأعاود النظر إلى وجهها الملائكي.أبحث عن سبب لإيقاظها، ثم قبعت بجانبها أنظر إلى جسمها قطعة قطعة، ثم وضعت رأسي بجانب رأسها ورحت أمسح على شعرها، وغلبني النعاس فنمت لأصحو بعد أربع ساعات و لم أجد شكرية بجانبي، فنظرت إلى الساعة التي كانت تشير إلى الخامسة صباحاً وكل ظني بأنها بمكان تخلو إلى نفسها وستحضر بعد دقائق، ولما لم أسمع صوت حركة انتابني الخوف والقلق، فقررت البحث وبدأته في الأماكن الخالية، ولما لم أجدها بدأت أبحث في باقي الغرف والشرفة، ثم خرجت أبحث في حديقة المنتجع، ولم أجد طريقة أناديها فقررت العودة إلى داخل المنتجع وإغلاق بابه من الداخل بالمزلاج، حتى إذا عادت فستكون مضطرة إلى طرق الباب، وسأنتظرها في الشرفة أراقب ما يجري في الخارج، ولكن ما أدهشني وأوقعني في حيرة لدى تجاوزي غرفة النوم أحاول الوصول إلى الشرفة هو وجود شكرية نائمة في السرير وبلباس النوم، وشعرها ما زال متدلياً على الوسادة كما كانت قبل أن أنام بجانبها، وعندما اقتربت رأيتها غارقة في سبات عميق، فاقتربت أكثر ولمست جسدها لأجده في الفراش، فانتابني الخوف الشديد وحزمت أمري على العودة، وقمت فوراً بتحضير أمتعتنا وأنا أرتجف، ولم

أتمكن من تهدئة اضطراب جسدي، ونظرت إلى وجهي في المرآة فوجدته وقد اتضحت عظامه، واصفر لونه، فاندفعتُ إلى المغسلة أدعكه وخاصة على الخدين، ثم خرجت إلى الحديقة ومارست رياضة الجري حتى أخذ مني التعب مداه، فرجعت لأجدها على الشرفة تبتسم كعادتها وكأن شيئاً لم يكن، وهي ترمقني بنظرات الحب والحنان، فدخلتْ نظراتها جسدي وكأنه سهم اخترقه ليعيد إليه الاطمئنان والراحة، فوجدت نفسي أقبل نحوها بحماس منقطع النظير وكأني قد فقدتها وعادت وأعادت بعودتها روحي، وتعانقنا عناقاً شديداً وبدأتْ أدمعي تنهال وهي تسأل عما يبكيني فصارحتها بالحنين إلى البيت والوالدة، فأبدت موافقة مشروطة بالعودة لاستكمال شهر العسل بالخارج، وأنها راغبة بالسفر بعيداً لنسيان الماضي وآلامه.

صمت الاثنان قليلاً ثم قالت أم عصام: ما قلته يا ولدي صعب التصديق لولا بعض المؤشرات التي تحيرني في يوم مقتل عصام، فقد خَرَجَتْ من غرفتها بلباس النوم وهي تقول بصوت عال: قتلوا عصاماً.. فكيف علمتْ بمقتله وهي قابعة في غرفة نومها، ولكن الحب الذي كان يربطهما أشعرني بأن تلك الرابطة الروحية حساسة لدرجة أن البعد لا يفصل بينهما، وأنّ سكون قلبه هز قلبها الذي بقي وحيداً، وتصرفتْ بوحي من قلبها الذي شعر بالوحدة. وبكت أم عصام وهي تصف ذلك حتى أجهشت، مما أوقفها عن الكلام لفترة ثم قالت إن حبي لشكرية عوضني عن ولدي عصام، وبقاؤها بجانبي هو ما كنت أرغبه، وزواجك

منها أراحني وأسعدني. أرجوك يا ولدي اصدُقني القول هل كنت تحلم أم كنت خائفاً عليها وأن كل ما قلته أوهام؟! أرجوك يا ولدي تذكّر جيداً.

نظر حسام إلى أمه وكأنه يبحث بين أضلعها عن هذا الحب العميق الذي تكنه لشكرية، وتذكر كيف كان فرحها عظيماً عندما رأتها أول مرة، وكيف رشحتها من النظرة الأولى لتكون زوجة لابنها عصام، وتجدد هذا الفرح عندما أقدم هو على مصارحة أمه بحبه لها ورغبته بالاقتران بها، وعرف بأن أبجد ليس الرابطة الوحيدة، فسكنت روحه ثم قال: ماذا تقترحين؟ أود إقناع شكرية بالتخلي عن فكرة السفر. وشاهد رأس والدته يهتز، فعرف بأنها تفكر وستعمل على تنفيذ رغبته، لم تحاول شكرية التركيز لمعرفة ما يجري بخاطر زوجها ووالدته عندما سَعَيا لإقناعها بإنهاء شهر العسل لاشتغال عقلها الباطن بالماضي القريب، ولكن ما كانت تريده هو الابتعاد عن أماكن الذكريات واستبدالها بذكريات تنسيها الماضي، وظهور حسام السريع بحياتها قد أسعدها ووضعها على طريق آمالها، وهي التي كانت خائفة من الفراغ والذكريات الأليمة، وقبلت بإنهاء شهر العسل لتعود ربةَ بيت عادية تكنس وتطبخ وتصونْ عائلتها وتخدم زوجها.

مرت الأيام وبقيت أيام شهر العسل أليمة على حسام الذي بقي خوفه على محبوبته مستمراً رغم مرور أيام كثيرة لم يلاحظ خلالها أي شيء غير عادي على زوجته، كما أن أم عصام ظنت الظنون بولدها وعَزَته إلى التعب أو الفرح أو حاجته للنوم، والأهم من كل ذلك أن

شكرية الفتاة الرزينة العاقلة المحبة ما زالت كما هـي، كما أنهـا لم تخـرج وحدها من البيت أبدا، مما زاد في ثقة حسام بزوجته، وقلل من الحساسـية والخوف على نفسه منها، ولكن الأوهام بقيت تلاحقه والشكوك تلازمه ما دام غائباً عنها، وما إن يلتقي بها حتى يتبدد ذلك كله، ليجد السكينة والهدوء بأحضانها وبين ذراعيها، مما جعلها تستكين وتشعر بالاستقرار.

ومـر العـام الأول علـى زواجهمـا دون أن تشـوبه شـائبة، وكـانت زيارات أهلها المستمرة وخاصة أخويهـا شـاهر ومـاجد تؤنسـها، غير أن النقد الدائم الذي تتلقـاه بحجـة دفـن حياتهـا في المـنزل دون أن تعـود إلى الحيـاة بأبوابهـا الواسـعة كـان كذلـك مسـتمراً، وخاصـة أنهـا دكتـورة مشهورة ولها باع طويل في شفاء أمراضٍ نفسيةٍ مستعصية، والمجتمع بحاجة لمن يحملون هذا الاختصاص. فكانت تجد لهم ما تعتذر به لكي تبقى بعيدة عن العيادة وذكريات الماضي، حتى كان يـومٌ بـدأت فيـه أعـراض الحمـل تظهر عليها، وكان فرح أم عصام بهذا الحمل عظيماً، بينمـا لم يَـرُق هـذا الحمل لحسام وظن بزوجته الظنون، وخاصة ابتعادها عنـه بالأشـهر الأولى للحمل، مما حمله على الاعتقاد بـأن الـذي كـان يزورهـا في المنتجـع عـاد وحملت منه، وبدأ جفاء حسـام دون أن تشـعر بـه شـكرية لكونهـا بحالـة صحية ونفسية تدعوها لعدم الاقتراب منه. حتى مرت الأشـهر الأولى مـن الحمل، وبدأت تعود إلى حالتها الطبيعية، لتشعر بأن جفاء حسـام ماكـان مراعاة لوضـع حملهـا وإنمـا هـو جفـاء نـابع مـن ذاتـه، وبـدأت محاولاتهـا لاستعادته، وشعرت بأن الوهن قد أصـاب حياتهمـا الزوجيـة، ووضعـت

تصوراً لإعادة تلك الحياة إلى طبيعتها رغم ثقتها بأن وضعها لا يسمح بكثير من الجهد، وشكلها لا يوحي بالإثارة والإغراء.. ولكن شكرية التي ما عرفت اليأس أبداً اتبعت معه كل الأساليب حتى ملّت. وهي تجد زوجها في كل مرة يبتعد أكثر فأكثر، حتى أصبح دخوله إلى البيت قبيل نومه، وخروجه مبكراً على غير عادته، وأصبحت بالنسبة إليه كأنها لم تكن..

وفي أحد الأيام العاصفة والمطر ينهمر بشدة استيقظ حسام باكراً، ودخل الحمام وحلق ذقنه وتعطر جيداً ثم ارتدى أفخر ملابسه وخرج وهو يسمع صوت زوجته تناديه دون أن يأبه بها، وسمعت صوت الباب وهو يغلقه أثناء خروجه فعرفت بأن زوجها قد تمرد وأصبح لا يطاق، فقررت التركيز لتعرف سبب خروجه المبكر والشكوك التي تراودها، منهيةً بذلك ما قطعته على نفسها بعدم استعمال قدراتها بعد انتقامها من قتلة جدتها وزوجها. ولاحقته حتى ركب سيارته وانطلق مسافة قصيرة، والتقى بفتاة بلباس المدرسة الإعدادية وسنّها لا يتجاوز أربعة عشر عاماً. وما إن دخلت سيارتَه وألقت بحقيبة كتبها على المقعد الخلفي حتى انطلق بها نحو إحدى الشعاب، ثم توقف وحصل بينهما ما أطار صوابها.. وراحت تتساءل هل كانا يتلاقيان من قبل ومنذ متى؟ وبقي الاثنان في وضع مريب. ثم سألته الفتاة عما تم الاتفاق عليه بالابتعاد كلياً عن زوجته، فأجابها بأن زوجته ليس لها مكان في قلبه، وأنها الآن ليست إلا خادمة ومربية في البيت فحسب، وأن لمساتها لا تخرج عن لمسات أم لابنها.

أوقفت شكرية التركيز وقد جحظت عيناها لا تدري ماذا تفعل، فالطعنة كانت أكبر من احتمالها وهي التي ما توقعت أبداً أن تصل إلى هذا الدرك من الإهانة، ولم تتمالك نفسها وانفجرت بالبكاء بشدة حتى شعرت بدوار شديد، وفقدت توازنها فهوت وارتطمت بشدة على الأرض، وسمعت أم عصام صوت ارتطامها فانتقلت من غرفتها مسرعة لتجد شكرية على أرض الغرفة، وقد شج رأسها والدماء تسيل منها، كما شاهدت دماء أخرى فعرفت بأن شكرية على وشك الإجهاض، فتم نقلها بسرعة إلى المستشفى، ولم تَصْحُ من غيبوبتها إلا بعد أن أجريت لها عملية إجهاض في الوقت المناسب قبل أن تفقد حياتها.

وصل حسام إلى المستشفى ليجد والدته وحماه أم شاكر بالقرب من سرير زوجته، وما زال تأثير المخدر بادياً عليها، فوجد شكلها يقارب شكل الأموات بلونها الأصفر والأزرق لاحتباس الدم أثناء الصدمة، وانتفاخ في جبينها، والأربطة تلف رأسها.. فاستقبلته أمه والدموع تترقرق في مآقيها معتذرة بأنها لم تتمكن من إنقاذ طفله، ولولا قدرة الله ونقلها بسرعة ووجود الطبيب المختص في ذلك لكنا فقدناها. بقي حسام بعض الوقت ثم غادر المستشفى قبل أن تصحو شكرية، وقد استمر تأثير المخدر حتى منتصف الليل لتجد نفسها ملقاة على السرير، وبجانبها أم عصام ووالدتها أم شاكر، وعرفت بأن زوجها كان في زيارتها بالمستشفى وغادر بعد أن يئس من مشاهدتها صاحية، وكانت إجاباتها عن أسئلتهم موجزة، وأخفت مشاهداتها لزوجها، وعزت ما حدث لها إلى مشيئة

الله. وكانت مواساتهم تنصبّ على أنها ما زالت في مقتبل العمر، وسيكون لها دزينة أولاد، وفقدانها ما في بطنها لا يستحق حزنها، وأن سلامتها هو الأمل والرجاء. وجدت شكرية متسعاً من الوقت لتقرر الخطوات المقبلة تجاه حسام، واتخذت في سرها القرارات التي تتناسب مع الواقع الجديد، ووجدت الراحة التي تنشدها في هذا الوقت. وكان أول تلك القرارات عدم البوح بما شاهدته وترك ذلك الأمر للزمن، وثاني تلك القرارات بقاؤها زوجة حسام في الظاهر.

تحسنت صحة شكرية بسرعة، وحضر زوجها لإخراجها من المستشفى فأقبلت عليه والابتسامة لا تفارقها، وانتقلت إلى بيتها وعادت إلى سريرها تحفها قلوب أم عصام ووالدتها، ووجدت منهم العناية والرعاية حتى استعادت صحتها وقوتها، وبدأت تمارس الرياضة الخفيفة في المنزل، وبعد مرور الوقت الكافي للشفاء عادت لتمارس رياضتها في النادي ضاربةً عرض الحائط اعتراضات زوجها الذي وجد في زوجته تغيراً كبيراً، فقد أصبحت لا تشاطره آراءه ولا سريره وتعامله بجفاء، وهذا ما كان يرغبه ويخطط له، كما كان هو أيضاً لا يأبه بها ولا يرغب بالاقتراب منها، وجد في سلوكها ما يتناسب مع ما يرغب به، فهو غير عابئ بما تفعل، فقد وجد مَن تأخذ مكانها في حياته، وهي تصغرها سناً، واحتمال الاقتران بها ودخولها دارتهم وارد، ولكن شكرية تسير هي أيضاً بمخططها لإعادة ما فقدته، حتى بدأ يبرز ما قد ذَوَى في جسمها كوركها وصدرها، وتركت العنان لشعرها الكثيف يتدلى، كما بدأ خصرها

بالضمور، ولم يمض عدد من الشهور وهي تمـارس رياضتهـا الجـادة حتـى عادت كما كـانت حينمـا أغـرت أخـاه ودفعتـه للاقـتران بهـا، وراحـت ترتدي الملابس التي ظهرت بها في أول حياتها الزوجيـة مـع أخيـه، وعـاد مظهرها السابق كفتاة تملك قواماً أخاذاً والنضارة تشع من وجههـا وهـي تتمايل كالطاووس، حتى إن أم عصام أخذها العجب من هذا التغير الذي أحدثه النادي في جسمها وشكلها، وسألتها هل بالإمكان مرافقتها لتعديل جسمها المترهل..

أما حسام فقد لفت نظرَهُ عودةُ المرأة التي أحبها بنضارتها وقوامهـا، وعادت إليه ذكريات الماضي بلباسها الذي كان يراهـا فيـه زوجـةً لأخيـه وكـان يتمناهـا لنفسـه، وتذكـر كيـف أن أخـاه لاحقهـا في شـهر عسـله وشاركه فيها. فكّر حسام ووصل إلى استنتاج، فهو الذي انتزع شكرية من أخيه، وعاشت في كنفه وبين ذراعيه أجمل أيام حياته، وأعطته كل مـا تملك حارمةً أخاه من جسدها وحبها لتهبه إلى أخيه يفعـل بـه مـا يشـاء، فالماضي رحل ورحل معه ما كان يطبعه على جسدها، وبقي الحاضر ومـا يطبعه هو على جسدها، فـالمنتصر هـو.. هـو مـن حصـل علـى الغنيمـة.. والغنيمة مازالت تواكب الحاضر.. فإن كان لامناص من ظهور أخيه بـين الفينة والأخرى فيظهر كاللص ولا يحصل إلا على الفُتات.. كيـف يلومـه وهو من انتزع زوجته لتصبح له وفي خدمته.. ولكنّ أخاه هو مـن حوّلهـا إلى امرأة.. وهو من أزال أغلى ما تملكه الفتاة، وأكـثر أمنيـات الرجـل في المرأة.لقد سبقه إليها وأنجبت أول أطفالها منه وبقي يلاحقهـا بعـد وفاتـه،

ألا يكفيه ما سبّبه لأخيه الصغير وهو حي.. بتحويل شكرية إلى امرأة.. وهو أيضاً يرغب رغبةً جامحة في أن يحوّل فتاته سهام إلى امرأة ويلمس هذا الشعور الممتع.. وتمنى لو كانت شكرية فتاتّه الأولى وكان هو أول من طبع على جسدها إذن لما تخلى عنها، ولما تركها تنظر حتى حولها، فهو يحبها حباً لا حدود له، ولكنه يرغب بسهام لأنه أول رجل في حياتها، وسيكون أول من يمسها لاكما حصل له مع شكرية حيث سيبقى الرجل الثاني في حياتها ولو نسي الناس ذلك. فأمجد سيذكّرهم بذلك إذا استثنينا الجميع.

وكيف لها هي أن تنسى وما يُدريني ما تفكر به عندما نكون معاً زوجين أليفين.. هل تحلم بعصام وتنسى من يلازمها، ألم يكن عصام هو الأول، وهل تنسى المرأة الحب الأول في حياتها!؟ ولولا رحيل عصام لما دخلتُ حياتها، ولكن منظرها يدفعني إلى الجنون بها، فهي من أرغب وهي من أحببت، أريد أن أعرف مكاني في حياتها، هل أنا مجرد بديل حي لأحلامها وعصام هو المقصود.. وأين اختفت بعد مقتله، ألم تكن معه واتفقا على بديل حي، وكنت أنا من وقع عليه الاختيار، والبرهان على ذلك قبولها الفوري بي عندما عرضت والدتي عليها الأمر.. هل كانت تحبني وهي متزوجة من عصام.. راق له هذا الأمر، وقرر استعادة العلاقة التي انفصمت مع شكرية دون أن يؤثر ذلك على علاقته بسهام، وبدأها بالعودة للغداء يومياً، كما أصبح يدخل دارتهم باكراً في المساء، ويحضر معهم العشاء، ثم يدخل غرفة نومهم قبل شكرية التي تقوم ببعض

الأعمال قبل النوم، وينتظرها حتى تدخل غرفة النوم موهماً إياها بأنه في سبات عميق، ويشاهدها وهي تخلع لباسها وترتدي لباس النوم، ويمتع نظره بقوامها، ثم يشاهدها وهي تعقد شعرها المتدلي الجميل، وتدخل الأريكة التي تعوّدت النوم عليها بعد هجرها سرير الزوجية.

حتى كان يوم وحسام يتقلب في سريره وشكرية تنهي عقد شعرها عندما سمعته يدعوها إلى سريره وكان ردها جافاً وقاطعاً، وأوت إلى أريكتها وغفت. وفي الصباح قامت شكرية بعملها المعتاد تخدم زوجها وحماها وولدها دون تذمر. وفي كل ليلة عندما تدخل لتنام تسمع دعوته لها للانتقال إلى سريره دون جدوى، وفي المرة الأخيرة حاول إلزامها بقبوله في سريره لكنّ إصرارها حمله على تركها تلك الليلة أيضاً، ولكنه في الصباح كان قد صمم على تجاوز المشكلة وغادر الدارة مبكراً، وبعد مغادرته عادت إلى غرفة نومها وركزت عليه لتجده.. قد ركب سيارته واتجه شمالاً عوضاً من أن يتجه جنوباً نحو محله، حتى وصل إلى الثانوية وانتظر قليلاً وشاهدت سهام تدخل سيارته عوضاً عن دخولها مدرستها، وألقت حقيبتها في المقعد الخلفي واتجه الاثنان نحو الجنوب إلى المدينة، ثم وصلا إلى متجره ودخلاه وأغلق بابه الزجاجي، ثم دخلا غرفة المكتب. في تلك اللحظة قامت شكرية لساعتها وارتدت لباساً كانت تلبسه في مناسبات سعيدة، واستلت مفتاح المحل وغادرت الدارة معتذرة من أم عصام، وامتطت سيارتها مسرعة نحو الجنوب ضامنة وصولها قبل مغادرتهم، وكانت في كل مسافة تركز على زوجها لتجده ما زال مع

تلك الفتاة في وضع مريب، حتى وصلت وأوقفت سيارتها خلف سيارته بهدوء، وانتظرت قليلاً ثم اقتربت من باب المحل الخارجي وفتحته دون ضجة، وانتقلت إلى داخله متوارية خلف النماذج والتحف حتى وصلت غرفة المكتب، ففتحت بابه بهدوء وشاهدها زوجها وهي تدخل، فأصيب بالدهشة والذهول، كما بادرت الفتاة بارتداء ما كانت قد نزعته من ملابسها ولما حاولت الخروج أغلقت شكرية باب المكتب بالمزلاج تاركة سهام داخل المكتب برهة صغيرة، ثم طلبت منها مرافقتها إلى مدرستها.

أذعنت سهام وغادر المحل مع شكرية أمام بصر حسام الذي ألجمته المفاجأة ولم ينبس ببنت شفة، وتركها تصحبها معها، وفي الطريق حاولت الفتاة الاعتذار الذي رفضته شكرية ودعتها إلى الحفاظ على نفسها وتطلب منه التقدم لخطبتها، وأنها أي شكرية لا تمانع بأن تكون زوجته وهي ترغب بها ضرة لها.

بعد أن أفاق حسام من ذهوله غادر المحل وتبع سيارة شكرية، ولما لم يتمكن من ذلك عاد إلى الدارة ليجد سيارة شكرية على الباب، فعرف بأنها أوصلت سهام إلى المدرسة وعادت إلى الدارة، وما إن دخل حتى وجدها تقوم بعملها اليومي وكأن شيئاً لم يحدث، شاهدته والدته وسألته عن سبب عودته من عمله مبكراً فرد بأنه نسي مفاتيح المحل، وعرف بأن شكرية أبقت ما شاهدته سراً.

مرت الأيام دون أن يظهر أيّ جديد سوى أن شكرية قررت فتح عيادتها مرة أخرى في المنشأة، ووجدت قبولاً وحماساً من أم عصام، بينما

كانت ردة فعل زوجها مخالفة لذلك، فاصطدم الاثنان وحدث نقاش حاد بينهما، خرج حسام على أثرها عن طوره واتهم زوجته بالخيانة. وقفت شكرية مشدوهة لبرهة ونظرها وتفكيرها في حيرة، فالفارق بينهما كبير، فزواجها من هذا الصغير خطأ فاحش أقل ما ينقصه هو النضج.. فسألته هل انقلبت المفاهيم؟ ومن الذي يخون الآخر؟ فرد بأنه هو من شاهد خيانتها أولاً.. وكررت سؤالها مع من كنت أخونك؟ فلوى رأسه ثم تابعت: ما يمنعك من كشف ذلك.. إنها كلمة كبيرة تتجاوز كل الحدود، إنها تزيل أكثر أسس الحياة الزوجية متانة، فأفصح وإلا فلن تراني بعد اليوم. فارتبك حسام وخاف من أن تنفذ ما قالته، فشرح لها الأوهام التي راودته على مدار سنوات زواجهما، وكان مصراً على أن عصاماً ما زال يزورها، حتى إن الحمل الذي أسقطته كان من نتائج تلك العلاقة. أوقفت شكرية النقاش وقلبته ليصبح بين مريض وطبيبة، وعرفت بأن حياتها الزوجية في أمان، وأن شفاء زوجها كفيل بإعادة الوئام إلى تلك الأسرة، ونجحت بإقناعه بضرورة فتح العيادة وسيكون هو أول زبائنها.

عادت شكرية إلى العيادة بدوام على مرحلتين موضحةً ذلك في اللوحة، وأعادت لمياء لتمارس وظيفتها، واستمرت ما يقارب شهراً، وكان الزبون الوحيد الذي يراجع العيادة يومياً هو زوجها حسام، وهي بانتظار زبائنها الذين بدؤوا يتوافدون تباعاً، وما إن مرت الشهور الخمسة الأولى حتى كان عدد المراجعين يتناسب مع ساعات عملها.

عاد الوئام إلى الأسرة الصغيرة، وعادت شكرية الزوجة المثالية، وقطع حسام علاقته بسهام، وقرر إقامة شهر عسل جديد في نفس مكان شهر عسلهم السابق لمحو الآثار التي أفسدت حياته، بغية بناء ثقة جديدة لا تشوبها شائبة، ونفذا تلك الرغبة، وكان شهر عسل حقيقي، مارست فيه شكرية بالإضافة إلى الزوجة الطيبة فنوناً جذابة، معتمدة على ما وهبها الله لتنأى بنفسها عما شاهده وشعر به زوجها في المرة السابقة. ولكن زواجها الحالي كان بمثابة عناية ورعاية لزوجها أكثر منه زوجاً حبيباً له وجود في قلبها وتصرفاتها، وشعرت بالفارق الكبير بين عصام القوي المتزن الذي كانت تلبي طلباته يحدوها الثقة والاحترام، وبين حسام الذي تلبي طلباته مقرونة بالشفقة والخوف على مشاعره.. ودخل هذا الفارق ثنايا حياتهما الأخرى.. مما جعل حياتها تنقصها الإثارة والحب، فنظراتها إليه لا تتعدى النظر إلى ولد مدلل تلبي طلباته إرضاء لأهوائه التي شملت كل مظاهر حياتهم، حتى بدأ الملل يتسرب إلى حياتها لكنها كانت تجد السلوى في عملها الطبي..

ثم بدأت تحن إلى الماضي مما جعلها تنبش آثاره، بادئةً بالصحف التي ما زالت في بيت الزوجية عندما اشترتها لدى انتقالها إلى دارة أم عصام، بعد إنهائها تصفية سالم وحسان قاتلي جدتها وزوجها عصام، ورأت أن حياتها قبل زواجها من حسام كانت أكثر إثارة، رغم التعب والخوف والابتعاد عن الناس والنوم في غرفتها السرية دون أنيس، ومع لباس الموت وأجهزة القتل. وتابعت شكرية حياتها، ففي فترة الغداء وبعد عناء االعمل

الصباحي في العيادة كانت تدخل المنشأة وتُعد طعامها، ثم تدخل غرفتها السرية تنبش فيها عن الماضي حتى يحين موعد فتح العيادة المسائي، ثم تعود بعد إغلاق العيادة إلى حياتها الرتيبة في دارة أم عصام مع زوجها دون أن تسعى للإنجاب منه مرة أخرى، ودون أن يبدي زوجها حماساً يذكر للإنجاب، رغم إلحاح حماتها التي ما فتئت تدعو شكرية إلى إنجاب أخٍ أو أخت لأمجد. واستمر ذلك حتى كانت شكرية في غرفتها السرية تقرأ الصحف التي تصف الملثم الأسود يوم مقتل رجال العصابة، فوقعت بيدها صورة صبحية عشيقة سالم التي أخذتها من حقيبتها لدى مغادرتها سيارة سالم المارسيدس، نظرت شكرية إلى تلك الصورة وأعجبت بجمال صبحية، وتذكرت كيف استخدمتها لتكون أداة للوصول إلى مخبأ العصابة، ثم سألت شكرية نفسها عما حل بتلك الفتاة، مستعيدة ماضي الحادثة، ووجدت نفسها مندفعة للتعرف على ما جرى بعد ترك صبحية أمام بيتها بسيارة المرسيدس، وهي التي تركتها موثقة اليدين والملصقات على فمها.

ركزت شكرية على الصورة بعد أن حددت التاريخ والساعة راجعة سنوات مضت على تلك الحادثة، فشاهدت صبحية بالمقعد الخلفي لسيارة سالم المرسيدس تحاول فك وثاقها، ولما عجزت عن ذلك بدأت بضرب باب السيارة برجليها عند مرور كل عابر سبيل حتى اقترب أحدهم وفتح الباب وشاهد فتاة موثقة وقد كُمّ فمُها بملصقة، وهي عاجزة عن تحرير نفسها، فساعدها وسمعها ترجوه دعوة الشرطة قبل أن يتمكن الملثم الذي

أوثقها من الفرار. لبى عابر السبيل طلب صبحية واتصل بالشرطة. وما هي إلا لحظات حتى وجدت صبحية نفسها وقبل أن تغادر سيارتها أمام مفرزة من الشرطة تسألها. ضحكت شكرية من سذاجة صبحية وأوهامها عندما ظنت أنها تدلي بمعلومات دقيقة عن الملثم، وكانت تضللهم بأقوالها وشواهدها بدل أن تضعهم في الصورة الحقيقية للوضع، مما دفع ضابط الدورية ليطلب منها مرافقته إلى مركز الشرطة لمقابلة المختصين بالتحقيق، وتم اصطحابها إلى مركز الشرطة، وهناك شاهدت شكرية تفاصيل كانت ترغب بمعرفتها منذ زمن.

فما إن وصلت صبحية إلى المركز حتى تلقفها المسؤول عن التحقيق بمجرد أن شاهد سيارة المارسيدس برقمها ولونها، وقام باحتجاز السيارة وانكب على التحقيق مع صبحية، بادئاً بالأسئلة المتعلقة بالملثم الذي قام بتقييدها في السيارة أمام المرآب داخل الدارة. وحدث تناقض بين التحقيق الذي أُجري بالدارة والتحقيق مع صبحية، فقد كانت صبحية تصر على أنها لم تدخل الدارة إطلاقاً، وإنما تم تقييدها في الطريق إلى الدارة ووضعها في مكان لم تره البتة، لأنها كانت بالإضافة إلى القيود معصوبة العينين.. ولم ينته هذا التناقض إلا بعد أن شاهد الحارسان اللذان فكا قيد شكرية أمام المرآب داخل الدارة، وتعرفا على صبحية، وأقرا بأن مَن كانت مقيدة بمقود السيارة ليست هذه الفتاة رغم التعرف على السيارة. وهنا بدأ تحقيق مستقل مع صبحية، أضاف غموضاً جديداً حيرّ المحقق.. وتساءل هل الملثم وُجد في المكانين وبينهما نصف ساعة وقيّد الاثنتين.. ثم وقف

المحقق عاجزاً، وطلب من صبحية الذهاب إلى بيتها للراحة، وعدم مغادرته إلا بإذن مسبق من الشرطة وهو يتساءل: مَن تكون الفتاة الثانية؟ هل الحراس يضللون التحقيق.

قطعت شكرية التركيز وعادت إلى واقعها، وغادرت غرفتها السرية إلى عيادتها لدنو وقت فتح العيادة المسائية، وقد غمرها الشوق لتعرف كل تفاصيل التحقيقات التي أجريت، وماذا حلّ بمَن كانوا على تماس بها.

في موعد غداء اليوم التالي دخلت شكرية غرفتها السرية، تدفعها الحماسة لرؤية التحقيقات في مقتل سالم وحسان، فاستلت صورة سالم وحددت التاريخ والساعة وركزت عليها، لتجد الشرطة أمام جثتيهما يحاولون معرفة المكان الذي تسلل منه القاتل، فوجوده أثناء إطلاق النار في وسط الغرفة يوحي بأنه كان في الغرفة ينتظر حضورهم. عرفت شكرية بأن الشرطة لم تكتشف الممر السري الذي دخلت وخرجت منه، ولن يلام المحقق الذي وجه إصبع الاتهام إلى رجل أو مجموعة رجال من داخل الدارة قاموا بلا ريب بعملية القتل، وأن ما قاله الحراس عن وجود رجل ملثم قام بعملية القتل محض افتراء، لأن أحداً منهم لم يره بل سمعوا من فتاة سالم الموثقة بأن مَن أوثقها بمقود السيارة وكمّم فمها رجل ملثم يلبس السواد. نُسفت تلك الأقوال بعد عودة المحقق ولقاء صبحية فتاة سالم التي أصرت على أنها لم تدخل الدارة في ذلك الوقت، بل كانت هي أيضاً موثقة من قبل الرجل الملثم المرتدي السواد، في كوخ على طريق دارة سالم لا يبعد أكثر من بضعة كيلومترات، وأن سيارة المارسيدس

بقيت بحوزة الملثم الذي عاد بها بعد ساعتين على الأكثر، وقام بنقلها إلى السيارة مرة أخرى، ووضعها على أرض السيارة في المقعد الخلفي. وما حيّر المحقق شهادة أبي محمود ضابط المدخل، الذي أكّد بأقواله أن صديقة سالم قد دخلت قبل القتل وخرجت بعده بقليل بنفس سيارة سالم، وكان على علم مسبق من سالم وحسان بأن فتاة سالم ستدخل في الساعة السادسة مساء، وكلمة السر هي سيارة المارسيدس البيضاء، والمطلوب هو عدم عرقلة دخولها، وقد حضرت في الموعد المحدد له، وخرجت دون أن يعترض سبيلها.

قطعت شكرية التركيز وعادت إلى واقعها، وغادرت غرفتها السرية إلى عيادتها لدنوّ أجل فتح العيادة المسائية، والأفكار تتزاحم في رأسها، وكأنها بدأت تعيش واقعاً كانت قد أدارت له ظهرها وارتأت بأنها في اليوم التالي ستلاحق تحقيق مقتل غريمها الثالث نامق، وماذا حلّ بضحيته سلمى.. وشوق شكرية يزداد لنبش الماضي الذي عاشته، وآثاره على الذين كانوا في خضمه.

وفي تلك الأثناء توفي والدها صعب، وكانت ليلة وفاته لا تُنْسَى، فقد كانت ليلة عاصفة شديدة السواد، يتخللها البرد والمطر، والريح تعتبف بكل شيء. لقد كان حزن شكرية على والدها شديداً، حتى إنها وصفت الطبيعة بأنها تشاركها حزنها عليه، كما أن أمها شبّهته بيوم ولادة شكرية..

مما أثار في نفس شكرية الفضول وجمع المعلومات عن ذلك اليوم من والدتها علياء، واضعة تصورها لحياتها ومستقبلها، وشعرت بأنه قد قدّر لها الصراع الدامي والشقاء، يتخلله ومضات سعيدة. فتذكرت زواجها الأول الذي لم يدم طويلاً، والسعادة التي خَبَتْ مع مقتل عصام، وبكته كما لم تبكه من قبل.

مضى أربعون والدِها وشكرية تسلّي نفسها بعملها في العيادة، وهي غارقة في حزنها على ماضيها الدامي، والخوف على مستقبلها من أن يكون شبيهاً بالماضي، وأن يضطرها إلى أن تصارع من أجل البقاء وأن تتجاوز دمويتُه الماضي، وهي تحسِب ليوم ولادتها العاصف ألف حساب، وتمنت لو تجد من ينبئها بالمستقبل رغم علمها بأن ما كُتب لا يمكن إزالته أو تغييره، وهي ترجو ألاّ يكون زواجها من حسام زواجاً أبدياً.

مع مرور الأيام كان عملها يجري دون منغصات، ومما كان يخفف عنها؛ تلك الحالاتُ المرضيةُ المستعصية لزبائنها، ومشاهدتها كثيراً من الحالاتِ التي تفوق حالتها دون أن يتمكن أصحابها من درء الظلم والأخطار عن أنفسهم، مما جعلها تشعر وكأن الله سبحانه قد منّ عليها عندما زوّدها بالقدرة على المقارعة ووضع الحق في نصابه، وأن ماضي حياتها أجبرها على الدفاع عن النفس، وأن الحدث كان يفرض نفسه عليها.

أما من الآن فصاعداً فلن تسمح لأحد بالاعتداء عليها، وستفرض الأحداث على الآخرين، وسيكون الماضي وما عانته حافزاً لها على انتقاء

الأهداف وضربها ضرباً موجعاً، وقد كان نبشها للماضي يعلّمها كيفية التعامل مع رجال الأمن من خلال تتبعها أسلوبهم في التحقيقات التي أجريت مع كل حدث من الأحداث التي كانت فاعلة فيها.

عادت شكرية لزيارة غرفتها السرية في المنشأة أثناء فترة راحتها بالعيادة، مكررة ما كانت تفعله من نبش الماضي وأحداثه قبل وفاة والدها صعب وفي فترة الحزن التي تلت ذلك، فبدأت بأخذ صورة سالم ورفاقه مركزة على أحدهم وهو نامق، الرجل الذي كاد أن يغتصب سُلمى لولا ظهور شكرية في الوقت المناسب، وحَسْمُها الموقف بقتله وإنقاذ سلمى، محددة اليوم والساعة، وشاهدت ما كانت قد شاهدته من وجود الشرطة المكثف في بيتها وسؤالها عمن قتل نامقاً الذي ما زال في فراشها مضرجاً بدمه وهي تبحث عن دليل، بينما كانت سلمى جالسة على كرسي مرتدية لباساً غير الذي مزقه نامق، والذي اهتمت الشرطة بفحصه للعثور على بصمات عليه، وهم يؤكدون وكذلك زوج سلمى بأن القاتل رجل آخر كانت تستضيفه سلمى عندما حضر نامق، فأخفت الرجل وأدخلت نامقاً الذي أصر على اغتصابها، فلم يجد الرجل الآخر سوى الإجهاز على نامق الذي يشكل خطراً مباشراً عليه لو شعر بوجوده، بينما كانت سلمى تكذّب روايتهم وتقسم بأنها لا تعرف الرجل الملثم قبل مشاهدته يدخل عليهم، وأنها نظيفة ونقية ولم تَخُن زوجها، وهي تحب أطفالها وترغب بالبقاء معهم ترعاهم، وتقسم أن زوجها هو الوحيد في حياتها منذ زواجها حتى اليوم، وأن نامقاً هذا تعرفت عليه قبل زواجها ولا تعلم

بزيارته إلا أثناء طرقه بابَها. ولم يؤثّر بكاؤها في تغيير موقف زوجها الذي طردها ونعتها بالخائنة ونالت منه طلاقاً مجحفاً. ولم يكن تصرف الشرطة أقلَّ إجحافاً، فقد نالت منهم ما يناله المتهم، وعاملوها كما يعامل القتلة والمجرمون.

وفي تلك اللحظة دخل رجال الإسعاف، وقاموا بنقل جثة نامق خارجاً، ثم شاهدت شكرية خروج الشرطة من الشقة مصطحبين سلمى وهي تطلب رؤية أطفالها للحظة قبل خروجها من الشقة، في حين راح زوجها يغلق باب غرفة الأطفال بشدة لمنعها من ذلك، وهي ترجوه قائلة حبيبي بشير، لم أخنك، لا تحرمني منك ولا من أطفالي، فاقبلني خادمة ودافع عني.. ولكن ذلك لم يغير من الأمر شيئاً. شاهدت شكرية سلمى وهي تُدفع دفعاً نحو سلم البناء والدموع تنهمر من عينيها، فحزنت لذلك حزناً شديداً، وقررت ملاحقة الأمر حتى النهاية، دون أن تأبه بدوام فتح العيادة المسائية الذي حان فعلاً، وشاهدت سيارة الشرطة وهي تنطلق بسلمى والساعةُ قد قاربت الرابعة صباحاً، ثم أُدخلت مركز الشرطة، وشاهدت شكرية التحقيق من بدايته. ولما كانت أقوال سلمى لم تتغير فقد أُودعت غرفة التوقيف حتى الساعة السادسة صباحاً، عندما حضر شرطي وطلب منها الخروج لمقابلة قاضي التحقيق، الذي طلب منها إعطاء عنوان وجودها الحالي، فأبلغتهم عنوان ذويها في ضاحية من ضواحي المدينة، وتم الإفراج عنها وغادرت إلى دار ذويها. وشاهدت استقبال والدتها الذي اتسم بالخوف والحزن، وهي تشاهدها تدخل عليها

في ساعة مبكرة والشحوب والدموع والقلق باد على محياها، وهي تسرد لوالدتها التي صدقتها وطلبت منها الوضوء والصلاة والتضرع إلى الله لكشف الحقيقة.

أوقفت شكرية التركيز بعد أن عرفت مكان سكنى سلمى، ولكن الذي لا تعلمه هو ما حلّ بها بعد مرور تلك السنين الطويلة، وفكرت قليلاً ثم رأت من واجبها زيارتهم في العنوان الذي دونته عند إعطائه للشرطة، فقدرتها على المتابعة قد توقفت عند وصولها منزل والدتها، ولا يمكنها المتابعة بعد أن استقلت بشؤونها إلا إذا حصلت على صورة لها تمكنها من التركيز عليها حتى تتابع ما حصل لها في تلك السنين من أحداث، ولما لم يكن لدى شكرية الصورة اللازمة فقد رأت أن تحاول الزيارة، وتحصل منها على أية معلومات تساعدها في تحريك ما تود أن تعلمه عن مصير سلمى والعلاقة التي انفصمت مع زوجها وأطفالها يوم مقتل نامق عسى أن تقدم لها أي عون.

في اليوم التالي وفي فترة راحة شكرية بين دوامي عيادتها، انطلقت بسيارتها تبحث في إحدى الضواحي عن منزل تحمل عنوانه حتى اهتدت إليه، فوجدت على بابه لوحة صغيرة عليها عبارة خياطة للسيدات، ولما كانت العبارة لا تشير إلى أي اسم فقد رأت أن تحاول سؤال بائع قريب من المنزل، وكانت صيغة السؤال تشير إلى خيّاطة اسمها سلمى، فقيل لها إن سلمى من سكان الدار وهي الخياطة..

وجدت شكرية ضالتها، كما وجدت الطريقة المثلى للقائها دون أن تثير أي تساؤلات، إذ أحضرت في اليوم التالي قطعة قماش والتقت بسلمى التي استقبلتها كزبونة ثرية استقبالاً جيداً، وظهر اهتمامها عندما أخذت تُريها صوراً متعددة لأزياء حديثة، بينما كانت شكرية تتألم لرؤية المرأة وقد ذُبلت بعد مرور تلك السنين وتساءلت: أين اختفت نضارتها؟ ولماذا يعلو وجهَها الكآبةُ والحزن وكأنّ ما حصل لها قد وقع بالأمس القريب فحسب.. أيكون هناك أحداث متجددة تضاف إلى الحدث الذي سببه نامق لها منذ سنين، وبينما كانت سلمى المرحبة الباشة مع زبونتها الثرية تقوم وتقعد، كانت شكرية تبحث عن طريقة للحصول على صورة ما لسلمى، مدققة في زوايا الغرفة ورفوفها، وسلمى تظنها تشاهد صور الأزياء المنتشرة هنا وهناك. ولما استقر رأي شكرية على أحد النماذج، بدأت سلمى بأخذ المقاييس بينما راحت شكرية تتجاذب معها الحديث محاولة النفاذ إلى الماضي الذي كتمته سلمى، وخرجت شكرية من دار سلمى بخُفَّيْ حنين، ولكن عودتها القريبة لإجراء القياس تركها تفكر بوسيلة لالتقاط صورة لها.

وفي الموعد المحدد للقياس كانت شكرية قد أعدت آلة التصوير، وأبقتها بيدها لصغر حجمها، والتقت بسلمى في مكان عملها في منزل والدتها، وانهمكت سلمى بعملها بينما كانت شكرية تتحين الفرصة التي تمكّنها من التقاط صورة تكون أعينها ظاهرة فيها، ولما كان اهتمام سلمى منصباً على القياس كانت شكرية تلتقط صوراً عدة مستغلة ابتعاد سلمى

واقترابها منها لظروف وحاجات عملها، دون أن تشعر سلمى بذلك، وغادرتْها شكرية سعيدة بما أنجزت والأمل يحدوها في أن تستمر بالمتابعة لتصل إلى الحقيقة.

في اليوم التالي كان يوم الجمعة، وهو يوم عطلة تغلق فيها شكرية عيادتها، وتبقى في منزل الزوجية للراحة من عناء عملها خلال الأسبوع، وتجد متسعاً من الوقت لتداعب طفلها الذي تنحصر رؤيته في ذلك اليوم، لكونها لا تجد متسعاً من الوقت في أيام الأسبوع الأخرى لرؤيتَه، لوجوده بشكل دائم عند جدته أم عصام وفي غرفة نومها. أما زوجها فيجد يومَ راحته مناسبَةً للعمل بحديقة الدارة التي يهوى العمل بها منذ نعومة أظفاره، والعناية بالنبات هوايته الوحيدة التي يمارسها في أوقات فراغه. في ذلك اليوم خرج حسام كعادته في كل يوم جمعة إلى الحديقة، كما لم تقم شكرية بجلب طفلها كالعادة، وإنما سعت للخروج خارج الدارة بحجة أنها ستقوم بزيارة إحدى مريضاتها، فإن وُفقت بإنهاء عملها بسرعة فستقوم بزيارة والدتها علياء، ضامنةً بذلك إيجاد الوقت الكافي للتعرف والوصول إلى الحال التي وصلت إليها سلمى.

وصلت شكرية إلى المنشأة بعد مغادرتها بيت الزوجية، ودخلت فور وصولها غرفتها السرية، وأخرجت الصورة الملتقطة لسلمى وركزت عليها بعد تحديد التاريخ والوقت، لتجدها مع والدتها تشرح لها الملابسات التي حَدَتْ بزوجها لطردها بعد طلاقها، لاتّهامها مع الشرطة بأنها هي التي سعت لقتل نامق بمساعدة عشيق آخر كان قد اختبأ عند

ظهور نامق، وانتظر حتى اطمأن نامق ونزع ألبسته ففاجأه العشيق وقتله، وأن قصة الملثم قصة ملفقة وأني أعرف القاتل، ولكني فوجئت بعد توقيفي بإطلاق سراحي، وهذا يعني أنهم وجدوا أدلّة تثبت صحة أقوالي، وإني أقترح الذهاب إلى بيتي ومقابلة زوجي عسى أن يقتنع ببراءتي، شاهدت شكرية بعد ذلك لقاءً جرى بين سلمى ووالدتها وزوجها بشير في داره، وقد أكد طلاقها ونعتها بالخائنة، و لم تؤثّر فيه جميع محاولاتها للتنصل من اتهامه، ثم هددته باللجوء إلى القضاء، وغادرت منزل بشير مكسورةَ الجناح تجر قدميها جراً.. استمرت شكرية بمتابعتها وقامت بمسارعة الأيام، حتى مرّ على ذلك اليوم أربعةٌ وعشرون يوماً دون أن تستدعي الشرطة سلمى، حتى كان اليوم الخامس والعشرون، ففي أثناء ذلك اليوم سمعت سلمى ووالدتها طرْقاً على الباب وكان الوقت ليلاً، فقامت والدة سلمى وطلبت من ابنتها عدم الظهور، ووصلت إلى الباب وسألت: مَن الطارق: فقال: أريد سلمى هل أنت سلمى؟ وجرى حوارٌ مسهب عرفت شكرية من خلاله بأنه من طرف زوجها لمحادثة سلمى التي كانت تسمع الحوار، فقفزت دون أن تدري وفتحت له الباب، فاقتحمه عنوة بمساعدة رجلين آخرين، وتمكن ثلاثتهم من السيطرة عليهما بسرعة وكمّ أفواهيما، ثم قاموا بتقييد أم سلمى بشكل يمكّنها التخلص من القيد بعد وقت ليس بالقليل وأفهموها بأن ابنتها في حوزتهم، وأن حياتها مرهونة بكتمان ذلك، وأنهم سيعودون بها قبل الفجر. وكان منظر المرأتين والخوف يلفهما يبعث على الشفقة.

رافقت شكريةُ سيارةَ مختطفي سلمى التي كانت مقيدة ومعصوبة العينين، وكم كانت مفاجأتها كبيرة عندما وجدتهم يجتازون مدخل الدارة التي قَتَلتْ فيها سالماً وحسان، وبدل أن يدخلوا البناء استمروا بالمسير حتى نهاية الحديقة، وأنزلوا سلمى من السيارة وأدخلوها مكاناً لجمع الأخشاب وأدوات الرش وقطع مختلفة يعلوها الصدأ، حتى وصلوا باباً معدنياً فدخلوا منه إلى بهو صغير، ثم إلى مكان متسع صُفت فيه صناديق من جميع الأحجام، وفي آخره ممر يصل إلى صالون واسع في وسطه طاولة مستطيلة الشكل تتسع لأكثر من عشرين شخصاً، ثم أُصعدت درجاتٍ أربعاً لتصل إلى ممر، في آخره باب دخل منه أربعتهم، وما زالت سلمى معصوبة العينين ليصلوا إلى غرفة فاخرة الأثاث، ولفَتَ نظرَ شكرية الصورةُ التي كانت في غرفة سالم بالبناء وقالت لنفسها: هل نقلت العصابة مركز قيادتها إلى هذا المكان القصي من الحديقة؟؟ إنها نفس صورة الرجل الذي يقطع رأس الغزال بدم بارد وتجاعيدُ وجهه بارزة، أمام جدول الماء. ثم نظرت إلى الرجل القابع خلف المكتب فعرفته على الفور، إنه رامز الذي قرأ تقرير الشرطة لدى الاجتماع الذي جرى بعد مقتل نامق، إذن فرامز هو القائد المباشر الجديد.. وتساءلت لماذا لا يمارس عمله خارجاً؟ هل عَدّلت قيادة العصابة من مخططاتها بعد مقتل سالم، وأصبح القائد المباشر بعيداً عن الأعين.. أم أن رامزاً هذا معروف وله صفة فلا يمكنه مرافقة عناصر من العصابة؟! وسمعته يقول حُلّو وثاقها.

وما إن انتهوا حتى طلب منها الاقتراب قائلاً: سلمى، نحن لا نريد إيذاءك، فنحن أناس متحضرون، وكل ما نطلبه منك هو معلومات عن الرجل الذي قتل نامقاً.وإلا فسنضطر آسفين إلى قتل أولادك الثلاثة، وأنت تعرفين تماماً أن أسرتك بما فيها أولادك لايساوون الرجل الذي خسرناه، عدا عن أننا سنشوّه هذا الجمال الذي تملكينه والذي سبّب لرجلنا متابعته حتى نال حتفه، وقد انتظرنا تلك الأيام الطويلة حتى وصلت تحقيقات الشرطة إلى طريق مسدود، وهي التي اكتفت بالأقوال التي أدليتِ بها ونحن غير مقتنعين بذلك.. فهل تعرفين مَن غدَر بنامق؟ فإذا أشرتِ إليه فلن نَمَسّك بأذى، وسنعمل على عودتك إلى أسرتك وأولادك.. تكلمي.. هل أكل القط لسانك.. ثم أخرج من إضبارةٍ أمامه قطعة من الكرتون قائلاً: هل تعرفين صاحبة هذه الصورة؟ وأدركت شكرية أنهم يحاولون معرفة مَن كانت بسيارة سالم بعد مقتله. وقد كُتب في أعلى الورقة ما يدل على أنها من ملفات الشرطة، وأن مَن أعطوا الأوصاف هما الحارسان اللذان فكّا وثاقها، وتركاها تغادر الدارة باعتبارها صديقة سالم. ومن المفارقات أن شعرها المتدلي قد أخفى جزءاً من وجهها، كما أن الكحل الذي تستعمله شكرية بعناية لإخفاء الامتداد الوحشي لعينيها قد أبعد الشبه عنها، ولكنها كانت محاولةً خطيرة أخذتْها بعين الاعتبار.

أخذت سلمى الصورة التي كانت مخططة بقلمٍ من الفحم من يد رامز ودققت فيها، ثم أعادتها إليه قائلة: لم أر هذه المرأة من قبل، هل

لهذه المرأة علاقة بمقتل نامق؟ لم يُعِر رامز سؤال سلمى أيَّ اهتمام بل كرر أقواله السابقة ودعاها إلى أن تشير إلى مَن قتل نامقاً وإلا فسينفذ تهديده.. وفي تلك اللحظة شاهدت شكرية سلمى ترد بعنف وإباء قائلةً: إن من قتل نامقاً هو رجل شهم أنقذني في لحظة ضعف، وأنا ممتنة له كل الامتنان، لقد أنقذ شرفي، واللهِ لو عرفتُه لما أبلغتكم عنه، ولو كان الثمن كل ما هددت به.

انتقض رامز قائلاً ألا تخافين من تلك المجموعة من الرجال القادرين على اغتصابك الآن دون أن يتمكن ملثَّمُك من حمايتك، ألاترين بأنك تبالغين كثيراً، فأنت الآن تحت حمايتي وأنا قادر على أن أفعل بك ما أشاء، وأخفيك إلى الأبد.. قولي قبل أن ينفَدَ صبري وأنسى بأنك في حمايتي.

شعرت شكرية بانهيار سلمى ولجوئها إلى البكاء وهي تُقسم بأنها لا تعرف الملثم هذا، وأن ما سبّبه لها نامق يفوق قدرتها على الاحتمال، فقد خسرت كل شيء إلا شرفها الذي لا تود تعريضه للزوال أيضاً، فلو كانت تعرف قاتل نامق لما فضلته على شرفها. وشعرت شكرية بأن انتحالها الرجل الملثم له ما يبرره وأنه أنقذها، ولم تهتم بباقي المحاورة التي تجري بين رامز وسلمى، ولكن ما اهتمت به هو تعهد سلمى بمساعدتهم، وأنها ستبقى تحت تصرفهم ولن تمانع عند استدعائها، كما أبدت استعدادها لأن تكون في خدمتهم وتحت تصرفهم إذا رأووا في ذلك منفعة لهم. وشاهدت كيف قاموا بوضع العصابة على عينيها، فعرفت شكرية

بأنهم قرروا الإفراج عنها وإعادتها إلى ذويها. ولم تقم شكرية بمرافقتها أثناء إخراج سلمى من مركز العصابة، بل بقيت لترى ماذا يجري داخل ذلك الوكر ما دام لديها متسع من الوقت، فقد لا تحصل على فرصة أخرى تكون فيها بينهم تراهم ولا يرونها، ولديها رغبة في أن تتعرف على الطرق التي يستخدمونها باصطياد الضحايا.. وما إن خرجت المجموعة المرافقة لسلمى حتى قام رامز وأخرج من درج مكتبه حقيبة جلدية بُنّية اللون، ووضع داخلها بعضاً من الأوراق، ثم خلع عن رأسه شعراً تنكريا يشبه الرأس بتكوينه وقسوته، ثم فعل ذلك بلحيته فإذا هو أصلع أمرد.. فعرفته على الفور، إنه ميشيل سادا الجواهرجي الذي يتعامل معه عصام الزوج السابق لها. فقالت لنفسها الآن عرفت لماذا أظهر نفسه أمام سلمى.. ثم أعاد الحقيبة إلى درج المكتب بعد إحكام إغلاقها، كما أغلق المكتب واتجه نحو جدار الغرفة المقابل للباب ليصل إلى المكتبة، فيُخرج كتاباً ويُدخل يده مكانه وكأنه يزيل مزلاجاً، فتنفرج المكتبة ثم يعيد الكتاب إلى مكانه، ويخرج ميشيل من الفرجة ليصل إلى المرآب، وتسمع شكرية صوت مزلاج عندما عادت المكتبة إلى مكانها، وشاهدت بالمقابل جدار المرآب بعد الإغلاق يعود إلى مكانه وكأن شيئاً لم يكن.

وفي وسط الجدار شاهدت مصباحاً كهربائياً يشبه المصابيح الكهربائية المنتشرة بالممرات السرية للدارة، وعرفت بأن ذلك المصباح له عمل آخر غير النور المنبعث منه وهو فتح ذلك الجدار. وشاهدت أيضاً سيارتين ضمن المرآب. ولكن ما فوجئت به شكرية هو أن ميشيل خرج

نهائيا من دارة العصابة إلى بيت ذي طابقين، مستقل عن الدارة ببابه ومدخله وحديقته ومرآبه، وكأنّ من يقطن به ليس له أي علاقة بمَن إلى جواره، كما أن المرآب متصل مباشرة بالمنزل لا يفصله عنه إلا باب عادي ليس له أي صفة خاصة. ثم دخل غرفة نومه التي كانت عادية كأية غرفة نومٍ أخرى.

قطعت شكرية التركيز وعادت إلى واقعها متسائلة: هل ما زال رامز كما رأيته بعد مرور تلك السنين؟ هل ما زالت العصابة بنشاطها السابق.. وراودتها أسئلة كثيرة رأت من واجبها الحصول على إجاباتها، ثم نظرت إلى ساعتها فوجدتها قد تجاوزت السادسة والنصف مساءً، فعرفت بأن الوقت قد سرقها، وأنها بقيت نحواً من تسع ساعات تراقب أحداثاً حدثت قبل سنين، وقد عضها الجوع، ووجدت نفسها تغادر غرفتها السرية متجهة إلى خارج المنشأة إلى دارتهم، وهي مصممة على المتابعة يحدوها الفضول والرغبة بالوصول إلى حل العُقد والتساؤلات التي لم تجد لها أجوبة بعد.

دخلت شكرية دارة الزوجية مرهقة متعبة جائعة، فاستقبلها زوجها استقبالاً عنيفا لم تعهده من قبل، فقد بدأه بالصراخ والتعنيف والتهديد والوعيد.. ولكن شكرية التي فوجئت بهذا التصرف لم تُعِره انتباهاً، بل استمرت بسيرها حتى دخلت غرفتها، وأغلقتها دونها من الداخل بالمزلاج لمنعه من الدخول، وسمعت صوته بالخارج يلعلع وهو يدفع الباب ويحرك مقبضه بشدة ويطلب منها الإفصاح وإعلامه أين كانت، وهدد

بكسر الباب إذا بقيت على عنادها، وفي تلك اللحظة وصلت أم عصام وطلبت من شكرية السماح لها بالدخول، ووجدت أم عصام من شكرية الاستجابة وتم فتح الباب، ودخلت أم عصام فتبعها حسام وتلقف حقيبة يدها وأفرغ محتواها على السرير محاولاً إيجاد دليل على علاقة لها برجل آخر، ثم تحرك كالمجنون يفرغ محتويات أدراج خزانتها ويبحث بين أمتعتها، ووالدته تدعوه للهدوء لتسمع المبررات التي ستبديها شكرية عن سبب الغياب الطويل في يوم عطلتها. ولكن حساماً الذي فقد اتزانه بدأ بوضع شروط قاسية بالنسبة لشكرية، كإغلاقها العيادة، والتزامها البقاء في الدارة، وعدم الخروج إلا بإذن مسبق وإلا فمصيرها الطلاق، حينها وجدت شكرية الفرج وتكلمت أخيراً قائلةً: فليكن الطلاق. والتفتت إلى أم عصام التي أخذ الدمع يترقرق في عينيها قائلةً سيبقى أمجد بحوزتك مادمتِ ترغبين بذلك، وأنت تعرفين المنشأة والعيادة. ونظرت إلى زوجها الذي كتمتْ أنفاسَه عباراتُها قائلةً: أتريدني أن أغادر الآن أم أبقى حتى الصباح، وشاهدت شكرية أم عصام تنكب عليها معانقة ترجوها التريث وعدم اتخاذ هذا القرار المتسرع، وتأجيل ذلك حتى تهدأ النفوس، ومناقشة الأمر بروية.

خرج حسام من غرفة زوجته وبقيت أم عصام تهدّئ من انفعال شكرية، الذي بدأ ولم يَخْبُ إلا بعناق وتقبيلِ أمِ عصامٍ لها، ولم تتركْها إلا بعد أن وعدتْها شكرية بتأجيل اتخاذ أي قرار حتى تتم مناقشة الأمر بهدوء وروية، حينها طلبت شكرية من حماتها السماح لها بالبقاء معها

وفي غرفة نومها تفادياً لصدامٍ آخر لا ترغبه، وقد صممت على تخطّي ذلك الزواج الفاشل بإقناع حماتها التي يهمها رأيها ومشاعرها، وهي تعلم جيداً بأن أمجد يمثل بالنسبة لها الحياة نفسها، وهي لن تنافسها عليه وستترك لها كامل الحرية إذا رغبت بالاحتفاظ به.

شغل موضوعُ فشل زواجها من حسام جُلَّ وقتها منتظرةً الفرصة المناسبة لحل هذا الإشكال، مبتعدةً عن حسام مقيمةً في غرفة نوم حماتها وهي تفكر بالطريقة المثلى، عارضةً على حماتها الموضوع برمته بإشكالاته، واستمرت على ذلك عشرة أيام بعد الصدام غير المتوقّع بينها وبين زوجها، حتى نالت موافقة على الطلاق مشروطةً ببقائها في غرفتها بدارتهم، بوصفها جزءاً من الأسرة، وتملك هي وابنها أمجد الجزء الأكبر من المحل، وكذلك ما في غرفتها من أثاث ورياش وتحف بصفته جزءاً من أملاك زوجها السابق عصام. ووجدت شكرية في البقاء معهم إرضاءً لحماتها من جهة ورغبة منها بالإشراف المباشر على ما ورثته من زوجها السابق عصام من جهة أخرى، وخاصة المحل الذي تعتمد الأسرة عليه في معيشتها. ونالت بذلك حريتها، وخرج حسام من حياتها ومن غرفة نومها إلى غرفة عزوبته قبل زواجه.

التقطت شكرية أنفاسها بعد طلاقها من حسام، وعادت تمارس حياتها بالشكل الذي يتناسب مع طموحاتها، ومنها إيجاد السبل للتعرف على الطريقة المتبعة للعصابة للإيقاع بضحاياها، وكان كل ما يشغلها كيفية توصلهم إلى تغريم زوجها السابق عصام، ولماذا قبِل بالدفع وهو

الذي يُعرف عنه استحالة رضوخه للابتزاز، كما عادت لحياتها السابقة في عيادتها ومنشأتها وغرفتها السرية، وشعرت بانطلاقها وحريتها وكأنّ كابوساً قد أزيح عن كاهلها.

مضى على طلاق شكرية ما يقارب شهراً شعرت خلاله بالهدوء وراحة البال، وكان كل همها مرضاها وعيادتها حيث تجد السلوى في إنهاء المعاناة لهؤلاء المرضى، حتى كان يومٌ خرجت فيه إلى السوق لتجد نفسها أمام جواهريّ كَتب على زجاج محله اسمه الكامل، وقرأت على اللوحة المثبتة فوق محله الجواهرجي ميشيل سادا، فدفعها الفضول والرغبة في دخول المحل لتجده كما كان منذ سنين بأثاثه ومواضع قطع ذلك الأثاث، ووجدت ميشيل بصلعته جالساً وراء مكتبه يتفحص قطعة ذهبية وقد وَضع على إحدى عينيه عدسة مكبرة، وما إن دخلت شكرية حتى أزال ميشيل العدسة المكبرة، ورحب بشكرية ترحيباً عادياً كما يجري لأي زبونة، حينها أخرجت شكرية من حقيبتها قرطاً قديماً كان قد أهدي إليها من جدتها يوم نجاحها عارضةً بيعه، فأخذه ميشيل من يدها، وبينما هو يضع العدسة المكبرة ليتفحصه كانت شكرية تجول ببصرها في أرجاء المحل لتجد صورة صغيرة له في إطار مذهّب، معلقة فوق رأسه مشرعة العينين، فوجدت بأن تلك الصورة هي ضالتها، فاقتربت من الواجهات الزجاجية لتشاهد المعروضات المتناثرة، واقتربت أكثر من الواجهة التي علقت الصورة بجانبها، وشاهدت فيها قرطاً ماسياً قد ثبت بعلبة، وفي تلك اللحظة كان ميشيل يتابع شكرية بنظره بعد أن انتهى من معاينة

قرطها القديم، حينما أشارت طالبةً منه رؤية القرط الماسـي. لبى ميشيل طلبها وأخرجه من الواجهة وقدمه إلى شكرية التي أخرجته من علبته، وثبتت إحداها في أذنها واقتربت من المرآة وهو ينظر إليها، ثم عكفت على خلعه من أذنها بشكل أشعره بعنف خلعه، فسقط من يدها وتدحرج أسفل إحدى الخزائن، فامتعض ميشيل ثم انحنى لالتقاطه، وفي تلك اللحظة كانت شكرية تتناول هي أيضاً صورته المعلقة وتضعها في حقيبة يدها بسرعة متجاوزة سرعته بالتقاط القرط، وراح يتفحص القرط بالعين المجردة، ثم وضع عدسة مكبرة على عينه وهو يتمتم وقد أعاد إليها قرطها وهو يسألها أكانت ترغب بشراء القرط الذي أسقطته؟ فأجابته بالإيجاب، وشاهدت انفراج أساريره وهو يضعه في علبته ويأخذ قيمته، وخرجت قبل أن يلحظ غياب صورته من مكانها، ثم ركبت سيارتها وانطلقت بها مسافة قصيرة، وأوقفتها قرب أحد منحنيات الطريق الخالية، وأخرجت صورة ميشيل وركزت عليها بغية مشاهدة ردة فعله عند معرفته بفقد صورته المعلقة..

ولكن ما شاهدته كان جلوسه خلف مكتبه يحسب غلته، ثم شاهدت دخول امرأتين ورجل وشاهدته يستقبلهم كما استقبلها ويهتم بطلباتهم، فعرفت بأن نظره واهتمامه مُنصبَّان على ما بيده لا على ما حوله، وكان ذلك من دواعي سرورها، لأنه عندما يكتشف غياب صورته ستختلط عليه الأمور ولن يعرف كيف اختفت ومَن أخذها.

قطعت شكرية التركيز وعادت إلى منشأتها مسرورة بغنيمتها التي أدخلتها غرفتها السرية لتضمها إلى مقتنياتها الثمينة، وكان الوقت قد اقترب من دوام العيادة المسائي، فغادرت غرفتها السرية لتجد لمياء ومرضاها في العيادة بانتظار قدومها.

كان اليوم التالي يوم عطلة شكرية فعاشت هذا اليوم كالأيام الخوالي، فقد أمضت جل يومها مع حماتها وولدها تداعبه ويداعبها، كما قامت بتحضير طعام الغداء وتناولوه معاً في حديقة الدارة، معيدين ذكريات الماضي المشحونة في ذاكرتهم، وكيف تناولوا طعامهم الأول معاً بنفس المكان وقرب بركة الماء بحضور الجميع، وكيف كانت شكرية تقوم بتحضير الطعام اليومي وتجد من يشكرها ويُثني على طبخها، وأخذ قلبها يفيض بالشوق وعيناها تفيضان بالدمع، ومر بخاطرها من أحبته ووجدت بقربه الأمان والراحة. شعرت أم عصام بحنين شكرية إلى حياتها السابقة مع عصام، وكيف كانت تأكل معه أيام الإجازات بنفس مكان وجودهم الآن، وغمر أمَّ عصام حنينُها إلى الماضي وخوفها من المستقبل، وأن ولدها حساماً ما زال ينقصه النضج والروية وحسن التدبير، وأن شكرية هي الأمان. وعاودها الخوف والقلق الدائم من أن تغادرهم، وخاصة بعد أن فقدت عصاماً الذي كان ضمان الحاضر والمستقبل، فقد كان مع شكرية يشكلان رباطاً رائعاً يحس الإنسان معه بالأمان والراحة، بينما كانت أم عصام تسترسل بالكلام كانت شكرية تنظر إلى وجه حماتها بتجاعيده، وقلبها يتفطر حزناً وألماً وهي ترى الإنسانة العزيزة الغالية عليها بمعنويات

منهارة، لا تثق بوحيدها ولا بالمستقبل، وكأنها ترى فيه إعصاراً قادماً سيقتلعها من جذورها ويتركها فريسة للمجهول، وتركت شكرية حماتها تتابع كلامها دون أن تقاطعها أو تشعرها بالملل، ثم نظرت الجدة إلى أمجد هذا الطفل الذي عاش في كنفها منذ ولادته ووصفته بأنه الأمل المتجدد لحياتها، يذكّرها بالماضي الجميل عندما كانت أماً ترعى صغارها وترى فيهم الأمل والرجاء، كما شبهته بوالده قائلةً: إنه عصام الصغير، بهدوئه واتزانه وميله إلى الفنون والتحف والرغبة في اقتنائها، كما يهوى السلاح ويرغب بامتلاكه والحفاظ عليه، ويتعاطف مع جدته كما كان عصام منذ نعومة أظفاره، ونظرت إليه فبدا هادئاً ينظر إليهما. ثم توجهت إلى شكرية قائلةً بهمس: انظري إلى أمجد إنه يفهم كل كلمة نقولها، ثم قامت بضم حفيدها إلى صدرها بشدة والدموع تترقرق في عينيها، وراحت تقبله وهي تتمتم بالدعاء له والشكر للإله الذي منّ عليها بهذا الحفيد وأضاء لها شيخوختها بوجوده.

في اليوم التالي وبينما كانت شكرية تعالج مرضاها في العيادة لم يَغِب عن بالها الحوار الذي جرى مع حماتها، واليأس والقنوط اللذان كانا يتملكانها وهي في هذه السن المتقدمة، ولا أحد بجوارها تركن إليه وتحس بقربه بالأمان والثقة، ووجدت بأن الحل الأمثل هو القيام بزيارة قصيرة إلى سامية أخت أم عصام، التي قطعت الصلات بينهما منذ أن تزوجت شكرية ابن أختها حساماً، ولعلمها الجازم بأن ابنتها أسمهان ما زالت بكنف والدتها، ولم يسعفها الحظ بإيجاد الزوج المناسب الذي ترغب

بالاقتران به، لأسباب تتعلق بالثراء الذي تتمتع به أسرة أم عصام، ورغبتها بالخروج من الحي الفقير المكتظ بالسكان إلى الضاحية التي تقطن بها خالتها، والتي تعد من الأحياء الراقية بسكانها وأبنيتها وشوارعها وحدائقها الكثيرة.

نفّذت شكرية ما خطر لها وغادرت عيادتها بين دوامي العيادة، وانطلقت بسيارتها نحو الحي الذي تقطن فيه الخالة سامية كما كانت تدعوها، وكان من الأحياء الفقيرة، ووجدت صعوبة في اجتياز كثير من المطبات وحفر الماء الملوث، متجنبةً كثيراً من مجموعات الأطفال الذين يمارسون الألعاب المختلفة في الطرقات، حتى اقتربت من باب بيت الخالة سامية الذي زارته عدة مرات برفقة زوجها عصام، والذي كان يُكِنّ لتلك الخالة المحبة والاحترام، ويصفها بالإنسانة العظيمة لتَحَمُّلها شظف العيش مع الرجل الذي أحبته وضحّت من أجله. أوقفت شكرية سيارتها بإحدى الزوايا تفادياً للعبث بها من أطفال الحي، وسَعَتْ لتدخل بيت سامية مفاجئة الجميع بزيارتها وجرى لها استقبال حار لم تتوقعه، بل وجدت نفسها تعامَل باحترام جم والكل يُثني ويشكر تلك الزيارة، وهي التي كانت تحسِبُ حساباً مغايراً لذلك، وأعلمتهم بأن زيارتها لهم كانت مبادرة شخصية منها، وأن أم عصام لا تعلم بتلك الزيارة، وأعلمتهم أيضاً بانهيار زواجها من حسام، وعَزَتْ ذلك إلى عدم التوافق لصغر سنه. وقد ألجمَ هذا الخبرُ الجميعَ وشعرت بوقعه المفاجئ عليهم، وتابعت شكرية تطلب منهم تكثيف الزيارات لأم عصام كما كانوا. وقبل أن تغادر

أخذت منهم ميثاقاً بأن يعودوا للتواصل مرة أخرى دون إخبار أم عصام بزيارتها لهم.

لمست شكرية صدىً فورياً لزيارتها هذه، إذ إنها عند إقفال عيادتها في المساء وعودتها إلى الدارة وجدت الخالة سامية وابنتها أسمهان وقد سبقتاها وزارتا أم عصام التي كان الفرح والسرور يشعان في وجهها. وقد تلقت شكرية من الباب وأبلغتها بوجودهما بالداخل، وأنها سعيدة لعودة المياه إلى مجاريها، وما أثلج صدر شكرية أكثر هو اهتمام حسام بأسمهان حتى إنه أوصلهما بسيارته إلى منزلهما عند انتهاء الزيارة.

أزاحت عودة العلاقة بين أم عصام وأختها سامية القلق الذي يساور شكرية لو اختفت من حياة أم عصام، نتيجة الصراع الذي قررت البدء به مع العصابة، واحتمال تطوره ليشمل جهات أخرى، واحتمالُ خروجها منه سالمة متروكٌ للظروف لجهلها بالمستقبل، وأمجد، هذا الجانب الهام من حياتها سيكون بأيد أمينة على المدى المنظور على الأقل، واختلال التوازن في دارة أم عصام لن يؤثر على أمجد الذي سينتقل إلى الجدة علياء، فهي أكثر استقراراً وهدوءاً في بيتها وبين أولادها، وهي التي ما فتئت تطالب به شكرية للعيش معها وبين ذراعيها.

انتقلت شكرية من حياة الدعة إلى المغامرة، ففي اليوم التالي دخلت غرفتها السرية، وأخذت بكلتا يديها صورةَ ميشيل وبدأت تدقق بها قائلةً وهي تكلم الصورة كنت وما زلت غامضاً على الجميع، أما الآن وقد اخترقتُ جدارَك السري بما أنعم الله عليّ من القدرات، فانتظر مصيرك

على يدي كما فعلتَ بزوجي، عندما كان صديقاً حميماً ووفياً لأمثالك كنتَ أنت تخطط لابتزازه، وكان من نتائجها حرماني منه، وفقدت بموته كل أمل لي بالحياة.

وكانت شكرية ترغب بأن تعرف كيفية وقوع زوجها في حبائلهم، وهذا سيعيدها إلى سنين قديمة مضت حينما كان عازباً، ووجدت في تاريخ عيد ميلاد عصام نقطة البدء. ركزت شكرية على صورة ميشيل التي ما زالت بين يديها بادئة بتاريخ عيد ميلاد عصام وما بعده، وأهملت تحركاته جميعها إلا التحركات التي تتعلق بعصام فحسب، وراحت تسارع الأيام حتى شاهدت ميشيل يدخل محل عصام، وشاهدت استقبال عصام له استقبالاً ينبئ بأن ما بينهما يتجاوز العلاقة التي تربط أهل السوق ببعضهم، وسمعت عصاماً يقول أود أن تعطيني رأيك بتلك التحفة النادرة، فلقد حصلت عليها هدية في عيد ميلادي. وكانت يداه تترافق مع كلامه وتُخرج الصندوق المرصع بالزمرد والياقوت، وكانت عينا ميشيل تغزل عليه غزلاً، وزاد انبهار ميشيل عندما رأى باقي الهدية وهو يتفحصها، ووصفها بالتحفة النادرة التي تليق بالملوك، ودعاه إلى عدم إظهارها والاحتفاظ بها في مكان لا تراه الأعين. ولكن عصاماً الذي رفض اقتراح ميشيل رأى في عرضها في محله مجلبة للحركة، وأن ذلك لا يتنافى مع معروضاته من الصناعات التقليدية.

استمرت شكرية بمتابعة ميشيل دون كلل أو ملل وقامت بمسارعة الأيام حتى رأته في إحدى الليالي يغادر منزله ويدخل دارة العصابة من

الباب السري إلى مكتبه، ثم يُخرج من درج مكتبه أدوات التنكر، وبدأ يزاول عمله، فاتصل وسمعت فحوى المكالمة وكانت جُلُّها عن عصام والتحفة التي يملكها، وعرفت بأن صلاحيته حينئذ لا تتعدى إعطاء المعلومات فحسب والقرار ليس بيده، وأنه لا يعرف أداة التنفيذ، غير أن هذا لا يُعفيه من المسؤولية. وهنا أوقفت شكرية التركيز على ميشيل الذي وضع صديقه عصاماً في متناول يد العصابة دون أن يأبه بما يحصل له، وهو يعرف مصير من يمتنع عن تنفيذ ما يرغبون به، ووجدت أن سبيلها الوحيد للتعرف على ما حصل بعد ذلك هو مراقبة عصام، وبما أن المراقبة تلتهم الوقت ولا يمكنها التوفيق بين مرضاها الذين يأخذون جل وقتها وبين متابعة ما وجدت نفسها في خضمه، فقد رأت أن من الأفضل عدم استقبال مرضى جدد وتصفية المرضى القدامى، وأبلغت ذلك إلى لمياء موظفة الاستقبال في عيادتها، وكتبت إعلاناً وضعته في مكان بارز على باب عيادتها. ولما كان ذلك يعتمد على ما بقي من مرضى وحالتهم، فقد كثفت شكرية من استخدامها التركيز لتتعرف على أسباب المرض، وإيجاد العلاج الملائم، وقد استغرق ذلك وقتاً وجدته ثقيلاً على مخططاتها، مما اضطرها إلى التأجيل في كل مرة على مضض.

عادت شكرية إلى الدارة مرهقة من عملها لتسمع أصواتاً تنبئ بوجود ضيوف كُثر في صالة الدارة، وما إن دخلت حتى جرى استقبالها بود من قبل الضيوف، وكانوا عدا الخالة سامية أناساً آخرين تمَّ التعرف عليهم، وأنهم أقارب أبي سعيد زوج سامية، وشاهدت ابنَها يلهو مع

أطفال في سنه فعرفت بأنهم أطفال أمل الضيفة المرافقة، كما شاهدت حساماً وأسمهان يجلسان منعزلَيْن على أريكة يتناولون البذور والمكسرات، وبقي الجميع وقوفاً حتى استكملت شكرية المصافحة، ثم جلس الجميع يسألونها عن عملها وصحتها، ثم بدأ الحديث يتناول أموراً أخرى شاركت فيه شكرية، وتطرّق الحديث عن حسام وحاجته إلى زوجة تحمل الأعباء التي بقيت على كاهل أم عصام، التي ردّت بأن موضوع زواج حسام ليس له علاقة بالأعباء التي تتحملها شكرية كاملة، ولكن ما أرغب به هو أن أجد من تكون بجانبي أثناء النهار..

فاقترحت شكرية أن تكون أسمهان المرشحة لهذا الزواج.. تبع هذا الاقتراح صمتٌ مطبق من الجميع وكأنه فاجأهم، لأنهم لم يتوقعوا من شكرية أن تكون هي صاحبة الاقتراح، ثم تابعت بأن هذا الزواج سيكون زواجاً ناجحاً لحسام الذي سيجد امرأة ناضجة ترعاه، ومناسباً لأم عصام التي ستكون محط رعاية ابنة أختها وعنايتها.

في تلك اللحظة تلاقت نظرات الجميع، ثم وجهوا نظراتهم إلى القابعين على الأريكة وقد فاجأهما الاقتراح، ووجدا نفسيهما مستهدفين ممن كانوا يظنون بأن تقاربهما سيسبب لشكرية الألم. ثم تابعت شكرية قائلة: وإنه سيكون من دواعي سروري أن أقوم بمرافقة أم عصام الغالية لمقابلة أبي سعيد وطلب يد ابنته أسمهان، وخير البر عاجله.

وجد هذا الاقتراح قبولاً لدى أم عصام التي باركته وباركت من اقترحته، واصفةً إياها بالابنة المحبة الغالية، ولكنها اشترطت لتنفيذه أن

تبقى شكرية ملازمةً لها ومن سكان دارتهم ما دامت بلا زوج، وإن خوفها من مغادرة شكرية الدارة منعها حتى الآن من طرح فكرة زواج ابنها حسام حتى لا تفقدها، وكان رد شكرية الإيجابي قد دفع أمور زواج حسام نحو الأمام.

مرت أيام ثقيلة على شكرية وهي تبحث عن حلول لمرضاها المتبقين لكي تتمكن من إغلاق العيادة، والانطلاق لتصفية ما تبقّى من الحساب مع العصابة، وتجنيب بعض الأسر المستهدفة شرورها. وفي النهاية ودعت آخر مرضاها وشعرت بتحررها من التزاماتها اليومية، وأن عودتها لفتح العيادة ومزاولتها مهنتها مرهونة بنجاحها وعودتها بسلام.

في اليوم التالي غادرت شكرية دارتهم بالموعد المحدد - بعد تناولها فطورَها مع أم عصام كما عودتهم يومياً - إلى المنشأة، ودخلت غرفتها السرية، وكان اختيارها لتعرف خبايا الأمور أن تعيش مع عصام زوجها السابق قبل وبعد زواجها، مدركةً ما سيسبب لها ذلك من آلام هي في غنى عنها، لولا اضطرارها بعد أن تقطعت بها السبل، رغم أن ذلك لا يُبرز الخفايا فحسب ولكنه يبعث الروح في الجهود المتجددة، لتعرف أموراً بقيت خافيةً عليها رغم مرور سنين كثيرةٍ على حدوثها.

أخذت شكرية صورة عصام ونظرت إليها نظرة ملؤها الحسرة على فقدانه وهما ما زالا في فترة عسلهما..

وبدأت دموعها تنهمر دون أن تتمكن من كبح جماحها، ثم أشاحت بوجهها جانباً وهي تسأل نفسها كيف لها أن تلاحق القضية التي

قتل فيها من تقاتل من أجله، وتعيش معه فترة مـا قبـل ومـا بعـد زواجهـا منه، وهي تعلم بأنه ذهب ولن يعود.. وما يؤرّقها ويبعث الريبة في نفسها تلك الفترةُ التي لا تعلم من خفاياها إلا النزر اليسير، وهـي الـتي تبـدأ مـن عيد ميلاد زوجها حتـى مقتلـه، وكذلـك العلاقـة الـتي تربطـه بالعصابـة؟ كيف وصلت هديتها التي قدمتها له في عيـد ميـلاده إلى قاعـة التحـف في دارة العصابة؟ هل قتلوه من أجـل المـال كمـا رأت في حينهـا أم أن المـال كان ذريعة تذرّع بها القتلة للتخلص منه؟ هل هناك أشخاص آخرون لهـم علاقة مـن قريـب أو مـن بعيـد بمقتله و لم يظهـروا إلا في الفـترة الغامضـة عليها.. لكل تلك ولأسبابٍ أخرى تجلـدت شكرية، وأعـادت النظـر إلى صورة عصام وركزت عليها بعد تحديد تـاريخ تثبيـت هديتهـا في واجهـة محله لجلب الزبائن، وقامت بمسارعة الأيام مروراً ببدء العلاقـة بينهـا وبـين زوجها، وشاهدته وهو يدخل محـل ميشـيل ورأت وسمعـت الحـوار الـذي جرى بينهما، وقد بدأه عصام بأنه يريد خاتماً للخطبة وخاتماً آخر ليس لـه مثيل في السوق، فرد ميشيل والتعجب بادٍ على محياه وقال هـل.. فقاطعـه عصام نعم وجدت من تشاركني حياتي. فسـأله ميشـيل أخـيراً وقعـت في الحب.. فقال ليس حباً بالمعنى الصحيح ولكنه بمجرد إعجاب، فهـي تملـك قواماً أثارت فيّ نوازع لم تثرها امرأة أخرى مـن قبـل. فـرد ميشـيل قـائلاً أهكـذا إذن.. نوازع.. وتسـاءل: منـذ أن بـدأتْ صداقتُنـا حتـى الآن لم أفهمك، ولي رغبة في أن أرى التي أخرجتك من صومعتكُ التي لها المكانـة العليا في حياتك.. قال هذا وهو يريه خاتماً ماسياً، متابعاً: خذ هـذا الخـاتم فقيمته بصنعته النادرة، فقـد صيـغ منـه ثلاثـةٌ فقـط، والـذي صاغهـا غـير

معروف حتى الآن. تلقف عصام الخاتم من يد ميشيل وأبدى إعجاباً شديداً به، وشكر له صنيعه ثم قال: سآتي بخطيبتي لتختار ما ترغب به من مصاغ قبل عقد القِران، ثم سأله أيريد العلبة التي تحوي الخاتم قبل لفها؟ وأبدى عصام اعتراضاً وطلب علبة تليق بهذا الخاتم. فأراه علبة نادرة أيضاً قائلاً: ما أول حروف اسم الخطيبة؟ وقام بتثبيت حرف (الشين) على ظهر العلبة بست قطع من الياقوت ولفها بعناية.

قامت شكرية بمسارعة الأيام ولم يمر سوى يومين حتى رأت نفسها تدخل مع عصام محل ميشيل وكانت تضع نظارات شمسية على وجهها، ففرحت لأنها كانت تضع النظارات في ذلك اليوم، وما أثلج صدرها أكثر أنها لم ترفع النظارة عن عينيها رغم أنها داخل المحل، وعَزَتْ ذلك إلى إرادة الله، وإلا لكان قد عرفها من عينيها عندما اشترت الأقراط وسرقت صورته، كما أنها لم تتكلم بصوت يسمعه بل كانت تسأل خطيبها بهمس عندما كانت تنتقي هدية عقد قرانها، لأن حساسية رجال العصابات وقدرتهم على تحديد الأصوات كبيرة، وخاصة أن ميشيل رجل عصابات استخباري له القدرة على التمييز.

بقيت شكرية تراقب نفسها في داخل محل ميشيل وهي خائفة من أن تكون قد ارتكبت هفوة تعيق مخططاتها، وخاصة أنه كان يرصد كل حركاتها وسكناتها حتى خرجت من المحل، وتنفست الصعداء وهي ترى نفسها خارجة دون إلقاء تحية الخروج، بينما كان عصام الذي تخلف قليلاً يسأله رأيه، فردّ ميشيل بأن ما رآه هو امرأة محافظة ذات وجه جميل دون

أن يرى لون عينيها أو جمال صوتها، ولم يذكر عن قوامها شيئاً. وبعد خروج عصام بقيت شكرية تراقب ردة فعل ميشيل بعد خروجهما، ورأته يفتح الدرج الأخير من مكتبه ويتصل، وسمعته يقول بأن الخاتم الفضي قد سلم إلى عصام حسب التعليمات، ثم أغلق الدرج وهو يبتسم.. تساءلت شكرية ما السر الذي يحمله هذا الخاتم؟ أين هو الآن لقد أودعته إصبعه يوم عقد القران ولم اره بعد وفاته أبداً، ولا يمكن دفنه معه، هل سُرق؟ مع أنني لم أره يوماً من دونه.. عليّ أن أجد هذا الخاتم، فمن الممكن أن يكون هذا الخاتم هو المفتاح للأجوبة التي أبحث عنها. ولكن ماذا يريدون من عصام؟ علي ملاحقة موضوع الخاتم بعد أن أنهي ما بدأته.

واستمرت تتابع عصاماً، فشاهدته كيف كان سعيداً وهو يستعد للزواج، وشاهدت الحوار الذي كان يجريه مع أهله وخلّانه، وكانت شكرية محور تلك الحوار، وعرفت بأن خلفيّته كانت صادقة راسخة، وأنه الرجل الكامل الذي عرفته، ثم شاهدت الفترات الأولى للزواج وكانت تلاحقها ببطء وتسعد بكل لحظة عاشتها معه، ثم بدأت بتسارع الأيام مرة أخرى ولاحقته في الدارة والطريق والعمل دون أن تجد شيئاً، حتى كان يومٌ غادر فيه محله عندما صادفه رجل كبير السن قوي البنية عريض المنكبين له نظرة ثاقبة وسأله: هل أنت ولد حسين الساكت؟ فرد نعم أنا ولده عصام. فقال يا ولدي إن والدك لديه مجموعة مسدسات لي أبقيتُها بحوزته منذ اثني عشر عاماً وأنا صديقه عِزّو.

غادرتُ البلاد حينَها ولا أريد أن تعرف شيئاً عن ذلك الماضي، ولكن منذ ثمانية عشر شهراً خرجت من سجن أمريكي لألتقي بأصحاب تلك المسدسات، ولما أعلمتهم ببيعها هددوني بالقتل إن لم أعلمهم بمكان وجودها، وبدافع خوفي على نفسي ورغبتي بتمضية ما بقي من عمري بهدوء فقد أعلمتهم عمن أخفيتها عنده، ولكني فوجئت بعد أيام بأن حسين الساكت قد توفي بحادث، وأن المسدسات ليس لها أثر، وبعد أيام وقعتُ في مشكلة مع الشرطة هنا وسجنت سبعة عشر شهراً، وخرجت منذ أيام لأجد أصحاب المسدسات مرة أخرى بانتظاري يرددون نفس السؤال.. نظر عصام إلى وجه الرجل وسأله إن كان قد أخذ من والده مبلغاً يوازي قيمتها، فرد الرجل بالإيجاب. وهنا سأله فأين الغلط في الموضوع؟ فهي ملك والدي وأسرته من بعده، فقال الرجل ما دفعني هو خوفي عليك وعلى أسرتك، فهم لن يتوانوا عن فعل أي شيء في سبيل الحصول عليها. أطرق عصام بضع دقائق ثم التفت إلى الرجل ودعاه لزيارته غداً في المحل فهو لم يفهم منه شيئاً، وتساءل من هم؟ وما مدى قوتهم؟ أليس في البلد قانون.. ورجاه تركه الآن وهو يهز رأسه ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وقام بإغلاق محله وعزّو يحاول ثنيه، ولكن عصاماً أنهى عمله وركب سيارته وغادره دون أن يأبه به.

بقي عزّو أمام محل عصام برهة وهو يشاهد سيارة عصام تبتعد عن ناظريه، ثم قفل راجعاً فتابعته شكرية ورأته يجتاز الشارع ثم يدخل شارعاً جانبياً ويصل إلى مكان لبيع عصير الفاكهة ويدخله ويجتاز المحل

ويصعد سُلّماً، وبعد وصوله إلى نهاية السلم يصل إلى الطابق العلوي الذي صُفّت فيه الطاولات والكراسي لاستقبال الزبائن، ولكنه لا يدخله بل يدخل باباً عند نهاية السلم بعد أن يفتح قفله بمفتاح كان بحوزته، فظهر أمامه ممر مُنار جيداً سار فيه بعد إغلاق الباب خلفه إلى آخره، فتفرع إلى ممر يميني وآخر مقابل له، فسار في الممر المقابل حتى وصل إلى باب، أمامه رجل مسلح يحرسه، وبيده هاتف متنقل، وما إن وصل حتى قام الحارس بإدارة قرص الباب والسماح لعزّو بالدخول.

دخل عزّو إلى غرفة استقبال فيها مجموعة من الأرائك، تتصدرها امرأةٌ خلف مكتب مليء بأجهزة الاتصال والاستقبال، وهي مشغولة بعملٍ أمامها، فتشير بيدها إلى عزّو بالجلوس والانتظار، ثم يخرج رجلٌ من بابٍ جانبي ويدعو عزّو ليتبعه، ثم عاد من حيث أتى من طريقِ محلِ بيعِ العصير، ويخرجان معاً إلى الشارع ويمتطيان سيارة تأخذهما إلى بناء لايبعد أكثر من مئتي متر، ويهبطان من السيارة ويدخلان المبنى ثم يهبطان سلما، ويفتح مرافقُه باباً بنهاية السلم ويدخلان القبو إلى مفترقٍ داخلَه، فيشير المرافق إلى عزو بالبقاء في المفترق طالباً منه الانتظار، بينما يختفي المرافق في ممر برهة، ثم يعود وبرفقته امرأة في مقتبل العمر، فيسأله إن كان يعرف تلك المرأة فقال نعم التقيتها في مطار فرانكفورت وتعارفنا، وتوطدت العلاقة بيننا لكوننا من بلد واحد، ووجدتُ مَن أكلمُه ويكلمُني، وكنتُ بشوقٍ شديدٍ إلى أن أسمع لغتي مرة أخرى وأتبادلها مع أي إنسان، بعد تلك السنين التي أمضيتها في سجن أجنبي، ولكنّ المرافق

لم يترك مجالاً لأكثر، بل أعاد المرآة إلى الداخل، وبعد برهة عاد ليسأل عزّو إن كان قد وجد حلاً للموضوع المتعلق به وبإعادة المسدسات.. فرد بأن عصاماً لا يعرفه، وصوت حسين عقّد المشكلة، ويظهر أن عصاماً هذا معتدّ بنفسه وسيكون صعب المراس. فرد المرافق بأن لكل رجل نقطة ضعف، ألم تتفقوا على لقاء آخر؟ ولما أجابه عزّو بالإيجاب قال حاول أن تسترجع المسدسات، وابدأ بإغرائه بمبلغ كبير من المال، ولا تلجأ إلى التهديد إلا بعد أن تستنفد كل السبل، فهو تحت المراقبة فلا تهابُه فنحن معك دائماً.

قطعتْ شكرية التركيز على أفراد العصابة وهي تسأل نفسها: ماذا فعل عصام بعد مغادرته محله؟ وأعادت التركيز على صورة عصام، وحددت ساعة التركيز وتاريخه، وشاهدت عصاماً بعد تركه عزّو هذا يتجه نحو دارته، وشاهدته يدخل غرفة نومه بعد أن ألقى التحية على والدته وزوجته شكرية وحمل ابنه وقبّله، وشاهدت الخاتم في إصبعه، وشاهدت نفسها تَعِدُه بالطعام ريثما يقوم بتغيير ملابسه، ولكن عصاماً دخل غرفة نومه وأخرج المسدسات، وفتش كل زاوية في تركيبها علّه يجد شيئاً ثميناً، وعندما همّ بإعادتها إلى الصندوق خطر له أن يكون الصندوق هو الذي يحوي ما يبحثون عنه، وبدأ بتفتيشه زاوية زاوية، ولما لم يجد شيئاً هزه بشدة فسمع صوتاً، وكأنّ شيئاً يتحرك داخلَه، وأعاد الهز بشدة أكثر فسمع أصواتاً لا صوتاً واحداً، فعرف بأن في داخله ما يبحثون عنه، وطفق يحاول إيجاد الفراغ ومدخله الذي يحوي القطع التي تتحرك بداخله،

وهنا شاهدت نفسها تدخل ونظرات التعجب بادية عليها وهي تسأله عما عطّله عن تغيير ملابسه، فالطعام جاهز. ثم سألته مبتسمة: حبك للأسلحة أنساك طعامك.. وخرجت وهي تردد عبارة: نحن بانتظارك والطعام سيبرد ولن نأكل دون حضورك. قام عصام ووضع المسدسات في درج الخزانة وحمل صندوقها، وشاهدته يُخفيه بين الكتب في المكتبة ثم يقوم بتغيير ملابسه ويخرج.

قطعت شكرية التركيز وعادت بذاكرتها إلى تلك الأيام وتساءلت: أليس من الأجدى أن أخبره حينها بقدراتي ليعتمد عليها في مواجهة هؤلاء؟ لماذا لم أركز عليه آنذاك لأعرف ما كان يفعله حينما شاهدتُه يعبث بالصندوق؟! ثم أعادت التركيز وقامت بمسارعة الساعات فوجدته يدخل غرفة نومهما بعد الطعام، طالباً منها عدم إزعاجه فهو يريد أن ينال إغفاءة مريحة. وما إن دخل غرفة النوم حتى أخرج الصندوق، وعاد يعالجه ليجد المنفذ الذي أُدخل منه ما يسمعه من أصوات لقِطعٍ تتحرك بداخله، ووجدته يحرك أصابعه في جنبات الصندوق وفي داخله وبين الأسانيد الاسفنجية التي تقي المسدسات من الصدمات، واستمر على ذلك ساعةً كاملةً دون أن يصل إلى نتيجة، فقرر تأجيل البحث مؤقتاً، ثم جلب المسدسات لإعادتها حين سمع أصواتاً بالخارج تنبئ بأن زوجته على وشك الدخول، فأسرع ووضع أحد المسدسات بشكل يخالف وضعه ضاغطاً عليه بكلتا يديه، فسمع صوت نابض أثناء ضغطه، وعرف بأنه قد أخطأ ووضع المسدس وفوهته على الجانب المخالف، ولكن ما سمعه ينبئ

بأن شيئاً ما يتحرك أمام فوهة المسدس، فشدد ضغطه وهو يسمع صوت النابض الذي وصل إلى مداه، فانفتحت ثغرة محدثةً صوت اصطدام بابِ تلك الثغرةِ بالجانب الآخر للصندوق، وشاهد في تلك الثغرة قِطَعاً تتحرك فأخرجها ونظر إليها فانخلع قلبه لرؤيتها، فقد كانت قطعاً ماسيةً كبيرة الحجم، فجلب من درج خزانته صندوقاً صغيراً ووضعها فيه واحدة واحدة حتى وصل العدُّ إلى ثمانية، ثم أغلق الصندوق بإحكام، ولفّه بقطعة من النايلون، ثم أزاح بلاطة في زاوية الغرفة فبدت ثغرة بعمق عشرين سنتمتراً وقد وضع فيها كنوزاً جديدة، ثم أعاد البلاطة بشكل فني، وأعاد عليها قائمةَ إحدى الطاولات ونفض يديه، ثم أخرج من إحدى التحف المنتشرة في غرفته ثمانيَ قطعٍ بيضاء بلون الماس ووضعها مكان الماسات في الصندوق، وأعاد باب الثغرة وضغطه حتى سمع المزلاج يحكم إغلاقه، ثم أعاد المسدسات إلى وضعها الطبيعي وأعاد الصندوق إلى مكانه.

بدأ يتفتح أمام شكرية أحد الأسباب الكامنة وراء مقتل زوجها، ولكن ما ترغبه هو الوصول إلى النهاية ورؤية ماذا يحدث عندما يلتقي عصام بالرجل الذي طالبه بالمسدسات، ولما كان ذلك بحاجة إلى وقت كبير فقد ارتأت أن تنهي عملها هذا اليوم وتعود إلى الدارة، وتستعد لملاحقة ما بدأته غداً وهي تسأل نفسها: هل ما زالت تلك الكنوز في غرفتها أم أن عصاماً قد غيّر مكان إخفائها؟ وثقتها بأنها إذا استمرت بملاحقة عصام فلن يضيع منها هذا الكنز.

عادت شكرية إلى الدارة لتجد أم عصام بانتظارها وقد ارتدت أبهى حللها، وعاجلتها بالقول: إنهم على عجل، فقد تمت موافقة أبي سعيد على تزويج ابنته أسمهان من حسام، مشترطاً لتحديد يوم عقد القران حضور شكرية مع أم عصام، وسماع موافقة شكرية على ذلك، أثلج هذا الخبر صدرها، ورأت فيه نهاية لحقبة خرجت منها دون أن تسبب ألماً لأحد، وبقيت بالدارة التي ترغب بالبقاء فيها مع طفلها ومع أم عصام التي أحبتها حباً شديداً، وسعت بكل جهدها حتى تم تحديد موعد عقد القران، وعاد الجميع من منزل أبي سعيد والسعادة تغمرهم في ساعة متأخرة من الليل، وهي ترتدي لباساً نفيساً عليها أن تخلعه برفق وتعلقه حتى يبقى زاهياً، وقد استغرق منها هذا العمل وقتاً شعرت بعده بالنعاس الشديد، فاستلقت على فراشها وراحت في سبات عميق.

وفي صباح اليوم التالي صَحَت شكرية فوجدت أن عقارب الساعة تشير إلى التاسعة صباحاً، فقفزت من سريرها ونالت فطورها على عجل وخرجت مسرعة، لِتُوهم أم عصام بأنها تأخرت عن موعد فتح العيادة لأن النوم غلبها، واتجهت نحو دارتها تكمل ما بدأته بالأمس في غرفتها السرية، وبعد أن استكملت جلستها ركزت مرة أخرى على صورة عصام لتتابع ما توقفت عنده بالأمس، فشاهدت عصاماً في اليوم التالي يفتح المحل وما إن استقر خلف مكتبه حتى دخل عليه عزّو وحيّاه، فرد عصام التحية ودعاه للجلوس، طالباً منه الإفصاح عما طرحه بالأمس، ولكن عزّو لم يجلس بل استل ورقة من جيبه وقال: اقرأ محتويات هذه الورقة، تفحّص عصام الورقة قبل قراءتها وشاهد توقيع والده في ذيلها،

ثم دقق في ذلك التوقيع ملياً وبعد ذلك بدأ بقراءتها بنداً بنداً حتى وصل إلى نهايتها، ثم رفع رأسه وقال: إن هذا الوصل يؤكد ملكية والدي للمسدسات، فهو يعطيك مهلة عشرة أيام لتستعيد المسدسات من تاريخ توقيعه، أي منذ اثني عشر عاماً إذا أَعَدْتَ له مبلغ العشرين ألفاً التي أخذتها في ذلك اليوم، وبما أنك لم تعد أبداً فليس لك الحق فيها. فقال الرجل هناك حالة طارئة أبعدتْني تلك المدة، ولدي ما يُثبت ذلك، فقال عصام، حتى مع وجود هذه الحالة فأنا غير ملزم بإعادتها. على كل حال أود أن أسمع خبر تلك الحالة الطارئة. وهنا جلس الرجل وقال سأبدأ بحديثي قبل تاريخ هذا الوصل بسنين طويلة، عندما كنت مع والدك نقوم بالتنقيب عن الآثار، وكان ذلك قبل أن ترى أنت النور، فقد كنا نسعى في كل اتجاه، ننبش القبور الأثرية وأماكن السكنى لأقوام خلت منذ عهود بعيدة، وقد دخلنا في مواجهات متعددة مع السلطات، وكنا نخرج منها بسلام. وفي إحدى المرات وبينما كنا نتّبع إحدى الخرائط، وجدنا مدخلاً عليه شارة تنبئ بوجود كنز يخرجنا نهائياً من الفقر والمعاناة، وكنا نجدّ في كل ليلة ونقوم بالحفر، واستمر ذلك سبعة عشر ليلة حتى وجدنا البلاطة التي تغلق مدخله، وبذلنا جهداً مضنياً حتى تمكنا من إزاحتها بفُرجة تمكّن أحدَنا من اجتيازها، ودخلنا وفي يدنا مصباح وشاهدنا ما كنا نبحث عنه، فقد كانت كنوزاً حقيقية تفوق ما كنا نحلم به، جلسنا ننظر إليها وننظر نحو بعضنا، فقد كانت تفوق كثيراً قدرتنا على حملها فكيف على تخزينها أو بيعها، واستقر الرأي بعد ذلك على أخذ ما يمكننا حمله وإعادة البلاطة الداخلية والصخرة على الفوهة الخارجية، وأخرجت من جيبي

القرآن الكريم وأقسمنا على الحفاظ على سرية ما وصلنا إليه، وصدّقنا ما تعاهدنا عليه فلم يقم أحدنا بخيانة الآخر، وبدأتُ ببيع تلك الكنوز وأنال ثلثي القيمة، بينما ينال والدك الثلث الثالث لأن من يعرّض نفسه للخطر له ثلث القيمة، واستمر الحال على هذا العمل حتى نفد ما في المغارة، وتم بيع جميع ما أخرجناه سوى صنم من الذهب الخالص بوزن ثمانيةَ عشرَ كيلوغراماً، بعينين من الزمرد وتاج من أجمل ما رأيت بماسة كبيرة على جبهته وأربعين ماسة صغيرة منتشرة حوله، اتفقنا على الاحتفاظ بهذا الكنز في مكان أمين، ولما كان والدك مقيماً ولا يريد مغادرة البلد، وأنا أتوق إلى السفر والسياحة - فقد بقيت تلك الكنوز بحوزة والدك وغادرت أنا أجوب العالم، حتى نفد ما لديّ من مال، ورجعت أطلب من والدك تقاسم ما بقي لنا بحوزته، فوجدته قد انتقل من بيته العتيق الذي ورثه عن والده إلى الدارة التي تقيمون فيها، كما أسس محلاً في قلب السوق التي تقيم أنت فيه الآن، فقابلته بعد ست سنوات من افتراقنا وكان لقاءً امتزج فيه الشوق بالثقة، وتبادلنا عناق الأخوّة والوداد، واتفقنا على تقاسم قطعتي الكنز الباقيتين، وكان من نصيبي الصنم واحتفظ والدك بالتاج، وغادرت البلد وبحوزتي الصنم وأنا في خوفٍ شديدٍ من أن تكتشف السلطات أمره، حتى وصلت به سالماً إلى أمريكا، وكان لي صديق من بلدي اسمه ماجد يقيم في أحد المدن الصغيرة ولديه محل لبيع المواد التموينية، وكانت العلاقة بيننا على ما يرام، فنزلت عنده وصارحته بما أحمل فاهتم به ونصحني بعد مشاهدته أن أجد من يدفع قيمته الحقيقية، وهذا لا يتوفر في المدينة الصغيرة التي يعيش فيها.

انتقلت بما أحمل إلى مدينة أخرى يتوفر فيها من يهتم بتلك الآثار ويدفع ما تستحقه، وبحثت عن أحد علماء الآثار للحصول منه على شهادة تعطي هذا الصنم حقه في القدم، ونال الصنم تلك الشهادة، وعرضته للبيع وعرّضت بسببه نفسي للخطر دون أن أعلم، ولما كانت المبالغ التي عُرضتْ عليّ أقلّ بكثير من تقديرات عالم الآثار، فقد فضّلت الاحتفاظ به حتى يأتي من يدفع القيمة التي يستحقها، وبقيت على ذلك مدة اضطرتني أن استلف لأعيش، وأنا أنتظر الزبون المناسب بعد أن نفد ما لدي من مالٍ، حتى كان يومٌ اتصل بي أحدهم وقد كان خارج المدينة وسمع عند عودته بهذا الصنم، والتقينا في مكان عام وأعطيته صورة عنه ووضحت له أموراً أخرى، كما رأى الشهادة المعطاة لي من قبل عالم الآثار، فوجدت منه الحماسة والقبول وقرر شراءه، وصمم على رؤيته فرافقني إلى النزل الذي أقيم فيه، ودخلنا الغرفة التي أقيم فيها، وخرجت برهة ودخلت الحمام وصعدت إلى السقيفة وأخرجت الصنم من المكان الذي أخفيه فيه وعدت إلى غرفتي لأجد الرجل وقد اختفى، فبحثت عنه في النزل وسألت مديرة ذلك النزل فقالت بأنه غادر النزل، فتوجست خيفة ورأيت نفسي أغادر النزل على الفور أحمل حقيبة ملابسي، وقد دسست فيها الصنم. وغادرت المدينة لأقيم عند صديقي مرة أخرى، وشرحت له ما شعرت به وطلبت منه مبلغاً جيداً وأبقيت مقابل المال ذلك الصنم في حوزته، وعدت أدراجي إلى المدينة التي غادرتها وإلى النزل نفسه أقيم فيه.

وفي اليوم التالي عدت أبحث عن مشترٍ لهذا الصنم الذي أقلقني عدم بيعه ولو بسعر متدنٍ، وأعطيتهم عنوان وجودي وانتظرت أياماً، وفي الليلة الثالثة لوجودي فوجئت بدخول ثلاثة رجال ملثمين يحملون أسلحة آلية، وكنت جالساً في الصالون وفوجئت بأني المستهدف، فاقتادني أحدهم وأدخلني غرفتي ثم طلب مني الصنم، وكان في كل كلمة يقولها يدفعني بفوهة سلاحه وكأنه يحثني على الإسراع، ولما كنت لا أعرف ماذا أقول، فقد نلت من نخزات فوهة رشاشه ما دفعني إلى الطلب بوقف تلك النخزات، فنلت على أثرها ضربة على وجهي بأخمص سلاحه، فاندفعت نحوه وتمكنت من الوصول إلى سلاحه مبعداً فوهته عني، وتعاركنا، وسمع المسلحان اللذان في الخارج الجلبة التي أحدثها عراكنا، فاندفع أحدهما ودخل الغرفة فوجدت نفسي مضطراً لأن أوجه السلاح الذي أعاركه نحو المسلح الداخل، واقتربت يدي من الزناد وكانت إصبعي تضغط على إصبع الذي أتعارك معه، وكانت بدورها على الزناد فانطلقت رصاصات الرشاش لتستقر في صدر المسلح الذي هوى على الأرض، واستمر الرشاش في تفريغ ما يحويه المخزن المعلق به حتى فرغ، فما كان مني إلا أن تركت المسلح، واندفعت نحو الملقى على الأرض وجردته من سلاحه، ووجهته نحو المسلح الذي أطلق ساقيه للريح، فتبعته لأجد المسلح الثالث قد اختفى أيضاً. في تلك اللحظة عرفت بأن هذا الصنم نذير شؤم، وشاهدت نزلاء النزل ينظرون إلي نظرة أدخلت في نفسي الرعب، فاندفعت خارجاً من النزل أحمل تحت إبطي السلاح الذي غنمته، لأصلَ إلى سيارتي قبل وصول الشرطة التي كانت أصوات أبواقها تنذر بوصولهم.

انطلقت بسيارتي وخرجت من حي النزل إلى الشارع الرئيسي، نحو المدينة التي يقيم بها صديقي ماجد، ووصلتها وخبأت سيارتي بين سيارات الأنقاض بعد أن أخفيت فيها السلاح، وتوجهت بسيارة أجرة أوصلتني إلى محل صديقي، فعرّجت على المكان الذي أقيم فيه عند صديقي وكان الوقت صباحاً، ففتحت الباب الرئيسي ودخلت الشقة بهدوء شديد حتى لا يصحو ماجد وأكون في موقف حرج، وبقيت صاحياً أنتظر أن يصحُو ماجد حتى تجاوزت الساعة السابعة، فسمعت جلبة في جناحه فعرفت بأنه صحا من نومه وهو على وشك دخول الحمام، فرأيته من شق باب غرفتي ينهي أعماله وطعامه ويخرج وهو لا يعلم بوجودي، وبعد خروجه لملمت أمتعتي في حقيبة سفري وخرجت لا ألوي على شيء، وغادرت المدينة إلى أحد الموانئ ألتمس السفر قبل أن توزع أوصافي وأتعرض للاعتقال، وكان خوفي شديداً من كل من يرتدي لباساً حكومياً، وعلمت بأنه في صباح اليوم التالي ستنطلق سفينة ركاب إلى ميناء الإسكندرية، ووجدت نفسي أنطلق لأحصل على بطاقة ركوب على ظهرها واضعاً نصب عينيّ احتمال أن يكون اسمي قد وضع على قائمة المطلوبين، وكم كان فرحي شديداً عندما حصلت على البطاقة المطلوبة.

وفي صباح اليوم التالي وقبل ساعات من وصول السفينة كنت جالساً في مكان مخصص للمسافرين وأمامي حقيبتي، جلس بالقرب مني ثلاثة رجال يتكلمون لغتي، فحييتهم وشاركتهم بالحديث، وعلمت بأنهم

من بلدي، وهم يودّعون صديقاً لهم على وشك المغادرة على نفس الباخرة التي سأسافر على متنها، وتوطدت العلاقة بيني وبينهم، ولم يَطُل الوقت حتى أصبحنا كأننا نعرف بعضنا منذ زمن بعيد، وكان هذا الصديق يحمل من ضمن أمتعته القليلة صندوقاً مغلقاً، فسأله أحدهم عما يحوي هذا الصندوق؟ فقام هذا المسافر وفتح الصندوق ليَبرزَ بداخله مسدسان متعاكسا الوضع، وصفهما المسافر بأنهما من الفضة، وقد اشتراهما بألف دولار أمريكي، وكان كل واحد من الأصدقاء يلقي نظرة عليهما، فابتسم صاحبهما بعد عودة الصندوق إليه وقدمهما إليّ كي أراهما، وتملكني شعور بأن المسافر يود توطيد العلاقة معي لكوني سأكون رفيق دربه، فأخذت منه الصندوق وقلّبته وأُعجبت كثيراً بتلك المسدسات الفضية، وطلقاتها الموزعة بأركان الصندوق بشكل فني بهيج، وكانت من الفضة أيضاً، وسألته: هل إخراجهما لا يتعارض مع قوانين الولايات المتحدة؟ فأبرز لي فاتورة الشراء وإذْنَ الخروج، واستمر الحديث حولهما وهو يعيد إغلاق الصندوق ويضعه بين أمتعته، حتى وصل الحديث إلى موضوعٍ شاركتهم فيه وهو أنه يود النزول في مالطة ليوم واحد، وأنه لا يرغب باصطحاب المسدسات معه حتى لا يقع بإشكال مع رجال الجمارك هناك، وأنه سيسعى للبحث عمن يُبقي معه هذا الصندوق، وسيأخذه في الإسكندرية. فقلت دون تحفظ بأني مستعد لذلك لو كنت سأقيم في الإسكندرية، غير أني سأغادرها فور إيجاد الوسيلة التي تنقلني إلى بلدي. فسمعته يقول ولكنك ستنامّ بإحدى فنادق الدرجة الأولى، وعلى حسابي حتى آتي وآخذه منك، واستل من جيبه مئتي دولار وقال

فليكن هذا المبلغ مصروفَ بقائك في الإسكندرية حتى أحضر، وسأعطيك الصندوق قبل نزولي في مالطا. وفي تلك اللحظة كان صفير الباخرة يؤذن بصعود الركاب، فأخذْتُ مئتي دولار، وودعنا الأصدقاء وصعدنا الباخرة دون أن يعكّر صفو رحلتنا شيء.

وكم كانت سعادتي بالغةً حينما كانت الباخرة تمخر بنا عُباب البحر بعيداً عن أمريكا وقد نجوت بجلدي، وفي الطريق تقدم رفيق طريقي وأعطاني الصندوق واتفقنا على اسم الفندق ويوم اللقاء.

ومرت الأيام ووصلتُ إلى الإسكندرية ونزلتُ بالفندق المتفق عليه، ووجدت نفسي أرتاد مطعمه بعد أن وضعتُ ما أحمل في غرفتي، وكانت مصادفةً سعيدة أن ألتقي بصديقِ الصبا حسين الساكت، فرحتُ كثيراً عندما علمت بأنه مع بعثة رياضية وأنه بطل من أبطال الرماية، وهنا تذكرت تلك المسدسات الفضية التي بحوزتي واقترحت عليه زيارتي ومشاهدتها، ورأيت في عينيه السعادة عندما وصفتُها له، وخرجنا من المطعم إلى غرفتي في الفندق، وأعجبت بالمسدسات كثيراً وعرض عليّ السعي لدى مالكها للتنازل عنهما، وأنه على استعداد لدفع المبلغ الذي يقترحه. وفي المساء كنت في صالون الفندق فسمعت اسمي يتردد ويدعونني إلى الهاتف، وما إن رفعت سماعة الهاتف حتى سمعت صوت مروان مالك المسدسات يقول بصوت مرتجف: تخلّص من المسدسات دون فقدهما وأغلقَ الهاتف دون أن يترك لي المجال لسؤاله.

وقفت للحظات أتمالك نفسي من المفاجأة وأسأل نفسي لماذا؟ ولكنني تذكرت قول أبيك حسين، فأسرعت أبحث عنه ووجدته في غرفته يستعد للمغادرة إلى بلده، فاقترحت عليه ملكية مشروطة للمسدسات لأن موافقة الشريك لم ترد بعد، وفهم والدك بأن ملكية المسدسات تعود إلى اثنين. فوافق على الشراء، ولما كان لا يحمل سوى عملة محلية فقط وافقت، وكتبْنا هذا الوصل وقبضتُ المبلغ المدون وتخلصت من المسدسات، وأنا لا أعلم لماذا، وكل علمي أن خروجهما من أميركا لا تشوبه شائبة. وبينما كنت أسرع إلى أقرب بنك لأودع العشرين ألفاً، كانت المسدسات تجد طريقها خارج الديار المصرية، وعدت إلى الفندق أجمع أمتعتي لأغادره، ووقفت أمام المحاسب أدفع ما علي، ففوجئت بمن ينتظرني عند باب الخروج ويقتادني عنوة إلى سيارة متوقفة على الرصيف المقابل، ويُقلّني خارجاً إلى أميركا.. ولم أقابل مروان مالك المسدسات إلاّ في مواجهةٍ استمرت بضع دقائق أمام المحقق في أميركا، وحُكم علي باثني عشر عاماً لقتلي العمد وهروبي خارجاً.

تنهّد عزّو تنهيدة عميقة ثم تابع يقول: سجنت سجناً فعلياً اثنتي عشْرةَ سنة دون أن أنال أي تخفيف أو عفو، وكان ماجد هو زائري الوحيد، فقد كان يتكبّد عناءً ومالاً كي يزورني، وبالإضافة إلى ذلك لم ينقطع عن تزويدي بالمال اللازم، هذا غير الهدايا.. وكنت أجد في زيارته السلوى. واستمر على ذلك ثماني سنوات انقطع بعد ذلك وانقطعت عني أخباره، وكان قلقي شديداً لفقده، فقد فقدت بذلك كل اتصال لي

خارج السجن. وكانت السنوات الأربع الأخيرة من أعقد وأسوأ سنوات حياتي، حتى خرجت وتكبدت سفراً مضنياً، ووصلت إلى مكان إقامة ماجد، وعلمت هناك بوفاته. وفقدت بوفاته كل أملٍ لي باستعادة الصنم. غير أنه ترك لي مبلغ اثني عشر ألف دولار في بنك محلي، فكان هذا بمثابة دواء لجرح عفن شمل وضعي منذ أربع سنوات، وما إن قبضت المبلغ حتى غادرت بلد الأحلام لأعود إلى بلدي، أحن إلى كل زاوية فيها.. ووصلتها وفاجأت والدتي التي ما زالت في فراش النوم لأن الصبح لم يتبلج بعد، وكادت أن تفقد عقلها عندما رأتني، فأنا في نظرها مفقود منذ عقود، وعلمتُ بوفاة كثير من أسرتنا ووالدي أحدهم.

عدت بعد هذا الغياب إلى البيت الذي ولدت وترعرت فيه وكان جدك جارنا، ووالدك صديق الحارة والمدرسة والأحلام، ولكن الذي لم يخطر لي على بال هو ظهور مروان مالك المسدسات، فقد قرع الباب بعد مرور ساعات على دخولي البيت، وتساءلت والدتي عمن يعلم بحضوري، فأقسمت بأن الليل وحده بعد الله هو الذي يعلم بوصولي، فأنا لم أشاهد أحداً حتى إني نسيت وجوه أولاد وطني، وفوجئت بمروان على الباب يقول: الحمد لله على سلامتك، فأفسحت له مجالاً وأدخلته إلى غرفة الضيوف التي لم يبقَ منها سوى اسمها، وبادرني بالسؤال عن المسدسات فأعلمته ببيعها ووضع قيمتها في بنك الإسكندرية، فوقف وكأن أفعى لدغته وهدد، وسمِعَتْ والدتي أصواتنا، ثم غادر طالباً مقابلته واضعاً بطاقة باسمه على الكرسي، وتَرَافَقَ خروجه مع اقتراب والدتي من الباب تحمل

القهوة التي شربناها دونه والحديث يدور عنه وعن مسدساته، واستخففْتُ بمروان هذا وتهديداته، ولكن رغبتي كانت بأن أبدأ حياة جديدة يحدوها الهدوء والعمل المنتج فقررت حل هذا الإشكال رغم دهشتي الشديدة من قدرته على كشف عودتي بهذه السرعة العجيبة.

ولكن ما إن راجعتُ العنوان حتى تبددت كل أوهامي، فمروان هذا ليس لي قدرة على مقارعته، فوجدت نفسي أفكر بإحضار مسدساته، فمر بخاطري صديقي حسين الساكت الذي لا يتردد في حمايتي من هؤلاء وإعطائي المسدسات، ولكن موته قد عقّد المشكلة واضطرني إلى إخبارهم بالحقيقة، فأصبحتَ أنت يا عصام هدفهم القادم، ولكن السلطات المحلية اعتقلتني لأسباب قديمة، وكان الحكم قد صدر عليّ أثناء تنفيذ سجني في أميركا، وبقيت سجيناً أنفذ الحكم لمدة سبعة عشر شهراً، ولم أتمكن من مقابلتك إلا الآن، ولا أريد أن أخفي عنك أمراً، فأنت موضوعٌ تحت المراقبة منذ أن أعلمتُهم بوجود المسدسات بحوزتك، ولو كنتُ مطلقَ السراح لكنا معاً في خطر محدِق، والآن لا ينقذنا من خطرهم سوى عودةِ المسدسات إليهم، وهم على استعداد لتقديم المبلغ الذي تطلبه ثمناً لها.. ولا تحاول شيئاً فكل حركاتك وسكناتك يعلمون بها ولا أعلم كيف يتم لهم ذلك.

أطرقَ عصام يفكر ثم سأله عن بطاقته الشخصية، وطابق محتوياتها على ما جاء في ورقة بيع المسدسين وقال إن المسدسين ليس لهما أي قيمة أثرية، وما هي إلا قطع فنية من الفضة، فلي رغبة بأخذ قيمة الفضة

مضروبة بخمسة أضعاف. نظر عزّو في وجه عصام غيرَ مصدق والبِشر يطفح من وجهه، وأعلن موافقته على الفور.

قطعت شكرية التركيز ونظرت إلى ساعتها وعلمت بأنها قد تأخرت عن موعد عودتها، وقد استغرقت قصة عزّو كامل نهارها وجزءاً من الليل، فغادرت عائدةً إلى دارتها وتفكيرُها لا ينقطع عن الأحداث التي مر عليها سنون، وكان زوجها عصام غارقاً إلى أذنيه في خضمها وهو يُظهر البراءة، وكأن ما بحوزته مجرد قطع من الفضة.. وقد بالغ بطلب قيمة كبيرة لها ليوهم الذي أمامه ومن سيبلّغهم بأنه يغالي في قيمتهما. وفور وصولها إلى الدارة دخلت غرفة نومها وبحثت عن المسدسات فلم تجدها ثم سعت وأزاحت الطاولة عن بلاطة في زاوية الغرفة واتّبعت طريقة عصام في إزاحتها فتم لها ما أرادت وشاهدت الحفرة وما تحوي من كنوز، وكان أحدها التاج الأثري. وقامت بفحص الماسات، ثم بدأت بمشاهدة الباقي وكانت جميعها من الكنوز النفيسة، وعلمت بأن عزّو كان صادقاً، فالتاج ما زال من مقتنيات حسين وأسرته، كما صدقه عصام في حينها، ثم اقتطعت ماسة من الماسات الثماني وأبقتها في حقيبة يدها وأعادت البلاطة فوق الكنوز.

وفي اليوم التالي غادرت شكرية دارتهم بعد تناولها فطورها مع أم عصام وأمجد، وهي أكثر شوقاً لمتابعة الأحداث التي جرت بعد الاتفاق الذي جرى بين عصام وعزّو على المسدسات، ثم وصلت منشأتها واخترقتها إلى غرفتها السرية، وجلست كما اعتادت أن تجلس، وأخذت

صورة عصام تدقق فيها، ثم حددت التاريخ وركزت عليها لتتابع الأحداث التي مرّ عليها سنون، لتجد سيارة تتوقف أمام محل عصام بعد مرور يوم واحد على اتفاقه مع عزّو، وينزل منها سالم بشحمه ولحمه ويسلّم على عصام سلاماً ودياً، ثم يتبعه عزّو ويدخلون معاً إلى مكتب عصام، ويفتتح سالم الحديث بسؤال عصام، هل ابتدأ بتنفيذ الاتفاق الذي جرى أمس مع عزّو؟ فأجاب عصام بالإيجاب، وأخرج من إحدى خزائنه صندوق المسدسات، فأخذه سالم وتفحصه قليلاً ثم أخرج من جيبه مغلفاً قائلاً: يوجد فيه مبلغ أربع مئة ألف ليرة، وهذا حسب الاتفاق. فرد عصام مباركاً، ثم التفت إلى عزّو وسأله ماذا جنى من هذا الاتفاق؟ فكان رده تركُه يعيش كما يحلو له، وأضاف إنه تنازل عن المبلغ المدفوع منذ أربعةَ عشرَ عاماً من قبل حسين الساكت والموجود في مصرف بالإسكندرية، نظر سالم إلى وجه عزّو وهو يغادر محل عصام يحمل صندوق المسدسات، بينما تخلّف عزّو وبقي عند عصام في محله.

تبعت شكرية سالماً إلى وكرٍ لم تره من قبل، فقد غادر محل عصام بسيارة فيها أربعة رجال، مخترقين شوارع المدينة حتى وصلوا إلى مرآب يتسع لسيارة واحدة، وكان مفتوحاً فأغلقوه بعد دخولهم إليه بسيارتهم، وتقدم أحدهم واعتلى برميلاً كان بزاوية المرآب، ورفع يده لتصل إلى سقف المرآب، ودفعها فانزلق باب بالزاوية الأخرى للمرآب مفضياً إلى سلم نحو الأسفل، اجتازه سالم وحده ومعه الصندوق ودخل غرفةً مؤثثة فيها أربعة رجال، وفيها كثير من الأجهزة والعدسات وكأنها مخبر،

ونادى: مروان، تعرفتُ عليه، وفوجئَتْ بأن اثنين من الحضور كانا في أمريكا عندما سافر عزّو ومروان على متن الباخرة، وقد تخلفا مودِّعين زميلهما مروان، وقد عرفَتْ ذلك من الحديث الذي جرى بينهم، وعلمتْ أيضاً بأن الاثنين زميلا مروان وقد استقلا طائرة إلى إسبانيا، وقاما بوضع الماسات في صندوق المسدسات عندما توقفت الباخرة في ميناء إسباني، ثم نادى سالم أحدَهما قائلاً: سميح قم باستلام الأمانة وافحص محتوياتها، أريد أن أفرَغَ من هذا الأمر. شاهد الحضورُ وجهَ سميح يكفهر عندما أخرج الماسات ووجدها مزيفة، ونادى بأن هناك من استبدل الماسات، وطلب من سالم الإسراع والتحقق من عزّو قبل أن يختفي، ولكنّ سالماً الذي ألجمته المفاجأة سأل: أكان أحدٌ يعلم بوجود الماسات أو الطريقة لفتح الصندوق ؟ فرد سميح بأن ما يعلمه بأن هناك من استبدل الماسات ويريد البدء بالتحقيق، ثم سأله سالم هل السنون تؤثر بالماس؟ فنظر سميح إلى وجه سالم متعجباً من سؤاله وأعلمه بأن الماس لا يتغير أبداً..

خرج سالم وهو يجدّ في طلب عزّو، وكان أولَ عمل قام به هو اقتحام محل عصام ليجد عزّو ما زال في محل عصام، وفوجئ عزّو بدعوته له لمرافقته، ولكن عصاماً تدخل واعترض وسأله عن السبب، فكان رد سالم جافاً مما حدا بعصام أن يقف نداً له، مما دفع عزّو للتدخل ومحاولة تخفيف التوتر بين الرجلين بأنْ خرج مع سالم، الذي أضمر الشر لعصام من خلال نظراته. تبعتْ شكرية سالماً وعزّو ورافقتهما إلى السيارة التي كان بداخلها ثلاثة رجال أقلّت الجميع، وفي الطريق جرى وضعُ قناعٍ

على وجه عزّو حتى لا يرى ولا يسمع، ثم اخترقت تلك السيارةُ الشوارعَ ودخلت المرآب المؤدي إلى وكر العصابة، والتقى عزّو بمن تعرّف عليهم في الميناء بأمريكا، ثم قدم له أحدهم صندوق المسدسات وأشار إليه قائلاً: متى عرفتَ المخبأ السرّي في هذا الصندوق؟ فظهر على عزّو التعجب وسأل: هل في هذا الصندوق مخبأ سريّ؟؟ وإذا كان كذلك فأنا كنت الضحيةَ دون مقابل، فهل قمتم بتعريضي لخطر نقل الممنوعات كما كان سيحدث لحسين الساكت لو لم يكن مع وفد حكومي؟.. فرد سميح ماذا تقصد بممنوعات؟ فرد عزّو: مخدرات مثلاً أو أي شيء يعرضنا للاعتقال الطويل والغرامات الفادحة، ثم دعاه سميح لرؤية الصندوق جيداً وكشف مخبئه، فحمله عزّو بكلتا يديه وتفحصه دون أن يجد ما يشير إلى أي مخبأ، ولكن ذلك لم يَثْنه عن اتهامه بالحصول على الماسات.. فدافع عزّو عن نفسه ووصف الماس بالمعدن الذي يسهل نقله وبيعه، ولو كان يملكهما لما رأوه يعود أبداً. وهنا أعيد وضع القناع على وجه عزو وخرجوا من الوكر وعادوا به إلى محل عصام، وتركوه واعدين إياه بالعودة وأخذه مرةً أخرى، وطلبوا منه عدم المغادرة ثم غادروا، ووقفوا بسيارتهم على بعد مئة متر من المحل لتسجيل ما يجري من حديث بين عصام وعزو، وهنا عرفت شكرية بأن خاتم زواجها من عصام كان جهازَ تنصُّت.. ثم عادوا ودخل سالم وقال لعصام: الآن علمتَ سرَّ صندوق المسدسات وما يحويه، والأمر متروك لك لإنقاذ صديق والدك. ولما حاول عزو التنصل من إبلاغ عصام أخرج سالم مسجلة صغيرة من جيبه وأسمعهما أجزاء من أحاديث جرت بينهما، وكان آخرها ما جرى قبل

لحظات. ثم طلب من عزّو مرافقتهم، فامتثل أمام ذهول عصام، وأثناء خروجهم ألقى سالم رسالة على مكتب عصام وقال: إمّا أن تنفّذ ما جاء في هذه الرسالة أو أنك لن ترى صديق والدك أبدا.

بقي عصام ذاهلاً للحظات مما اضطر شكرية إلى أن تبقى معه لترى ردة فعله، وشاهدته يلتقط رسالة سالم، وما إن قرأها حتى اندفع نحو الباب محاولاً منعهم، ولكنهم كانوا قد غادروه واختفوا. وعاد ليقرأ رسالة سالم مرة أخرى وهو يلعن الشيطان، ثم يسأل نفسه أليس من حق أسرة حسين تلك الماسات، فهم الورثة، ثم يقول وما ذنب صديق والدي الذي أهدر حياته دون معنى؟ أليس من حقه أن يعيش البقية الباقية من حياته كما يريد.. سأشتري حياة عزّو بدفع قيمة الماسات دون الاعتراف بملكيتها، وسأقترح ذلك غداً عند اللقاء المقترح. ثم تذكّر بأن عليه ألا يذكر شيئاً عن الماسات حتى في سره كي لا تسجل أقواله، وبدأ يبحث في مكتبه عن جهاز يظنهم قد ثبتوه بمكان ما، ولما لم يجد شيئاً اتجهت ظنونه نحو عزّو واحتمال أنهم وضعوا جهاز تنصت بملابسه دون أن يدري.

في اليوم التالي ركزت شكرية على صورة عصام فشاهدته قلِقاً وخائفاً على عزّو، وهو ينتظر موعد اللقاء الذي حددته العصابة واقفاً أمام باب المحل يكرر النظر إلى ساعته كل لحظة حتى شاهد سالماً وقد ترجل من سيارته واتجه نحو محله. وتقدم عصام باقتراحه بدفع ما يرغبون مقابل حياة عزّو، وكانت نتيجة المساومات أن تنازل عصام عن هدية شكرية في

عيد ميلاده العاشق والمعشوق مع مبلغ يفوق قـدرة عصـام علـى السـداد، ولكنه تعهد بدفعه وشرطُه الوحيـد أن يـرى عـزّو أمامـه، وتم لـه مـا أراد وشاهد عزّو في حالة يرثى لها.

قطعت شكرية الـتركيز وعرفـت بـأن قتـل زوجهـا ليس لـه علاقـة بالماسات أو عزّو، وإنما كان بسبب تحدي عصام لسالم في عدة مناسبات رغم تنفيذ عصام كامل التزاماته إلى العصابة. والسـبب الثـاني أن عصامـاً كان قد تعرف على سالم الرجل المنفذ في العصابة وهذا يكفـي لإخفائه، كما خمّنت دون جزم بأن عزّو قُتل أيضاً بظروف غامضة بعد مقتل عصام للسبب الثاني نفسه، لأنه لم يظهر بعدها أبدا.

عـادت شـكرية في المسـاء إلى دارتهـم والحـزن والكآبـة يلفانهـا، وشعرت أم عصام بأن شكرية حزينة وخاصة أنها بقيت في الدارة دون أن تبرحها مدة أقلقتْها، وتحينتْ فرصةً وسألتْها عن سبب تخلفها في الـدارة.. وكان رد شكرية إنه التعب والإرهاق، وحاجتها إلى الراحة، والشوق إلى الهدوء والابتعاد عن الأشياء التي تثير الأعصاب، وعندما سألتْها عن العيادة ومرضاها وكيف وجدت حلاً لهم ردّت بأن العيادة مغلقة بإجازة.

حتى كان يومٌ حضر فيه حسام وخطيبته أسمهـان وأبلغـوا أم عصـام بتحديد يوم الزفاف، وأنهم بصدد شراء هدايـا ذلـك اليـوم وفي مقدمتهـا الذهب، وعادا بعد ساعات والسعادة تغمرهما يكشفان لأم عصـام مـا تم شراؤه بحضور شكرية، فتذكـرتْ خـاتم عصـام الفضـي ووجـدت نفسـها تطلب رؤية خاتم حسام الفضي، وكم كانت دهشـتها عندمـا رأتـه يشـبه

كثيراً خاتم عصام، ودُهشت أكثر عندما أعلمها باسم الجواهريّ وأنه ميشيل سادا، كان صديقاً حميماً لأخيه عصام، ووصف كيف قدّم الخاتم الفضي هديةً له، وأنه أعجب بالخاتم كثيراً، كما أنه حصل على نسبة تخفيض أربعة بالمئة على كل المشتريات. فقررت التأكد من أن العصابة ما زالت وراء الأسرة أم أن المصادفة لعبت دوراً ما. انتظرت شكرية حتى خرج حسام وخطيبته من الدارة، ودخلت غرفة نومها وركزت على حسام محددةً وقت دخوله السوق، فرأته وخطيبته يدخلان محل ميشيل سادا الذي قام باستقبالهما كزبائن، وفي نهاية الشراء وأثناء عمل الفاتورة عرف ميشيل بأن حساماً هو أخو عصام، فتبادلا التعارف، وأخبره حسام بأنه جاء قاصداً محله لأنه يعرف مدى الصداقة التي كانت تربطه بالمرحوم، وهنا طلب ميشيل من حسام التريث قليلاً، وأجرى اتصالاً سمعت شكرية فحواه، وعلمت بأن العصابة قررت مراقبة حسام والوسيلة هي خاتم خطبته.

قطعت شكرية التركيز وجلست تفكر وتسأل نفسها، كيف يمكنها حماية تلك الأسرة؟ فحسين مات بحادث والآن بدأت ترى بأن الحادث كان مفتعلاً، وزوجها عصام مات قتلاً، والآن جاء دور حسام، وغداً سيأتي دور ولدها أمجد.. وإذا لم تتصدّ لهم فستفقد الأسرة جميع ذكورها.. وكيف لها أن تتصدى وحدها؟ أليس من الأجدى أن تتعاون مع رجال الأمن.. وكيف لها ذلك، فلو اكتشفت العصابة قدراتها لأصبحت هدفاً لهم.. وانتقل تفكيرها من حماية نفسها إلى التفكير بحماية

أسرتها، فاستقر رأيها على وضع خطة تعتمد فيها على نفسها، مستغلةً ما وهبها الله من قدرات ودون تأخير.

قضتْ شكرية ليلتَها دون نوم منشغلة بما جدّ، وهي تفكر باختيار أفضلِ السبلِ لحماية حسام قبل أن تتمكن العصابة منه ويحل الندم، فلو تنبهت في السابق لما فقدت زوجها.. ولم تنم إلا بعد أن وضعت تصوراً لمغامرة تستهدف المنظمة بادئةً بالهجوم، واضعةً نصب عينيها تصفيات جسدية لبعض رجالها المتنفذين، وأولهم ميشيل سادا الذي استغل صداقته لعصام لملاحقة أسرة الساكت فرداً فرداً، بهدف استعادة الماسات رغم أن المنظمة حصلتْ على قيمتها من عصام، الذي دفع في النهاية حياته ثمناً لتعرُّفه عليهم. وإهداء الخاتم لحسام له مدلول واحد هو أنه الآن تحت المراقبة، وهذا في حد ذاته خطر داهم على حياته.

في اليوم التالي استعادت شكرية نشاطها، وشاهدتْها أم عصام على مائدة الصباح تستعد لمزاولة عملها، فأثلج ذلك صدرها وتمنت لها دوام النشاط والتوفيق، ثم شاهدت خروجَها المعتاد بتقبيلها وتقبيل أمجد والتلويح بالأيدي والابتسامات المتبادلة بينها وبين وحيدها.

بدأت شكرية عملها من غرفتها السرية، وكان من أولويات ما خططتْه هو الاستعلام عن خاتم عصام الفضي، فركّزت على صورة عصام وحددت يومَ وساعةَ مقتله، فرأت سالماً شاهراً مسدسه يطلق النار على عصام، ثم شاهدت اللحظات الغامضة عليها بين لحظة مقتله ووصولها إلى مكان الجريمة بعد مقتله بلحظات، إذ تقدم رجل لم تره قبلاً وتأكد من

موته، ثم نزع الخاتم من يده ودسّه في جيبه وعاد إلى سيارته التي هبط منها، وكانت بيضاء اللون من نوع مارسيدس، وانطلق مغادراً المكان دون أن يتكلم مع أحد، فتبعته شكرية وشاهدت دخوله المدينة واختراقه شوارعها، حتى وصل موقف سيارات أوقف سيارته فيه، ثم انتقل إلى سيارة أصغر حجماً من نوع كولف، وانطلق بها مخترقاً شوارع أخرى ووصل إلى حي متواضع من أحياء المدينة، وسار فيه بضع عشرات من الأمتار ووقف أمام بناء وهبط من السيارة، ودخل البناء وأخرج من جيبه مفتاحاً ودخل الشقة الأولى للبناء وأغلق بابها دونه، وكانت شقة متواضعة بكسوتها وفرشها فاجتازها حتى وصل غرفة نوم في أقصى الشقة، ثم رفع هاتفاً موضوعاً في فجوة ضمن جدار الغرفة ووضع الخاتم في الفجوة وأعاد الهاتف فوقه وخرج.

تركت شكرية الرجل وبقيت في الشقة ترقب الهاتف، وهي تنتظر صاحب المصلحة في الخاتم، ولم يدم انتظارُها طويلاً فقد رأت الهاتف يتحرك وكأن أحداً دفعه من أسفله ثم هدأ، انتظرت قليلاً ثم خرجت من الشقة ثم من البناء ووقفت تجاهه لترى مكتباً عقارياً على يسار البناء باسم نذير المعمعاني، وجدار المكتب اليميني هو جدار الشقة اليساري، واقتربت من المكتب العقاري وكان القابع فيه رجلاً بلا ساقين ضمن كرسي نقّال، وجالت ببصرها وسألت نفسها - وهي تنظر نحو زجاج المكتب وعليه ملصقة تحدد دوام مكتبه من الساعة الواحدة ظهراً حتى الثامنة مساءً - أهذا المُعاق قادر على تلبية حاجات زبائنه؟ أم أن هناك من

يساعده.. أهو نذير نفسه أم أنّ نذيراً رجل آخر.. ولكن هذا المعاق كان يتصرف بحرّية متنقلاً بين مكتبه وداخل المحل.. حينها وقعت في حيرة، هل فقدت الخاتم والرجل الذي حمله معاً؟ هل لهذا المُعاق علاقةٌ من قريب أو بعيد بهذا الأمر؟!

قطعت شكرية التركيز وعادت تسأل نفسها عن الخطوة التالية، وبعد تفكير استقر رأيها على الذهاب إلى الموقع ومشاهدة الحالة الحاضرة بعد مرور تلك السنين، وهناك ستقرر. نظرت إلى ساعتها فوجدت أنّ لديها الوقت الكافي للقيام بالزيارة بهدف الاستطلاع فحسب، فنهضت على الفور وامتطت سيارتها وانتقلت بها إلى هدفها، وشاهدت عن بعد أنّ المكتب العقاري ما زال على حاله، واقتربت أكثر وهي تبحث عن مكان لسيارتها يمكّنها من رؤية ما بداخل المحل وهي في داخل سيارتها، ولما استقر لها أمر المكان أوقفتها، ودققت النظر لتجد المُقعد بدمه ولحمه ينظر داخل درج مكتبه، وانتظرت قليلاً حتى رفع رأسه فركزت عليه وهي تسأل نفسها ماذا يفعل قبل الساعة الواحدة؟ وابتدأت من الثامنة صباحاً لتشاهد رجلاً يحتسي القهوة في صالون مليء بالتحف والصور النادرة، وقُبالَته امرأة جميلة وبجانبها طفلة تحمل لعبة بين يديها، وهنا سألت نفسها: من هذا أهو نذير الذي في المكتب أم أنه رجل آخر؟ ونظرت إلى ساقيه فوجدتهما سليمتين.. وكأنّ الرجل الذي تراه غيرُ الرجل الذي قُبالَتها وقالت لنفسها: ليس هذا غريباً على منظمة عمرها يتجاوز عَقدين من الزمن وما زالت قائمةً، دون أن تتمكن السلطات من

تفكيكها، لـولا قـدرة قادتها على التقمـص. فبالأمس عرفتُ شخصية ميشيل سادا، واليوم يمكن أن اكتشفَ قائداً آخـر. ثـم دّققـتِ النظـر بـين الاثنين فوجـدت أن المُقعد كثيفُ الشعر والحاجبين منحني الظهر ولـه شاربان كثيفان، أما الذي رأته في الصالون - ومـن المفروض أن يكـون المُقعدَ نفسَه - فشعره قليل وله خطوط بيضـاء، ودون شارب، وحاجباه عاديان، وظهره مستو.. واستمر التركيز مع تسارعٍ في الوقت وشاهدت الرجل يدخل غرفة نومه، وكانت تحوي زيادةً عما تحويه غرف النـوم - أجهزةً وشاشاتٍ وأضواءً ومكتباً في الزاوية وخرائطَ خلفـه ملونـةً وأزراراً مرقمة منتشرةً على مساحتها، ورأته يدخل ويقترب من لوحةٍ فنيـة معلقـةٍ فأزاحها ليظهر مسمارُ التعليق، فضغطـه فأنـار بتلك الضغطة إحـدى الخرائط، فتقدم نحو الخارطة المنارة وضغط على زر يحمل الرقم اثني عَشَر فانقلب له الزر إلى الأحمر القاني، ثم جلس على مكتبه وحرّك أرقاماً مثبتة على جهاز، وبعد أن انتهى أطفأ ما أناره وبدأ بتغيير ملابسه، فنزع من قميص نومه جهازاً وثبّته على قميص خروجـه الـذي بـدأ يرتديه بعد أن خلع قميص نومه، وبعد أن استكمل لباسَه خرج من غرفة نومـه وأحكـم إغلاقَها متجهاً إلى ممرٍ سار إلى نهايته، وهبط منه سـت درجـات ليستقل سيارة /بي إم/ كانت متوقفة عند نهاية السلم، وسار بهـا داخـل حديقـةٍ مسافةً تحفّه الأشجار والورود من كل جانـب، حتـى وصـل في نهايتـه إلى بابٍ حديدي، وكان حارسُه قد فتحه مجيباً بخشوع، وبعد الخروج بقليـل قرأت اللافتة المثبتة على البـاب وكـان الاسـم لرجـل الأعمـال الشـهير الدكتور أسامة النارنج.

قطعت شكرية التركيز وهي تهز رأسها وتنظر نحو القابع في المكتب العقاري تكلم نفسها قائلة: إذن أنت الدكتور أسامة الذي يمتدحك العامة لأياديك البيضاء.. ثم غادرت المنطقة ذاهلة لا تعرف ماذا تفعل، ووصلت إلى دارتها والوقت قد تداركها، فوجدت أم عصام قلقة عليها وهي تسألها: مالذي أبقاها حتى تلك الساعة خارج البيت؟ وحجة شكرية الدائمة مرضاها خارج العيادة، وأنّ غداً هو يوم عطلتها وستجد الوقت الكافي للنوم.

سهرت شكرية مع أسرتها حتى ساعةٍ متأخرة، ثم أوت إلى فراشها وتفكيرُها لا ينقطع عما شاهدته خلال النهار وهي تحلل كل مشهد، ووصلت إلى استنتاج بأن أحداً من المنظمة لا يعرف قائدها، فهو يسيّر الجميع بواسطة جهاز يحمله بشكل دائم، كما أن فروع المنظمة لا تعرف بعضها، واكتشاف السلطات لفرع من الفروع لا يؤثر على المنظمة، التي تبقى قوية ومتماسكة ما دام قائدها على قيد الحياة، يمسك بجميع الخيوط وهو في منأى بعيداً عن الجميع وخلف الجميع. ثم تساءلتْ: من نذير المعماني؟ أيُعقل أن لا يكون هناك مُعاق بهذا الاسم.. فالمفروض أن نذيراً المعمعانيّ هذا موجود ولكنه اختفى وتقمص أسامة شخصيته وحمل إثبات تلك الشخصية، وبقي نذيرٌ حياً في نظر القانون والمجتمع.

صحَتْ شكرية في الصباح وأمضت نهار عطلتها مع أسرتها، ووجدت متسعاً من الوقت لتداعب طفلها الذي تنحصر رؤيته في هذا اليوم لأسبابٍ عديدة أهمها أن طفلها ينام يومياً قبل حضورها، وبما أن

وجوده الدائم هو في غرفة أم عصام فإن يوم عطلتها هو اليوم الوحيد لرؤيته ومداعبته، كما قامت بتحضير طعام الغداء وتناولوه معاً بحديقة الدارة قرب بحرة الماء كما تفعل دائماً. وأثناء السهرة جلست شكرية تحدث أم عصام أحاديث عامة، وتطرقت إلى مرضاها والحالات المستعصية التي تأتيها، ثم أخبرتْها بأنها ستغيب بضعة أيام عن الدارة لأسبابٍ مهنية تتعلق بإحدى مريضاتها التي تقطن بعيداً ولا يمكنها الحضور، فكان ردّ أم عصام مُشجعاً ولسانها يلهج بالدعاء والتوفيق، ثم اعتذرت شكرية من أم عصام وغادرتها إلى غرفتها، وما إن أوت إلى فراشها حتى عاودها التفكير بالرجل الأول للمنظمة الدكتور أسامة النارنج، ذي الباع الطويل بخدمة الناس والمجتمع، كيف تَمَكّن من الخديعة ولم يكتشفه أحد تلك المدة الطويلة، ولم تجد عناء في الحصول على صورةٍ له من إحدى الصحف المحلية، وقد أُخذت له عند مساهمته بأحد المشاريع الخيرية.

وفي اليوم التالي غادرت شكرية الدارة بعد الغداء، ودخلت منشأتَها ثم غرفتَها السرية بعد أذان العصر، وبدأت بوضع خطة تحسِب فيها حساباً لكل خطوة ستخطوها، فأي خطأ مهما كان صغيراً سيعرضها لخطرٍ حقيقيٍ مميت، ووجدت أن قتل اثنين من المنظمة يقضي على نشاطها ويحمي أسرتها ويريح المجتمع من شرورها، ووجدت نفسَها المؤهلةَ الوحيدةَ لهذا العمل، وسيكون الدكتور أسامة هو الثاني، أما الأول فهو ميشيل سادا الذي يوزع خواتم الموت دون أن يعبأ بالنتائج التي تتكبدها الأسر التي تفقد رجالها، وهو في السوق ينال الثقة والمحبة دون أن

يكتشفه أحد، وسترتكب مخالفة تنفيذ القانون بيدها، ولكنْ ليس أمامها خيار آخر، فهي أمام خارجين عن القانون.. وما إن بدأ الليل يُرخي سدوله حتى بدأت تستعد، وأخذت صورةَ مَن تريد البدء به وهو ميشيل سادا وركزت عليه لتجده ما زال يعمل في محله، وانتظرته حتى حان وقت الإغلاق فشاهدته يغلق محله ويمتطي سيارته ويتجه نحو بيته، يترنم بموسيقى صادرة عن مذياع سيارته، وأصابعه ترافقها بنقر خفيف على مقود السيارة مع اهتزاز خفيف من رأسه، حتى وصل قرب مرآب بيته. ثم أخرج مفتاحاً من جيبه وعالج قفل المرآب ثم فتح الباب ذا المصراعين وأدخل سيارته، وبعدها أغلق الباب دونه وأدار قفل الباب من الداخل، واقترب من المصباح الكهربائي وضغطه بقوة، وسمعتْ صوت المزلاج يتحرر ثم يدور نحو اليمين فيتحرر الجدار وينزلق بهدوء وهو يدفعه حتى أصبحت الفُرجة كافية لدخوله، وبعد الدخول ظهرت المكتبة التي تشكّل الجانب الآخر من الجدار، ثم شاهدته يضع الشعرَ على رأسه واللحيةَ والشاربين ويتحول من ميشيل إلى رامز بعد التنكُّر، ويمارس عمله بإجراء اتصالٍ بواسطة لوحةِ الغزال، ثم يلتقي بعناصره ويتلقّى منهم التقارير ويزوّدهم بالمهمات، ثم يخرج مع بعضهم بمهمة يومية عن طريق مدخل دارة العصابة القديمة.

قامت شكرية على الفور وأخرجتْ حقيبتَها ووضعتْ فيها لباس الملثم الأسود وجهازاً وعُدةَ فتح الأقفال ومسدساً محشواً، وأبقت صورة ميشيل معها وانطلقت بسيارتها نحو هدفها وأوقفتها بين سيارات

أصحاب الدارات المتشرة، وأخرجت صورة ميشيل وركزت عليها لتجده ورفاقه ما زالوا بالسيارة عائدين نحو المدينة وكأنهم أنهَوْا مهمة خارجَها، فعرفت بأن الوقت الذي لديها بدأ ينفَد، فحرّكتْ سيارتها وخرجت من بين السيارات واقتربت من باب المرآب ووضعتها في حالة استعداد للتحرك عند الخطر، وهبطت منها تحمل حقيبتها واقتربت من الباب وهي تحمل العُدة وجهاز فتح الأقفال، ثم التصقت به ونظرُها يجوب ما حولها حتى اطمأنت، ثم بدأت بمعالجة القُفل الذي لم يصمد أمام خبرتها طويلاً، ثم فتحته بفرجة تكفي لدخولها ثم أغلقته دونها، واستبدلت ملابسها ليظهر بعد دقائق الفارس الأسود بلباسه ولثامه وسكينه والحبل على خصره ومسدسه مع كاتم الصوت ومنظر الذخيرة بلمعانها على نطاقه، اقتربت من المصباح الكهربائي وضغطت عليه بشدة حتى سمعت صوت المزلاج، فتحرر الجدار وانزلق بهدوء حتى أصبحت الفرجة كافية لمرورها فدخلت جالبةً معها حقيبتها، ثم أخرجت صورة ميشيل ودققت فيها باحثةً عنه فوجدته ورفاقه ما زالوا بالسيارة مقبلين نحو وكر العصابة، بينما أخذت تبحث في الغرفة عن مكان يمكنها منه أن تؤدي ما جاءت من أجله بنجاح، وتكون في الوقت نفسه قادرة على حماية نفسها والخروج سالمة إذا أخفقت، وقد استغرق منها ذلك وقتا غير قليل حتى أخفت نفسها وهي تضم مسدسها إلى صدرها وتناجيه أن لا يخذلها.

بعد أن استقرت تنتظر غريمها شعرت بالسكون الشامل حولها، لدرجةٍ أن صوت دقاتِ قلبها كانت تُسمع بوضوح وكأنّ لها صوتَ طبل

بأصدائه، وشعرتْ ببطءِ حركةِ دقاتِ الساعة وهي تنظر في صورة ميشيل، وشاهدته يقترب أكثر فأكثر من دارة المنظمة حتى دخل، وشاهدته يهبط من السيارة ويجتاز الباب الأول ثم الصالون، وكان خلفه رجالُه الذين تخلفوا في الصالون، ثم شاهدته يصعد السلم ويدخل الممر، ثم سمعت صرير المفتاح في قُفل الغرفة. أخفت شكرية الصورة وعيناها وفوهة مسدسها قد تسمّرا جميعاً باتجاه الباب، وشاهدت المتحِل رامزاً ولحيته يحمل حقيبة جلدية ويدخل الغرفة آمناً مطمئناً، فوضع الحقيبة على الطاولة ثم خلع السترة التي يرتديها وظهر مسدسه تحت إبطه معلّقاً بحمالته، فنزعه وعلقه تحت سترته الجلدية واتجه ليجلس، وفي تلك اللحظة خرجت شكرية من مخبئها وعاجلته قبل أن يتمكن من الإفلات بثلاث رصاصات اخترقت صدره، وشاهدت ترنحه ويداه تمسكان الطاولة بشدة، ثم وقع عليها وسقط أرضاً وسمعت صوت ارتطام رأسه على الأرض، واهتزت الحقيبة الجلدية وترنحت ثم سقطت على الطاولة فاحدثت صوتاً محرجا، ففضّلت شكرية الإسراع بالمغادرة وعدم القيام بما كانت ترغب به من البحث والتفتيش في مكانٍ يحوي كثيراً من الأسرار، وانتقلت من مكمنها إلى خلف المكتب بهدوء شديد وآذانها ترصد أي صوت يصدر من الخارج، وهي قابضة على مسدس فوهته موجهة نحو الباب وإصبعُها على الزناد، واليد الأخرى كانت داخل المكتبة تبحث عن مقبض مزلاج القفل، وما إن وجدته حتى ضغطت بقوة وسمعت صوت تحريك لسان القفل، فأدارته وشعرت بتحرر المكتبة، وما إن همت بنقل حقيبتها حتى سمعت صوت أقدام تقترب من باب الغرفة، ثم شاهدت الباب يفتح

ويظهر رجل تذكّرته، وهو أحد رجال القاعة الاثني عشر الذين كانوا بقيادة سالم يبحثون قضية مقتل نامق، وما إن برز حتى كانت فوهة مسدسها تطلق طلقاتها الثلاث المعهودة نحو الهدف الذي كانت سرعته قد أذهلت شكرية، فقد تمكن القادم في لحظة من سحب مسدسه وإطلاق رصاصةٍ متأخرة، فقد خرجت من مسدسِ رجلٍ يترنح.

قامت شكرية بوضع مسدسها بيد رامز الملقى على الأرض، وأخذت مسدسه من جرابه لأن المسدسين من نوعية واحدة، ونقلت حقيبتها وحقيبة رامز إلى المرآب وأغلقت الجدار، وبعد خروجها بلحظات سمعت جَلَبَةً حدثت في الغرفة التي تركتها لتوّها ثم أخرجت صورةَ ميشيل وركزت عليها لترى ما يجري في الغرفة التي تركتها، فرأت ثلاثة رجال ومسدساتهم في أيديهم يقفون مصعوقين ونظراتُهم نحو زملائهم القتلى دون أن يجدوا تفسيراً لما حدث، حتى قال أحدهم إن الصوت كان رصاصةً واحدة، فرد الآخر وهو مقطّب الجبين إن مسدس المعلم يقصد رامزاً مزوّدٌ بكاتم صوت، ثم توجه أحدهم إلى صورة الغزال وبدأ يتعامل مع الصورة بإنارتها، ثم أخذ يبث رسالة. عندها قطعت شكرية التركيز وقامت باستبدال ملابسها في المرآب، ثم خرجت بهدوء إلى سيارتها، وانطلقت نحو منشأتها مارّةً عبر الشارع الذي تقطن فيه مع أم عصام، وتذكرت مرورها الأول الذي تعرفت فيه على عصام، وكان يوماً فريداً من أيام حياتها تحتفل به كل عام.

دخلت شكرية غرفتها السرية ووضعت الحقيبة التي جلبتها معها أمامها لكي تفتحها، فوجدت لها قفلين منيعين وقُفلاً ثالثاً ذا أرقام،

ووجدت أن الوقت يسرقها وأنها ترغب أولاً برؤية ما يحدث داخل المنظمة، وخاصة الدكتور أسامة الذي تعتقد أنه عقلُ المنظمة المدبِّر القابض على ناصيتها، وكان تركيزها هذه المرة له معنىً خاص، فهي تودُّ أن تعرف كيف يجري الاتصال معه، وكانت قد حددت الساعة الحاديةَ عشْرةَ والثلثَ ساعةَ تلقّي الاتصال من رجاله الموجودين أمام الجثث، فوجدته يسجل رسالةً على مكتب أنيق، عندما شاهدت خارطةً مرقمة على يمين جلسته يبرز فيها رقم الواحد والعشرين، وصوت المُلَقّي يبلّغ الحادث ويَظهرُ الكلامُ على شاشةٍ أمامه، فشاهدت عدم اكتراثه بل ردَّ طالباً إخفاء الحقيبة رقم ستة التي بحوزتها، وسمع الرد باختفاء الحقيبة، فطلب ترك الجثتين في مكانهما وإفراغَ الغرفة من محتوياتها واستبدالَها بعدد زراعية، وإغلاقَ الباب الموصِل إلى الصالون وفتحَ الباب الموصل إلى الحديقة، وإلغاء المقرِ الواحد والعشرين واستبدالَه بالمقر رقم سبعةَ عشَر، ثم دعوةَ نهادٍ باعتباره عاملَ الحديقة لإبلاغ رجال الأمن عن اكتشافه جثّتيْ رجلين عند بدء دوامه في الصباح، ملقاتين في مستودعِ المواد والعُدد الزراعية، ثم تابع الدكتور أسامة تعليماتِه بتسمية راشدٍ قائداً جديداً لمجموعة التنفيذ عوضاً عن رامز.

قطعت شكرية التركيز وعرفت بأن الدكتور أسامة أغلق مقر مجموعة التنفيذ باعتباره أصبح مكشوفاً وحوّل الدارة إلى دارة سكَن، وذلك بتفريغها خلال الليل من محتوياتها ونقلها إلى المقر الجديد قبل وصول المحققين من الشرطة.

شعرت شكرية بالنعاس وكان التعب والخوف قد بلغا مداهما وهي تحاول إبعاد شبحَيْ جثتَيْ القتلى، ثم استلت صورة زوجها عصام التي كانت وما زالت تخفف عنها ما تعانيه نفسياً عندما تصل إلى محاسبة النفس، فتكون الردُّ على ما جنت أيديهم بقتله، فترتاح نفسها ويجد النوم إلى جفونها سبيلاً.

صحَتْ شكرية على صوت دقات ساعتها العَشْر، فتسللت من سريرها نحو المطبخ ونالت فطورها ثم عادت إلى غرفتها السرية، وتفكيرُها لا ينفك عن إيجاد السبل للوصول إلى الدكتور أسامة أو المُقعد لاختيار أيِّهما أقلَّ خطراً وأسهلَ منالاً. وبعد تفكير مستفيض وجدت تصفية أسامة بقتلِ المُقعد لسهولة لقائه والتعامل معه، ركّزت على صورة أسامة وكانت الساعة الثانيةَ عَشْرَة، فرأت انهماكَه في إنجاز أوراقٍ متجمعةٍ على طاولة العمل، ثم نظر إلى الساعة التي بدأت عقاربُها تميل نحو الثانيةَ عَشْرَةَ والنصف، فرأته يترك ما في يده ويخرج من باب مؤسسةٍ تجاريةٍ تشير لافتتُها إلى اسمه، ويمتطي سيارته ويخترق شوارع عِدةً ثم يتوقف في موقف عام للسيارات ويأخذ مكاناً لسيارته فيه، ويهبط منها ليمتطي سيارة أخرى متواضعة ويخرج بها من موقف السيارات مخترقاً الشوارع نحو الحي المتواضع الذي فيه مكتب نذير المعمعاني، وقبل أن يصل ينعطف ويدخل مرآباً تتوقف السيارة داخله قرب سيارة أخرى لها صفاتُ سيارات المُعاقين، فيدخلها الدكتور أسامة لبعض الوقت لتخرج السيارة يقودها المُعاق نذير المعمعاني، وقد شاهدتْ كيف تمَّ له التحول

من أسامة إلى نذير، وشاهدته ينقل الجهاز الذي يُصدر بواسطته التعليمات ويتلقّى المعلومات من لباسِ أسامةَ إلى لباس نذير. وتابعت حركتَه حتى وصل إلى المكتب العقاري وهبط من السيارة بالكرسي المتحرك، ودخل المكتب بمساعدة أحد المارّة له بفتح الغَلَق، وقبل دخوله المكتب لمستْ حرصَه الشديدَ ونظراتِه التي تجوب ما حول المحل وداخله قبل إقدامه على الدخول، وهكذا تحرك الدكتور أسامة معتمداً على التقمص، كما شاهدته في بيته رجلاً أنيقاً متفانياً لأسرته، وهو نحو بلده رجلٌ وطني متفانٍ بخدمة وطنه عطوف على من يعمل بخدمته.. أيُعقل من يملك تلك الصفات أن يكون قائداً لمنظمة تستبيح كل شيء..

قطعت شكرية التركيز وهي تُمنّي النفسَ في أن يكون لغيرها شرفُ قتله، فقد ملّت القتل والملاحقة، وتنحصر رغبتها في أن تعيش كما تعيش سيدات هذا المجتمع، فتقومُ بخدمة زوجها وأطفالها، وتبحث عن السهرات والزيارات والموضات وتشاهد التلفاز.

ووصلت إلى أنّ ما وهبها الله كان وبالاً على حياتها بوصفها أنثى، إنها الآن أمام أمر لا خيارَ لها فيه: إما قتلُ الدكتور أسامة وبقتله تكون قد أمنت حمايةَ كثير من ضحاياه ومنهم حسام الساكت، وإما ابتعادُها نهائياً عن البلد الذي ولدت وترعرعت فيه لتجد مكاناً تنسى فيه الماضي بحلوه ومره.. ولكنْ ما كان يؤرّقها هو وحيدها أمجد الذي لا ترغب ولن ترغب بتركه لهذا الوحش الذي لا يصده شيء، حتى ملاحقته خارج الحدود، فارتأت قبول المغامرة والإعداد لقتل هذا المجرم، وعلى الفور

قامت بتحضير حقيبتها ووضعت فيها مسدسها والماسة التي جلبتها معها، ثم دخلت غرفة جدتها ولبست لباساً فضفاضاً من ألبسة جدتها القديمة وحذاءً لا يتناسب مع الموضة، ثم غيرت من شكل حاجبيها ولبست نظارتها السوداء لإخفاء عينيها المميزتين، ثم دخلت المرآب وامتطت سيارة لم تستخدمها في جولاتها الأخيرة، ويمكنها لصغر حجمها الدخولُ في الأحياء الضيقة. وانطلقت بها سالكةً طرقاً معاكسة حتى دخلت من الجانب الآخر للحي، متوخيةً الوقوفَ أمام باب المحل مباشرة.

وما إن توقفت وشاهدته خلف مكتبه حتى سمعت صوته يدعوها للابتعاد عن مدخل المحلّ ولكنّ شكرية التي هبطت من سيارتها ودخلت لتجد يديه قد اختفتا عن الطاولة، فتوخت الحذر من أن يكون في حالة استعداد للدفاع عن النفس، فبادرته بالقول هل لديه منزلٌ للبيع بمواصفات.. وأدخلت يدها في الحقيبة موهمةً إياه بأنها ستخرج وبها ورقة تحوي تلك المواصفات، فخرجت ملتقطة منديلاً لفت فيه الماسة، فاعتذرت محاولةً إعادة المنديل وتعمدت صدمَ يدِها بجانب المكتب لتسقط الماسة من يدها وتتدحرج أمام ناظريه، فانتفخت أوداجه لرؤية الماسة، وكانت يده خرجت من جحرها أسرع من يدها، فالتقطها وقرّبها من عينيه اللتين لمعتا لرؤيتها، وسألها ما هذه؟ فردت ويدُها تلاحق يده لأخذها: كما ترى فهي ماسة، ثم تابع ألديكِ غيرُها؟ فردت ماذا يعنيك من أن أملك غيرها أم لا.. وأشعرته بأنها بدأت تضيق ذرعاً بتطفّله وتود المغادرة، ولكنّ بقاء الماسة بيده أخّرها، فاقترح عليها رؤية ما لديه من

شقق على خارطة معلقة في الداخل بأسعار لا تنافَس، واتّبع أسلوب التودد والاستكانة حتى شعر بأنه ربح الجولة ونال موافقتها، وتقدمها نحو الداخل مستخدماً يديه في تحريك كرسيه المتحرك ماراً بممشى، وهي تفكر بالأخطار المحدقة بها، فمن الممكن أن يكون الكرسي مزوداً بسلاح أنجعَ من سلاحها وأكثر سرعة، ولولا الماسات السبع الباقية لما انتظر وتركها تتبعه، وما إن دخل الغرفة واستدار حتى وجد سلاحها مصوباً والرصاصات تتسارع وتخترقه وتحيله جثة هامدة، وفي تلك اللحظة سقطت الماسة من يده، فانحنت لأخذها فسمعت صوت الجهاز الذي في صدره يُصدر دقاتٍ لا تَعرفُ كنهَها، ولكنّها كانت بمثابة تحذير لها لكي تغادر فوراً قبل أن تفاجأ بما لا تُحمد عقباه.

وفي اليوم التالي كانت في غرفة نومها بدارة أم عصام تقرأ في الصحف وصفاً لمقتل جواهرجي معروف بظروف غامضة، وهو متنكّرٌ بشكل يثير الريبة، وبعد أيام خرجت الصحف تعلن اختفاء الاقتصادي المعروف الدكتور أسامة النارنج، وبحثت في تلك الصحف فلم تجد أي إشارة لمقتل المُعاق نذير المعمعاني.

انتهى الجزء الثاني

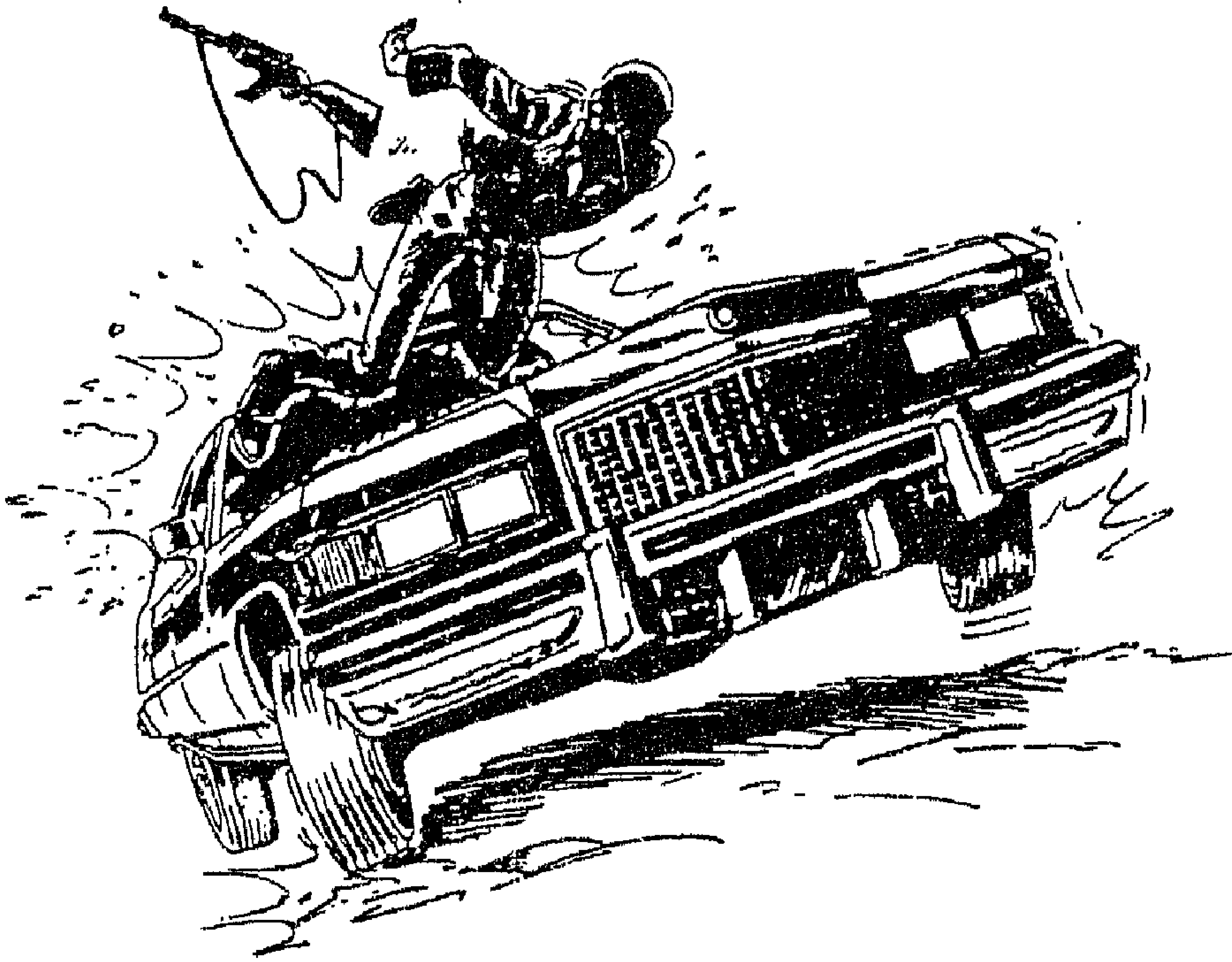
ويليه

الجزء الثالث

قصص للجميع

الخارقة

الجزء الثالث



الخارقة

الجزء الثالث والأخير

قضت شكرية بعد مغامرتها الأخيرة وقتل أسامة النارنج أياماً كثيرة في دارتها مع حماتها ووحيدها دون أن تبرح الدارة، عاكفة على عمل أحبت كثيراً أن تزاوله دون أن يزاحمه عمل آخر، إنه العناية بالمملكة التي وهبها الله للمرأة، وكانت سعادتها أن تجد نفسها تفكر بعملها بتلك المملكة وجميع أيامها إجازات، وما كانت تقوم به من كنس وطبخ وخدمة البيت.. إنها المتعة التي كانت تنتظر يوم عطلتها لتزاولها، أليست أنثى، أليس لها الحق في أن تكون ربة بيت تجد السعادة بجوار من تقوم بخدمتهم.. ومضت الأيام وأم عصام مسرورة بوجود شكرية إلى جانبها، ولم تسألها هذه المرة عما دفعها للبقاء بجانبها، وما حل بعيادتها ومهنتها، بل وجدت فيها رفيقة عزيزة للقيام بزيارات للأهل والصديقات، وكانت قد قاطعتهم لعدم قدرتها على القيام بها، وجددت نشاطها بوجود من تأخذها بالسيارة وترافقها بالزيارة، حتى شملت زياراتهم الجميع، وبدأن يتلقين الزيارات المعاكسة، وكانت سعادة شكرية لاتوصف عندما انغمست بهذا الجو البهيج، وتعرفت من خلاله على كثير من سيدات المجتمع الراقي، ثم تطورت الأمور من الزيارات المتبادلة إلى الرحلات الجماعية للجنس الواحد لأيام معدودات أثناء فصل الصيف، ومر

عام أمضته شكرية مع حماتها دون أن تظهر من تشاركها بها، حتى كان يوم تم فيه تحديد يوم زفاف حسام الذي تأخر كثيراً، ووجدت شكرية بأن أمراً ما سيجدّ عند دخول أسمهان الدارة، ورأت أن تستكمل الدائرة بالقيام ببعض الزيارات التي تخصها هي. ولما كانت حاجة أم عصام إلى خيّاطة لتخيط لها ماترغب للظهور فيه في يوم زفاف حسام فقد ارتأت شكرية أن تأخذها إلى سلمى تلك المرأة التي ظلمها المجتمع، وجردها من حياتها الطبيعية، وحملت عاراً لازمها وسيبقى يلازمها حتى بعد موتها، وسيحمل أطفالها هذا العار سنين طويلة. ولم تترك شكرية لأحد أن يساوم بل أقنعت أم عصام بأن خيّاطتها هي الأفضل.

وفي اليوم التالي كانت شكرية وأم عصام تدخلان دار سلمى في ضاحية وجدت أم عصام نفسها تدخلها إرضاء لشكرية وهي تتساءل: أهي إحدى مريضاتها؟ أيعقل أن تكون هذه من تخيط لها؟ وقطع تفكيرها استقبال سلمى الذي لايضاهيه استقبال، وأدخلتهما غرفة الضيوف وهي تلهج بالثناء على شكرية لقبولها إياها كخياطة، وجالت شكرية ببصرها ولم تجد أي قطعة معلقة مما ينبئ بأن أحداً لا يزورها، وبالتالي فهي لا تجد في هذا العمل لقمة عيشها، في تلك اللحظة خرجت سلمى والتقت نظرات أم عصام معاتبة شكرية دون أن تتكلم، ثم عادت سلمى تحمل رداء شكرية بعد أن استكملت خياطته وبقي سنين ينتظر صاحبته لتأخذه وقدمته إلى شكرية قائلة: جربي قياسه فقد انتهى، وقد أخرجته الآن من حافظته من النايلون، فتلقفته أم عصام من يدها ودققت النظر فيه وشاهدت شكرية

انبساط أسارير حماتها التي لهجت بالثناء للدقة المتبعة في خياطته، وأخرجت قطعة القماش التي أحضرتها معها وقدمتها إلى سلمى داعية إياها إلى أخذ القياس، وشاهدت شكرية مدى سعادة سلمى بقبولها خياطة لأم عصام، وشاهدت الأمل يشع من وجهها، بينما كانت يداها تتحركان بتؤدة وهي تلمس جسد أم عصام، خوفاً من أن تخدش شعورها قبل أن تخدش جسدها، مصغية لكل كلمة أو إشارة تصدر من زبونتها النادرة حتى انتهت، وكان السؤال الذي وجهته أم عصام هو إن كان هناك قياس آخر؟ فردت بالإيجاب، وحددته بعد يوم واحد وقالت إنها ستسهر عليه.

شاهدت شكرية البريق في عيني سلمى عندما فتحت حقيبتها واستلت منها رزمة مالية ودستها في يد سلمى وأخذت رداءها الملفوف بعناية، وخرجت مقدمة أمامها أم عصام، وفي الطريق سألت شكرية أم عصام إن كانت ترغب بزيارة غريبة عليها نوعاً ما، فردت أم عصام بأنها ترغب بالعودة إلى الدارة قبل عودة أمجد من المدرسة الخاصة، ولكن شكرية أقنعتها بأن الساعات الأربع الباقية كافية للزيارة والعودة. وشاهدت أم عصام وجهة السيارة التي اتجهت نحو المدينة القديمة.

و لم يمض وقت طويل حتى شاهدت الحي الذي تزوجت فيه، ثم بيت حماها الذي زارته كثيراً وهي تنظر مشدوهة إلى وجه شكرية التي هبطت من السيارة، وقرعت باباً عرفت أم عصام ساكنته التي خرجت تسأل عن الطارق، وسمعت من في الداخل ترديد اسمها بأم عزو، وفي تلك اللحظة هبطت أم عصام من السيارة والتقت بأم عزو، ووجدت نفسها دون سابق

إعلام أمام امرأة هدّتها الأيام، فهي صديقة حميمة لحماتها. وكم كانت دهشة أم عصام كبيرة عندما عرفتها وسألتها ألست ناديا ابنة جميل وزوجة حسين صديق ولدي عزو، ادخلي يا ابنتي فزيارة الأهل والأصدقاء أصبحت معدومة.

اقتربت أم عصام وعانقت أم عزو عناقاً طويلاً، وكانت في ذلك الوقت قد دخلت شكرية البيت وأغلقت الباب دونها، وبعد انتهاء العناق سألتها عمن ترافقها فقالت أم عصام وهي تبحث عن الرد في وجه شكرية إنها زوجة ولدي عصام ألا تعرفينها، فهي التي جلبتني، وهي تعرف أنك هنا، ودخلوا جميعاً المنزل الآيل للسقوط، وشاهدت أم عصام ما وصلت إليه أم عزو.. فلا طعام يكفي، فهي تأكل وترتدي مما يجود به أهل الحي، والقذارة تعم البيت من أقصاه إلى أقصاه. ولم تجد أم عصام مكاناً تجلس فيه، ففضلت البقاء وقوفاً. وكان أول سؤال رددته على مسامعها: أين عزو؟ فقالت أم عزو إنه... إنه... لا أعرف.. أرجو أن يكون حياً. فسألتها: منذ متى لم تريه؟ فقالت وهي تنظر بأعين دامعة: لا أذكر شيئاً، لقد ظهر واختفى، ولا أعرف عندما ظهر هل كان حلماً أو حقيقة، وأذكر آخر مرة رأيته فيها قوله: هذه المرة أنا في خطر حقيقي إذا لم أعط هذا المغلف إلى عصام الساكت. وناولني مغلفاً أخفيته جيداً بمكان أتحسسه كل مدة، وأعرف من خلاله بأن ولدي حضر هذه المرة بلحمه وشحمه ولم يكن حلماً، ثم أكد علي بألا أخبر أحداً بأمر هذا المغلف، وعرفت بأن ولدي ذهب ولن يعود، وهنا سألتها أم عصام: هل تودين مرافقتي والعيش معي؟ فردت أم عزو على الفور لا يا ابنتي فلي ذكريات لن أبرحها، فقد عشت

أجمل أيام حياتي بين جنبات هذا البيت، وكل قطعة فيه لها مكانة في نفسي أغلى مما تتصورين، وقامت من مكانها ودخلت غرفة نومها وعادت بعد دقائق تحمل مغلفاً كبيراً أكلت الفئران أجزاء منه وناولته إلى أم عصام التي أخذته بتأفف وناولته إلى شكرية التي رأت بأنها حظيت بما كانت تبحث عنه، فدسته في حقيبتها، وأخرجت مغلفاً آخر كانت قد أحضرته معها بغرض دعم أم عزو وقدمته لها قائلة: إن فيه مبلغاً جيداً من المال يمكن بواسطته أن تعدلي ما أنت فيه، فتلقفته أم عزو وهي تسألها: هل فيه ما يكفي لإصلاح البيت والفرش؟ فلدي من يرغب بإصلاحه ولكن ليس لديه مال. فردت شكرية بالإيجاب، وأخذ طريقهما برفقة أم عصام إلى الخارج، بينما كانت أم عزو تبحث عن مكان تخفي فيه ماحصلت عليه. أما أم عصام، فقد كان الخوف قد تسلل إلى نفسها وهي تسال نفسها: كيف تعرفت شكرية على جذور الأسرة من مسكن وحي وجيران مع أن العلاقة بأم عزو بمجرد من التماس... فأم عزو لا تعرف شكرية، بينما الأخرى تعرف أعماق حياة أم عزو وولدها.. وتساءلت هل شكرية تعرف العلاقة التي كانت بين زوجها وصديق عمره عزو؟ وإذا كان كذلك فإنها عالمة بأعماق وجذور الروابط التي كانت بين الصديقين، وتعرف أيضاً مصدر الحياة الرغيدة التي تعيشها أسرة الساكت، وأن ولدي حسام كشف بعضاً من خفايا تلك المرأة، وكان من المحال تصديقه.. حتى وصلوا دارتهم فقطعت شكرية الصمت عندما دعت أم عصام إلى النزول، فقد وصلوا الدارة قبل ورود سيارة المدرسة التي تقل أمجد بوقت كاف، وبينما دخلت

أم عصام الدارة متثاقلة كانت شكرية التي بقيت في السيارة تركز على حماتها التي بقيت صامتة من لحظة خروجها من منزل أم عزو حتى دخولها الدارة وما إن دخلت غرفتها حتى قالت لنفسها إن بقاء تلك المرأة معنا هو حمق كبير، فيجب العمل على إخراجها من بيتنا وحياتنا... ولكن أمجد، كيف لي التخلي عنه...

قطعت شكرية التركيز وعرفت موقعها الجديد في نفس أم عصام، ورأت بأن الأيام القادمة لن تكون كالخوالي، وأن واجبها أن تنأى بنفسها عن تلك الأسرة، وتبدأ حياة جديدة بكل المعايير، ودون أمجد، وكان أول عمل قامت به هو نقل كنوز زوجها المرحوم عصام إلى منشأتها، أما مقتنياته التي ورثتها فقد عمدت إلى انتظار زواج حسام وأسمهان الذي تم وشاركت فيه شكرية، وبعد مرور الأسبوع الأول وما زالت الأفراح قائمة، غادر العروسان الدارة لشهر العسل، وتبعهم من كان يرافق العروس إلى دورهم، ولم يبق في الدارة سوى شكرية وحماتها، فرأت شكرية أن الفرصة مواتية لطرح ماصممت عليه.

فوجئت أم عصام بطلب شكرية المغادرة معللة رغبتها بإفساح المجال للأسرة الوليدة أن تنمو وتزدهر، والخير لتلك الأسرة أن تبقى هي وحدها، وخاصة أنها كانت الزوجة الأولى لحسام، واعتمدت شكرية على تلك الأسس في النقاش الذي استمر أمام اعتراض أم عصام، حتى شعرت شكرية بأن الهدف من إصرار أم عصام هو خوفها من فقدان أمجد لا التمسك بها، فقد كان اقتناع أم عصام من بداية النقاش واضحاً بوجهة نظر شكرية،

ولولا أمجد لكانت تلك المبادرة من أم عصام نفسها، ولكن شكرية كانت ترغب بأن تبدأ أم عصام بطرح النقطة الخاصة بأمجد حتى لاتلام بأنها هي من دفعت وحيدها للبقاء في حجر جدته، فسمعت منها ماكانت ترغبه بأن قالت: أوافقك على الخروج ولكن بشرط أن يبقى أمجد في المنزل الذي ولد فيه في ملكه وبين أهله، وكان الرد الإيجابي من شكرية قد أثلج صدر أم عصام ودفعها للقيام من مكانها معانقة شكرية عناقاً طويلاً والدموع تنهمر من عينيها وهي تردد سامحيني... سامحيني لقد ظلمناك فأنت الخير كل الخير أرجوك لا تحقدي علينا... بارك الله فيك وبأصلك.. ثم أوقفت العناق وقالت بحماس ستبقى غرفتك بأثاثها لك، ولن يدخلها أحد إلا أنت فاتركي الدارة ولكن لاتهجريها. فردت شكرية بأن لها في تلك الدارة أجمل وأمتع الذكريات وفيها أحب الناس إليها وأغلاهم، فلن تكون إلا منهم وإليهم. وتجدد العناق المشترك ورافقه التقبيل وقد امتزجت دموع الاثنتين مع بعضهما، وتوصلتا إلى حل أرضى شكرية وأبقى لها موطئ قدم دائم في دارة أم عصام، تزور غرفتها وتقيم فيها إذا أرادت ومتى شاءت للزيارة أو الإقامة مع وحيدها، فلها حقها في ملك زوجها كما لأمجد حقه في ملك أبيه، وكل ما كانت ترغبه أن تكون مرحباً بها عندما تشاء أن تقيم إن كانت إقامتها دائمة أو مؤقتة، وحتى لا تشعر بالوحدة عندما تقيم بدارتها التي آوتها في أحلك أيامها وفيها سرها ومقتنياتها.

في اليوم التالي غادرت شكرية دارة أم عصام مودعة بالعناق والتقبيل من قبل أم عصام ووحيدها، وأخذت معها ما ترغب أن تنقله إلى دارتها في

حقائب قد أعدت سابقاً ودخلت غرفتها السرية، فشعرب بالوحدة من لحظة دخولها الدارة لأن كل ماحولها يذكرها بما عانته في فترات الشعوذة والانتقام فاستسلمت للبكاء، ثم تذكرت أن لها عيادة ستكون السلوى المثلى لأمثالها، فقدرتها غير المحدودة على كشف ملابسات مرضاها تجعلها أكثر الأطباء تفهما لحالات مرضاها وأكثرهم قدرة على حل المستعصي منها، فوجدت من الأجدى أن تبدأ بفتح عيادتها، والابتعاد عن الحزن واليأس والخوف من الوحدة.

قامت شكرية على الفور واتصلت بمنظمة مواعيد عيادتها لمياء التي لبت رغبة شكرية بسرور، وبعد يومين من الاتصال جهزت العيادة تنظيفاً وترتيباً، وعلقت لوحة المواعيد خارجاً محددة المواعيد التي عادت كما كانت على مرحلتين قبل وبعد الظهر، كما أنيرت اللوحة التي تشير إلى اسم شكرية واختصاصها خارج العيادة، وقامت لمياء بالاتصال بمنازل بعض المرضى تخبرهم بعودة شكرية إلى عيادتها ومزاولة عملها، وكان لهذا الأسلوب أثره في تقليص فترة انتظار ورود المرضى، ولم يمض وقت طويل حتى كان عمل شكرية يشمل النهار بكامله وأطرافاً من الليل، حتى عاد حنينها إلى النوم والراحة وعمل البيت يزداد... ولولا ساعات النادي المحددة لها لممارسة الرياضة لما ترك لها مرضاها من الوقت الشحيح شيئاً. وتركت في خضم عملها - غرفتها السرية وما تحوينه من أسرار مازالت سراً عليها، وهي ترغب رغبة جامحة بفك رموزها.

حتى كان يوم أبلغتها فيه لمياء أن الجواهرجي الشهير نسيم دبورة قد

سجل اسم ابنته نورة في سجل العيادة، وأن هذا الجواهرجي قد عاد بابنته من أوربة بعد أن فشلت مداواتها هناك. وجدت شكرية فرصتها بإثبات وجودها بين عمالقة الطب، والظهور إلى السطح بمهنتها إذا نجحت وأنقذت نورة، وشغل ذلك تفكيرها واهتمامها حتى أزف موعد زيارة نورة لها بصحبة والدها، وشرف ذلك الرجل المعروف عيادة شكرية، وشاهدت نورة المصابة بفقدان الذاكرة أمامها، وما إن استلقت نورة على سرير العيادة حتى تركتها تستمع وهي تلقى بالأسئلة على نسيم، الذي فوجئ وكأنه هو من يتلقى العلاج، وكان جل تلك الأسئلة متعلقة بتحركات نورة قبل إصابتها بفقدان الذاكرة داخل البلاد وخارجها، وما إن تحصل على خبر تحرك ما حتىَ تطلب تحديد اليوم والتاريخ، وكان نسيم الذي وجد تغييراً في الأسلوب المتبع يلبي مايتذكره، ويبحث بين طيات أوراقه وأوراق ابنته ويخبرها بما يجده لتسجله شكرية في دفتر مذكراتها، حتى السفرة الأخيرة التي فقدت نورة أثناءها الذاكرة وكان ذلك في مدينة مدريد بإسبانية، وما إن انتهت شكرية من جمع المعلومات حتى طلبت صورة أو أكثر لنورة، فأعطاها نسيم مجموعة من الصور انتقت منها عدة صور مشتركة، تبرز فيها وجوه عدة بما فيه وجهها ووجه أبيها.

غادر نسيم وابنته عيادة شكرية بعد ست ساعات من الحوار وهو لايجد تفسيراً مقنعاً لما رآه وسمعه، ولكنه وجد أسلوباً في العلاج يختلف عن الأساليب المتبعة.. فلأول مرة لايتم توجيه أي سؤال إلى ابنته بل الأسئلة كلها كانت من نصيبه. والذي حيره أكثر طلباتها من التواريخ والصور،

وزاد في حيرته ابتعاد موعد المراجعة المقبلة التي حددت بعد أسبوع، وكأن الطبيبة تريد التأكد.. ثم تساءل هل لها مصادرها الخاصة أو أنها ستبحث في الأماكن التي ذكرها.. رغم أن جزءاً منها كان خارج البلاد، فكيف لها الوصول؟ وإذا وصلت فكيف لها التأكد.. حينها وصل باستنتاجه إلى أن تلك الطبيبة تتبع طرقاً ملتوية غايتها إيهام أولياء المرضى بأنها تملك ما لايملكه غيرها من الأطباء. ولما وصل إلى بيته قام بحجز ابنته في غرفتها كما كان يفعل على الدوام بعد عودته بها من إسبانية.

أما شكرية فقد شعرت بسعادة غامرة لدى خروج نسيم وابنته من عيادتها، بعد أن حصلت على مواد عملها من صور وتواريخ دون عناء. وبعد خروج نسيم بلحظات دخلت عليها موظفة العيادة لمياء فوجدتها مازالت على باب غرفتها تنظر إلى صور بيدها وابتسامة الرضا بادية على وجهها، فسألتها عما ستفعله وقد أخذت مراجعة نسيم وابنته كامل الدوام الصباحي وجزءاً من فترة راحتهم مع اقتراب فترة دوام العيادة المسائي وهم دون راحة أو طعام..؟ و لم تجد من شكرية أي اهتمام، بل دعتها للعودة إلى طاولتها في غرفة الاستقبال لاستقبال مراجعي المساء.

دخلت شكرية دارتها ليلاً منهكة القوى، تسعى إلى المطبخ بعد يوم من العمل الشاق ودون راحة أو طعام، وما إن انتهت من طعامها واتجهت نحو غرفة نومها حتى تذكرت أنها تحمل في حقيبتها صور نورة، فتلمستها حين جلوسها على فراشها وأخرجت إحدى الصور وكانت تجمع نورة ووالدها، فأرادت أن تعرف وقع الزيارة على نسيم فركزت عليه فوجدته

وحده في مكتب أنيق يعمل، فأعادت التركيز لساعتين خلتا فوجدته في نفس المكتب، ويقف أمامه رجل يحمل بين يديه بطاقة يقلبها، تشبه كثيراً بطاقة عيادتها.. وسمعت حوارهما، وكان منصباً على مراقبتها وإبلاغ نسيم بتحركاتها، فعرفت حينها أن نسيماً يود أن يعرف أشياء عن شكرية كانت غامضة عليه، واستمعت إلى تعليماته التي كان يلقنها إلى عميله، ومما لفت نظرها تحذيره في نهاية اللقاء من الإقدام على أي عمل ضدها حتى يحصل على إذن مسبق منه.

قطعت شكرية التركيز مستغربة تصرف نسيم حيالها، فهي لم تفعل شيئاً يغضبه وفكرت قليلاً، فلعل أسلوبها بالعمل قد أثار الريبة في نفسه، ثم تساءلت، ولكن ماذا يقصد بالتحذير الأخير؟ هل هي مستهدفة؟ فالتعليمات التي سمعتها تصب في خانة المراقبة والملاحقة، ولكن ما أخافها هو العبارة الأخيرة، وهذا يعني أن رجل نسيم خطر ويحتمل أن يتصرف دون إذن مسبق أو يخالف التعليمات وتكون شكرية ضحية رجل يهوى المغامرة، فاستقر رأيها على أخذ جانب الحذر، والعودة للنوم في غرفتها السرية حتى ينجلي الموقف وتعرف مراد نسيم، لأن الخوف بدأ يتسلل إلى نفسها، فلأول مرة تشعر بأنها مستهدفة شخصياً، وأن حذرها سيشمل المنزل وخارجه، وواجبها الحصول على صورة لعميل نسيم هذا ووضعه تحت مراقبتها.

صحت شكرية من نومها في الصباح فوجدت نفسها قابعة في سرير غرفتها السرية وحولها كل مايذكرها بالماضي ودمويته، ثم قامت متثاقلة وأخذت مسدسها وقلبته بين يديها ثم فحصت مخزن ذخيرته واستكملت

طلقاته ووضعته في حقيبتها، ثم أخذت آلة تصوير صغيرة الحجم كانت قد استخدمتها في تصوير سلمى وجهزتها، ثم خرجت من غرفتها السرية نحو المطبخ بحذر، ثم تناولت فطورها وهي شاردة الذهن تفكر، وبقيت بعد ذلك في دارتها تبحث من خلال نوافذها عن عميل نسيم أو سيارة متوقفة، وبقيت على ذلك حتى اتصلت لمياء وأبلغتها بورود مرضاها، فغادرت نحو عيادتها التي هي جزء من الدارة، وما إن استقرت على كرسيها في العيادة حتى قامت بإعداد نموذج بطاقة خاصة لكل مريض تسجل فيها معلومات وافية، وأفرغت مكاناً في أعلى البطاقة لوضع صورة للمريض، ثم استدعت لمياء وأبلغتها بتنفيذ النموذج الجديد للمرضى المراد تسجيلهم حديثاً، ورفض أي مريض يمتنع عن التنفيذ، كما تقوم لمياء بإبلاغ شكرية بجدول يومي بالمراجعين مع بطاقاتهم قبل دوام العيادة بساعة. وقد وجدت لمياء العجب من تصرفات شكرية، فبالأمس فقط كانت الأمور على مايرام والسعادة تشع من عيني شكرية، فماذا حصل بساعات الليل... و لم تجد بداً من تنفيذ التعليمات رغم أن ذلك سيضاعف من عملها، و لم تتجرأ على نقض أي فقرة، لأن شكل شكرية وجديتها لاتسمحان بالمناقشة. و لم تبدأ عملها إلا بعد أن أعادت لمياء على مسامع شكرية التعليمات، وعرفت شكرية بأن لمياء استوعبت التعليمات وطريقة تنفيذها، وزاد من استغراب لمياء إلغاء شكرية للمواعيد التي تقوم بها خارج العيادة، حتى إنها ألغت موعد النادي، كما دعت لمياء إلى إدخال السوق في برنامجها اليومي، وبذلك تكون شكرية قد أمنت نفسها من المفاجأة عندما تكون منهمكة بمزاولة مهنتها. ولكن ماكان

يشغلها هو كيفية الحصول على صورة لعميل نسيم ليسهل عليها مراقبته وردعه في الوقت المناسب وعدم تركه يفعل مايحلو له.

وفي المساء دخلت شكرية غرفتها السرية واستلّت صور نورة وبدأت تبحث بين الوجوه عن وجه عميل نسيم، ولما لم تجده ركزت على نسيم مستعيدة لقاءه بعميله بالأمس ووقته حتى وجدتهما بنفس موقف الأمس وسمعت الجزء الأخير من تعليمات نسيم حتى انتهى، وعرفت من خلال الحوار اسمه وكان رأفت، وتابعته حتى خرج، وشاهدت توديع نسيم له حتى باب الخروج، وعرفت بأن استقباله كان في منزل نسيم، ثم تابعت مساره حتى باب البناء إلى أن امتطى سيارة بيضاء وانطلق بها ضمن حديقة حتى وصل إلى باب الحديقة الحديدي، وخرج منه بسرعة نحو شارع رئيسي، وبدأ مساره يأخذ اتجاهاً نحو منطقة فيها دارتها، ثم انعطف واقترب أكثر فأكثر، ثم توقف بعيداً عن دارتها وهبط من السيارة وسار على قدميه حتى وصل البناء المجاور للدارة، ثم اجتاز مدخله ووقف بزاوية وهو ينظر نحو العيادة، ثم أخرج من جيبه عدسة مكبرة وبدأ ينظر من خلالها وكأنه يود رؤية ما بداخل العيادة من خلال النافذة المطلة على الطريق، ثم غادر نحو سيارته وامتطاها وقادها نحو العيادة، ثم أوقفها في مكان بين السيارات المتوقفة بحيث يمكنه وهو بداخلها رؤية العيادة بوضوح.

ثم قامت بتسريع الوقت حتى أزف موعد إغلاق العيادة، وشاهدت ردة فعله عندما خرجت لمياء من الباب الرئيسي للعيادة واتجهت نحو هدفها، وشاهدته يترك العيادة ويلاحق لمياء وعرفت حينهابأنه أخطأ هدفه وظن أن

لمياء هي الدكتورة، ولم يكتشف خطأه إلا حين شاهد لمياء تبحث عن سيارة عامة لإحدى الضواحي، حينها أوقف سيارته برهة وفكر، ثم انطلق بها نحو قلب المدينة وأوقفها قرب أحد الفنادق وهبط منها، فتابعته حتى دخل الفندق وصعد بمصعده حتى الطابق الثاني وفتح غرفة برقم (٣٢) ودخلها، وكل مافعله هو أنه غير من ملابسه وارتدى ملابس أنيقة وخرج من الفندق، وعاد إلى سيارته وانطلق بها مخترقاً الشوارع الرئيسية إلى شارع جانبي هادي، ووصل قرب بناء بثلاثة أدوار، فهبط من السيارة وصعد البناء حتى الدور الثالث، ثم طرق بابه ففتحت له الباب فتاة سألها عن اسم بقوله نازك خانم موجودة؟ فردت مبتسمة بالإيجاب، ومدت يدها مع انحناءة تدعوه للدخول وكأنه من زبائن الدار إلى غرفة الاستقبال، فدخلها دون دليل إذ إن الفتاة تركته يدخل وهي تتجه وجهة مغايرة، وبعد لحظات ظهرت امرأة متوسطة العمر، وأقبلت نحو غرفة الاستقبال، والتقت رأفت الذي وقف مستقبلاً ومحيياً بأدب واحترام، فسألته عما فعله بالمهمة الموكلة إليه من قبل نسيم، فرد بأن نسيماً لم يزوده بصورة للدكتورة شكرية، وأنه تعرف على العيادة وانتقى الأمكنة التي تمكنه من المراقبة بيسر ودون شبهة، ومشاهداته اقتصرت على المرضى وإحدى الموظفات، وأنه بحاجة إلى بعض المعلومات وصورة للدكتورة، فوعدته بالحصول على مايريد قبل الغد.

ثم انتقلوا إلى أمر آخر يبحثونه بينما انتقل تفكير شكرية إلى سؤال نفسها، كيف يمكن لهذه المرأة أن تحصل على ماتريد من معلومات، هل هي مسؤولة عن مكتب لاستقصاء المعلومات وتشغيل مراقبين ومخبرين.. وبعد

وقت قصير شاهدت رأفت يخرج من منزل نازك خانم، لتجد شكرية نفسها تقطع ملاحقة رأفت وتبدأ بملازمة نازك لتعرف ماعمل هذه المرأة، وماذا يدور في منزلها، ثم دخلت نازك مكتبها في المنزل وشاهدتها تجلس خلف طاولة وقامت بكتابة رسالة، ثم وضعتها في مغلف، وبعد إغلاقه ضغطت على زر إنذار، ظهرت على أثره فتاة فأعطتها المغلف وأمرتها أن توصله، أخذت الفتاة المغلف دون أن تسال وخرجت، فلاحقتها شكرية حتى خرجت من المنزل، وبقيت تلازمها وشاهدتها تخرج من البناء، وتمتطي سيارة كانت متوقفة وتنطلق بها بعيداً إلى خارج المدينة نحو ناحية الشليان، وتوقفت أمام باب معدني مغلق، ثم هبطت من السيارة وهي تحمل بيدها المغلف، واقتربت من الباب ورفعت بيدها قطعة معدنية متدلية في زاويته، فظهر على أثرها شق فأسقطت فيه الفتاة الرسالة، ثم عادت أدراجها بعد أن ضغطت وردة من الوردات المعدنية المنتشرة على مساحة الباب.

وبعد مغادرتها بلحظات ظهر رجل أمام الباب وأخذ مافي الصندوق المعدني المثبت على الباب واجتاز ممراً تحفه أشجار الكرمة، وصعد درجات خمساً ووصل إلى ممر، سار فيه حتى وصل إلى باب جانبي، ففتحه بمفتاح كان يحمله، ودخل وأغلق الباب دونه إلى صالون فسيح، فاجتازه إلى باب في الجانب الآخر من الصالون، ففتحه أيضاً بمفتاح كان يحمله، واجتازه ودخل غرفة مظلمة، وبعد اجتيازه بابها وإغلاقه دونه أضاء نورها، لتظهر مكنوناتها من الأجهزة والخزائن الملأى بالأوراق، وفي وسطها طاولة عليها جهاز، وقبالتها مكان لتحميض الصور، وفوق ذلك المكان حبال معلق فيها

صور تم تحميضها ويجري تجفيفها، ثم شاهدته يجلس على الكرسي المخصص للطاولة ويبدأ بفحص ما جلبه من صندوق البريد، وأخذ يقلبها حتى وصل إلى مغلف نازك خانم، ففضه وأخرج الرسالة التي بداخله وقرأ ماتطلبه من معلومات وصور عن ثلاثة أسماء، كان اسم شكرية في ذيل تلك القائمة، وشاهدته يستخدم أسلوب الفيش باستخراج بطاقات معتمداً على الكنية، وفوجئت بأن لها بطاقة عنده وصورة (حاسوبية) بخطوط فقط، وقرأت ماكتب على البطاقة من معلومات عنها فلم تجد إلا الاسم والكنية والعمل، مما يوحي بأنه إما بانتظار مايرده من معلومات، أو أن البطاقة يجري إعدادها حديثاً بعد زيارة نسيم، وفي كلتا الحالتين فقد شعرت شكرية بالخطر من أعداء بدؤوا يتشكلون حديثاً، وفكرت متسائلة: هل اعتذارها عن الاستمرار في معالجة نورة سيبعدهم عنها؟ وتنأى بنفسها وتعود إلى حياتها دون أخطار.. أو أن علاج نورة حجة لاختراق حياتها من أجل أمر آخر تجهله؟

قطعت شكرية التركيز وبدأت تفكر بالخطوة التالية. هل تتصل بنسيم وتعتذر، أو تنتظر موعد الزيارة وتبدي اعتذارها وتظهر عجزها لإبعاد مايدبر لها.. ولكن الأيام القليلة القادمة حتى موعد زيارة نورة لن يثني نازك عن متابعة الاستقصاء والوصول إلى ماتريد، وشعرت بخطر نازك وقد تملكها الخوف بشدة، فقررت الاتصال بنسيم على الفور والاعتذار له عن الاستمرار بمعالجة ابنته وإظهار عجزها، واكتشافها بأن مرض ابنته ليس من اختصاصها، حينها بحثت عن بطاقة نسيم التي زوده بها، ثم أخذت صورته وركزت عليها لتعرف مكان وجوده في تلك اللحظة لتبلغه بقرارها،

فشاهدته يخرج من بناء وبيده حقيقة، ثم يتوقف قرب سيارة، ففتحها وألقى الحقيبة على المقعد الخلفي، ثم انطلق بسيارته وشكرية تحاول معرفة المنطقة من خلال مسار السيارة التي اتجهت نحو المنطقة التي يقيم فيها، فعرفت بأنه يتجه نحو منزله، فتابعته حتى أوقف سيارته في مرآبها ضمن الحديقة، وخرج من السيارة يحمل بيده الحقيبة، ثم صعد إلى المنزل فاستقبلته امرأة شابة لم ترها من قبل بالعناق والتقبيل، وشكرها على حضورها ودعاها إلى انتظاره حتى يقوم بتغيير ملابسه في غرفته، غير أنها تبعته وهي تحثه بدلع ليستمع إليها، في تلك اللحظة دخل غرفة نومه برفقتها، وفتح باب خزانة ملابسه ووضع الحقيبة بها، ثم التفت إليها مبتسماً ومعانقاً وهو يستمع إليها، فرددت على مسامعه موضوعاً يظهر من خلال حديثها أنه مطروق قبلاً وهو رغبتها في أن يسرع بالزواج منها، وسمعته يقول لن يتم ذلك إلا بعد أن يزيل العقبة التي تؤرقه وتبعث في نفسه الخوف، فردت بتململ بأن تلك الأسطوانة طال سماعها، فمنذ عودته من مدريد وهو يرددها دون أن يفصح، والوقت ليس في صالحهم، وهو يحاول تغيير مسار الحديث محاولاً ضمها إلى صدره، بينما راحت تبتعد وتكرر طلبها وهي إجابة واضحة وصريحة عن أسباب تأجيل الزواج، وأن استمرارها معه دون إفصاح عن السبب يبعث في نفسها الشك والريبة، وأحبطت مسعاه لجرها إلى السرير، وخرجت من غرفة نومه وهو يحاول استرضاءها، ثم ذكر اسمها ودعاها إلى الخروج معه والعشاء في مكان هادئ، يمكنهم أثناءه رأب مابدا أنه صدع حقيقي لعلاقة طويلة، ظاناً استحالة فصم تلك العلاقة، فهو هائم بها

وسيقدر تضحيتها، وسيعوضها بشهر عسل لاتنساه مدى حياتها.

وشاهدت شكرية ابتسامة الرضا والقبول على وجه هيام طالباً منها انتظاره للحظة لرؤية نورة والاطمئنان عليها في غرفتها، وشاهدته يعبر ممراً - بينما هيام تصلح من زينتها - إلى صالون فوجد امرأة فسلم عليها ودعاها بنديمة، ثم سألها عن ابنته فرددت على مسامعه ما أقلقه، فقد وصفت أفعالها بأفعال المجانين الذين لايتوانون عن فعل أي شيء، وأنها لولا الحقن المهدئة لما تمكنت من الدخول إلى جناحها، ودعته إلى رؤيتها وفتحت له باب جناحها بمفتاح معلق في رقبتها، وما إن دخل حتى رأى ابنته على سريرها مكبلة ترمقه بنظرات الخوف والكره. وقف برهة ينعم النظر إليها، ثم مد يده للمس يدها فضمتها إلى صدرها كي لايصل إليها، حينها غادر جناحها ممتعضاً وهو يردد بهمس: كان عليه أن يتخلص منها أيضاً، أرجو أن تقتنع الدكتورة وتريحني منك كما أراحني مهنا من أمك الخائنة.

قطعت شكرية التركيز وتساءلت: إذن فمهمتي العمل على القتل المهني، وكل إجراءاتهم لاتتعدى الوثوق بالخطوات التي يتبعونها للوصول إلى إقناعي. وفكرت قليلاً ثم وجدت نفسها تستعد للخروج لملاقاة نسيم وهيام في مكان وجودهما.. فارتدت أبهى حللها، وسعت نحو سيارتها في المرآب، وما إن دخلت إليها حتى أخرجت صورة نسيم وركزت عليها لتعرف مكان وجوده، فوجدته يهبط من سيارته أمام مطعم ريفي، فنظرت إلى لافتته فعرفته وعرفت مكانه، فانطلقت بسيارتها ووصلت إلى المطعم وأوقفتها في المكان المخصص لوقوف سيارات رواد المطعم، وقبل أن تهبط

من السيارة أخذت صورة نسيم وركزت عليها لتشاهده مع هيام على طاولة يتسامران، وجالت ببصرها لتجد طاولة فارغة بالقرب منهما، حينها دخلت المطعم وهي تبحث حتى وجدتهما، فمرت بالقرب منهما ساعية إلى لفت نظر نسيم إليها، وحققت مارغبت به حينما سمعت صوته يناديها بالدكتورة، فالتفتت إليه وأظهرت له مفاجأتها بوجوده، وسمعته يسألها إن كانت وحدها، وأنه يرحب بجلوسها بينهم. فالتفتت إلى هيام محيية فردت هيام تحيتها ببرود، ونسيم يعرّف الامرأتين ببعضهما، ولما عرفت هيام بأن شكرية هي طبيبة نورة رجتها الجلوس معهما وإعطائها فكرة عن حالة نورة، وأشعرتهم شكرية بأن طلبهم مجاب نتيجة لإلحاحهم، وكانت ابتسامة هيام واضحة عندما قدمها نسيم بخطيبتي هيام، وبعد ذلك جلب نسيم كرسياً وقربه من هيام قائلاً لشكرية أرغب بجلوسك معنا وتعميق العلاقة بخطيبتي. وفي تلك اللحظة وصل النادل حاملاً صينية عليها دلة وفنجاني قهوة وصبهما وقدمهما، فأخذت شكرية أحدهما بعد إلحاح نسيم الذي طلب من النادل إحضار فنجان ثالث، وقد فاجأتهما شكرية عندما قلبت فنجانها رأساً على عقب بعد شربها له كما يفعل العامة، فاستغربت هيام فعلتها وسألتها هل تجيدين التنجيم؟ فردت بالإيجاب، ففعلت هيام بفنجانها كما فعلت شكرية، وضحكت الاثنتان أمام دهشة نسيم، ولكن ما فا جأهم حقاً هو قراءة شكرية لفنجان هيام، فقد وضحت أموراً أذهلتهما وتركتهما ينظران إلى بعضهما وهي تسترسل بالكلام عما تعرفه عن هيام من خلال قدراتها لا من خلال الفنجان، دون أن تدخل في ثنايا العلاقة بين نسيم

وهيام. وما إن انتهت حتى سمعت الإطراء من هيام، ووصفت ماسمعته عن حياتها وآمالها كأنها تعيش معها وفي داخلها.. ولكن نسيماً الذي كان مايزال يشرب فنجانه لم يقلبه بعد شربه رغم إلحاح هيام، بل فضل أن تبقى أسراره سراً. عندها وصفت شكرية نفسها بمعدومة الأسرار، وأن حياتها ليس فيها أسرار تذكر، مما فتح المجال لهيام كي تسترسل بالأمثلة المختلفة، وكانت شكرية تجيبها دون تحفظ مما أشعر نسيماً بأن شكرية سطحية ومنطوية وغير مجربة وكل اهتمامها منصب على مهنتها، وأن عمق أسئلتها التي سألته إياها في عيادتها وأثارت الذعر في نفسه ماهي إلا نتيجة طبيعية للممارسة اليومية لمهنتها، ولكن ذلك لن يثنيه عن الاستمرار في التعمق والوصول إلى مايريحه ويبعث الطمأنينة في نفسه، ولن يطلب توقيف قنوات المراقبة والاستقصاء المتخصصة التي استأجرها حتى تصل في عملها إلى مداه. حينها هدأت نفسه وشكر المصادفة التي أتاحت له لقاء شكرية خارج عيادتها والتعرف بها دون حواجز، والدخول إلى أعماقها.. وبينما كان نسيم يقيّم شكرية كانت هيام توطد العلاقة معها، وقد حصلت كل منهما على عنوان الأخرى بغية تبادل الزيارات وتعميق العلاقة.

عادت شكرية إلى دارتها وهي مطمئنة في داخلها، وكل مايؤرقها هو تلك الأجهزة التي اكتشفتها مصادفة والتي تراقب خطواتها، وهي التي ترغب بأن تبقى خطواتها سراً على الجميع، كما هي دارتها وغرفتها السرية وقدراتها. وهي تعلم يقيناً أن نهايتها تبدأ عند انكشاف أي من أسرارها مهما كان. فارتأت أن واجبها يدعوها إلى تخريب أجهزة نسيم، وخاصة

أنها أجهزة مخالفة للقانون، وتعمل بالخفاء ضد أبرياء، وأول تلك الأجهزة مركز المعلومات في الضاحية الذي تعرفت عليه وعرفت قدراته، فبواسطته تحصل الأجهزة المنفذة على المعلومات بالسرعة المطلوبة فيسهل عليها التنفيذ السريع والآمن، كما أن اختفاء هذا المركز يتبعه قطع أذرع كثيرة تساهم في إغنائه بالمعلومات، ويكون سبباً مباشراً في إضعاف الأجهزة المنفذة كمركز نازك مثلاً، وكلما أسرعت تكون قد أبعدت الخطر عنها. وكانت أولى خطواتها تكمن في إيجاد صورة لصاحب هذا المركز أو لأحد العاملين فيه، وكل ما رأته كان لرجل بدين في الستين من عمره يجلب البريد داخل المركز ويقوم بتسجيله وتساءلت: أهو من يدير هذا المركز أم إدارته تتبع رجلاً آخر؟ وهل تلك الغرفة وما تحويه هو كل شيء: أو أن تلك الغرفة مجرد مدخل للمركز.. وتصميمها على عدم التأجيل دفعها إلى الخروج مرة أخرى عبر الممر الواصل بين الدارة والمرآب، وانطلقت بسيارة غير التي تستخدمها عادة إلى ضاحية الشليان، وسارت عبر الشارع حتى وصلت إلى بناء المركز، وشاهدت الباب الرئيسي المعدني وورداته المعدنية الحمراء المثبتة عليه، واجتازت الشارع حتى نهايته، ثم عادت أدراجها عبره مرة أخرى من الجانب الآخر، وأوقفت سيارتها قبالة باب المركز، وانتظرت وهي بسيارتها خلو الشارع من المارة والسيارات، ثم هبطت من سيارتها واتجهت نحو الباب، وما إن وصلته حتى ضغطت على الوردة كما فعلت فتاة نازك، وعادت إلى سيارتها وهي بانتظار خروج أحد العاملين لكون تلك الوردة المعدنية تمثل إشارة سرية عن ورود أحد المرتبطين بالمركز وهي تحمل آلة

التصوير التي جلبتها لهذا الغرض، ولم يطل الوقت فقد خرج الرجل البدين نفسه ونظر عبر الشارع في الاتجاهين وكانت شكرية القابعة داخل سيارتها تنظر إليه وآلة التصوير في يدها ترجو الله أن لايثبت نظره نحو سيارتها القابعة بين السيارات المتوقفة، وخاصة أن نور الشارع العام الذي ساعدها على التقاط الصور التي كانت تلتقطها بوضوح سيكون سبباً بفضح أمرها لو ركز الرجل نظره نحو الرصيف المقابل، وقد ساعدها أيضاً إضاءته نور باب منزله عند فتحه الباب مما هيأ لها نوراً أفضل، ثم شاهدته يستدير بعد أن اطمأن إلى أنه لا أحد يراقبه، وفتح صندوق بريده وأخرج محتوياته، ثم دخل منزله وأغلق الباب وأطفأ النور. وتنفست شكرية الصعداء، وانتظرت هنيهة حتى استقرت نفسها ووثقت بأن الرجل قد ابتعد داخل منزله ولا يمكنه سماع صوت محرك سيارتها عند الإقلاع، عندها غادرت وهي مطمئنة، وكل همها أن ترى الصور التي التقطتها على الفور. ولهذا عرجت بطريق عودتها إلى دارتها - على مركز تحميض الصور وحصلت عليها قبل عودتها، ولم يطمئن بالها حتى كانت أربع صور للبدين بين يديها، تقلبها في غرفتها السرية، وتنتقي أكثرها وضوحاً. ثم ركزت عليها لتشاهد الرجل البدين على سرير وقبالته جهاز تلفزيوني يبين على مدار الساعة أمكنة تخص المنزل الذي يوجد فيه بجميع أركانه، فعرفت بأن المركز محروس بعدسات تصوير تبث وتكشف أي حركة تأتي من الخارج فتظهر على الشاشة.

وبدأ الخوف يتسرب إلى نفسها من ظهورها على الشاشة أثناء وجودها على باب المنزل تطلق الإنذار بضغطها على الوردة المعدنية، ويكون

قد شاهدها وتكون الطامة الكبرى، فركزت مرة أخرى وحددت الوقت الذي كانت فيه على وشك الضغط على الوردة المعدنية قبل ساعات، ولم تظهر على الشاشة بل سمعت صوت الإنذار، مما يعني أن عدسات التصوير التلفزيونية معنية بما يجري بالداخل، أما الإنذار الذي سمعته فهو نتيجة ضغطها على الوردة المعدنية، وتابعته حتى غادر غرفته ووصل إلى الباب المعدني، وشاهدته يأخذ مافي صندوق البريد ثم عاد إلى غرفة الأجهزة، وبحث بين البريد عن بريد خاص فلم يجد، وفكر قليلاً وتساءل عمن أطلق الإنذار.. وأسرع نحو غرفة نومه التي يوجد فيها الجهاز التلفزيوني، وأدخل يده في جهاز فيديو، وأخرج منه شريط فيديو وأدخله في جهاز آخر، وبعد برهة وجيزة كان جهاز تلفزيوني آخر يبث مابداخل الشريط من صور قد بثت لتظهر الفترة التي كانت شكرية تضغط فيها على الوردة المعدنية، ولما كانت الصورة مأخوذة لداخل المنزل وحديقته فقط فلم يجد مايريب، حينها أخرج الشريط وأعاده إلى المكان الأول، وشاهدت الحيرة والشك يبدوان على وجهه وهو يتساءل: هل سمع صوت إنذار أو كان يتوهم.. ثم جلس على السرير ووضع يديه خلف رأسه وعيناه مسمرتان على جهازه التلفزيوني الموضوع أمامه يفكر، قطعت شكرية التركيز وأخذت تقيّم ماشاهدته، وتزاحمت أسئلة كثيرة في رأسها ولايمكنها البدء بالعمل إلا بعد أن تحصل على إجابات لمعظمها، وكان أهمها: من يدير هذا المركز؟ وكيف تصله المعلومات؟ وكيف يوصلها إلى طالبيها... حينها رأت أنها لايمكنها المتابعة إلا مع بدء الدوام الصباحي لتلك الأجهزة، وستقوم بالخطوة التالية

علـى ضـوء مـاترى وشـعرت بالحاجـة إلى النـوم فاسـتلقت علـى سـريرها والأفكار تتزاحـم في رأسها حتى غفت.

استيقظت شكرية في صباح اليوم التالي باكرة على غير عادتهـا، وأول شيء فكرت به هو صورة البدين ومركز المعلومات وخطره عليها، فاستلت صورة البدين وركزت عليها فشاهدته مازال في سريره بمركز المعلومـات، وبعد وقت سمعت صوت رنين نهض لـه البديـن، وشـاهدته ينظـر إلى لوحـة مرقمة قبالة السرير، لترى ضوءاً قد ظهر عليهـا فـوق رقـم سـبعة ثـم انطفـأ عندها شاهدته يغادر غرفته ويهبط سلماً إلى ممر داخل البنـاء، ثـم فتـح بابـاً بنهاية الممر وخرج إلى الحديقة وسار في ممر آخر تحفه الأشـجار، ووصـل في نهايته إلى باب فتحه بمفتاح كان بحوزته، وأطل برأسه بعد فتحه على شارع جانبي فيه سيارة نقل تنتظر خروجه، وما إن خرج ووصل إلى السيارة حتـى حصـل علـى صنـدوق مـن الكرتـون مغلـق، فحملـه وعـاد أدراجـه واجتـاز الرصيف ودخل الباب وأغلقه، ثم أدار قرص قفله بالمفتـاح ودخـل، وتابعتـه شكرية حتى دخل المنزل وتوجه إلى المطبـخ، وبـدأ بـإفراغ الصنـدوق الـذي كان يحوي أطعمة، فعرفت حينها أنه المقيم الوحيد، وأن المعلومات ترد إليـه بواسطة أجهزة بناء على طلبه، وحسبما يرد إليه من طلبات. ثم دخل غرفـة المعلومات وقام بتعبئة استمارة لكل طلب ورده بالأمس، وفوجئت باستمارة باسمها كان يقوم بطيها ووضعها ضمن مغلـف فيـه الاسـتمارتان الأخريـان، وسجل على المغلف كلمة نازك. وما إن حلت الساعة الثامنـة صباحـاً حتـى سمعت شكرية صوت رنين يشـبه رنـين الصبـاح، وشـاهدته ينظـر إلى لوحـة

مرقمة تشبه لوحة غرفة نومه، وشاهدت الضوء يلمع فوق رقم ثمانية ثم انطفأ ثم شاهدته يحمل عدة مغلفات ويخرج كما فعل عند جلبه طعامه، ولكنه هذه المرة فتح كوة في وسط الباب وشاهدته يكلم رجلاً من الطرف الآخر للباب، وعرفت من خلال حديثهما أن الذي في المنزل دكتور واسمه شكري، كما عرفت اسم المتلقي وكان إيهاب، حينها تخلت شكرية عن مراقبة الدكتور شكري وتبعت المتلقي إيهاب الذي أخذ المغلفات ودخل سيارته ثم بدأ يتفحص كل مغلف على حدة بروية وتمعن، ثم انطلق بسيارته حتى وصل إلى قرب بناء مرتفع قريب من مركز المدينة تكثر فيه المكاتب والمحلات التجارية، وهبط من سيارته واقترب من أحد صناديق البريد المنتشرة في مدخله، وألقى أحد تلك المغلفات فيه ثم عاد إلى سيارته، حينها عرفت شكرية بأن صندوق بريد نازك سيكون الهدف التالي، فوجدت أن الفرصة مواتية لعرقلة وصول المعلومات التي تستهدفها إلى نازك بموعدها، فارتدت ملابس تنكرية يدل منظرها على أنها خادمة لتنظيف ممرات وسلالم أبنية، وانطلقت بسيارتها وأوقفتها في مكان لايبعد كثيراً عن بناء نازك، وهبطت من سيارتها تحمل أدوات ضمن كيس حملته حتى مدخل البناء، ثم أخرجت تلك الأدوات وهي مكنسة ومسّاحة وبدأت العمل في المدخل، وماهي إلا لحظات حتى شاهدت إيهاب يُقْبل نحو المدخل وينظر نحو صناديق البريد المنتشرة ويسقط مغلفاً ثقيلاً في أحدها، وما إن غادر حتى اقتربت من الصندوق بحجة التنظيف وعالجته بأدواتها وخبرتها فاستجاب قفل الصندوق لها، فأخرجت مافي داخله وأدخلته في حقيبتها الجلدية ثم

أغلقت الصندوق وغادرت المدخل بنفس السرعة التي دخلت بها حاملة كيس أدوات التنظيف وماوجدته في صندوق البريد إلى سيارتها، وغادرت متوخية الوصول إلى دارتها قبل بدء دوام العيادة. وعند اقتراب سيارتها من منعطف الشارع الذي تقيم فيه لمحت رأفت من خلال مرآة سيارتها يقود سيارته البيضاء خلف سيارتها فأثار منظره رعشة خوف في قلبها، وتبادر إلى ذهنها أن أمرها مكشوف، ولكن مابدد تلك الأوهام هو توقفه بعد اجتياز المنعطف في مكان يمكن منه رؤية عيادتها، فوجدت نفسها تخفف من سرعة سيارتها ثم توقفت على بعد لايتجاوز خمسين متراً من مكان توقفه على نفس امتداد الرصيف، ثم حركت مرآة السيارة حتى ظهرت سيارته عبرها، وانتظرت حتى شاهدته يهبط من سيارته ثم يغلق بابها ويقوم بإقفاله، ثم يتجه نحوها ونظره منصب نحو عيادتها في الجانب الآخر من الشارع حيث لاتبعد عنها سوى أمتار قليلة، واستمرت بمشاهدته عبر المرآة وهو يقترب من خلف سيارتها ووجدت وضوح وجهه يتزايد في المرآة، مما دفعها إلى اغتنام فرصة مواتية لأخذ صورة له لدى اقترابه، مستغلة المرآة التي تعكس وجهه، ويمكنها التقاط الصورة أو الصور وهي جالسة خلف مقود سيارتها دون أن يلحظ رأفت ذلك، وخاصة أن اهتمامه ونظراته منصبان نحو عيادتها في الجانب الآخر.

استلّت شكرية آلة التصوير من حقيبتها، وركزت مرآتها بالشكل الذي يتناسب مع تحركه حتى أصبحت رؤيته جلية في المرآة، فالتقطت له عدداً من الصور حتى أصبح قاب قوسين أو أدنى من سيارتها، حينها أقلعت عن

التصوير وانتظرته حتى تجاوز سيارتها ووقف قبالة عيادتها، في تلك اللحظة شاهدت وصول لمياء الموظفة بعيادتها وبدأت فتح العيادة، فذكّرها ذلك بمسؤوليتها تجاه مرضاها الذين سيتوافدون مع بدء الدوام، فوجدت نفسها تغادر المكان بسيارتها نحو مرآب دارتها القائم في الحديقة الخلفية للدارة، وهبطت من السيارة واجتازت الممر السري الذي يربط المرآب بغرفتها السرية، فوصلتها ووضعت فيها ماجلبته من صندوق بريد نازك، واستبدلت الملابس التنكرية التي كانت ترتديها بملابس العمل، وأسرعت ووصلت إلى العيادة، واستقبلتها لمياء ومن كان من المرضى في العيادة، ثم دخلت غرفتها التي تستقبل فيها مرضاها، واتجهت فور دخولها نحو النافذة المطلة على الشارع وبحثت بنظرها عن رأفت في المكان الذي تركته فيه، فوجدته مازال يرقب باب العيادة دون كلل، وهي ترقبه كلما سنحت لها الفرصة بانتقالها نحو النافذة بعد انتهائها من فحص مراجع ودخول مراجع آخر.

وعند الساعة الحادية عشرة وبعد خروج المراجع انتقلت إلى النافذة ونظرت عبرها فلم تجد رأفة، وبحثت بنظرها في زوايا الشارع ومداخل الأبنية المجاورة فلم تجده، حينها شعرت برعشة الخوف من أن يكون قد دخل عيادتها أو تجاوز ذلك إلى داخل دارتها، وفاجأت لمياء ومراجعي عيادتها بخروجها وهي تحمل حقيبتها نحو دارتها وهي تدعو لمياء لانتظارها بضع دقائق. وما إن دخلت دارتها حتى استلت مسدسها من الحقيبة وبدأت البحث في أركان الدارة، ولما لم تجد أحداً خرجت من الدارة إلى الشارع بعد أن أخفت المسدس في حقيبتها، وجالت ببصرها عبر الشارع إلى مكان

وقوف سيارة رأفة في أول الشارع، فنما لم تجدها عرفت بأنه غادر، وعندما عادت شكرية إلى العيادة لاستئناف عملها كان نظر لمياء يلاحق حركاتها ويراودها الشعور بأن شكرية الطبيبة يلزمها طبيب، للنظر في حالتها المتوترة وغير المستقرة، بينما استمرت شكرية بمعالجة مرضاها دون أن تأبه بنظرات لمياء المتسائلة... حتى فرغت من آخر مرضاها، وعندما كانت تهم بمغادرة عيادتها سمعت من يسأل لمياء عنها في غرفة الانتظار، فأطلت برأسها لتجد هياماً فتاة نسيم، وعرفت بأنها جاءت لزيارتها، وحدث بين المرأتين عناق وقبلات ثم غادرتا العيادة، وكانت هيام أول زائرة تزور شكرية في دارتها، فاستغلت الاثنتان تلك الزيارة، فبينما كانت هيام تود معرفة مستقبلها مع نسيم من خلال رؤية فنجانها من قبل شكرية، كانت شكرية تبحث في ثنايا زائرتها عن أمور تود معرفتها عن نسيم وابنته. واكتشفت من خلال تركيزها بأن هياماً تحلم بالزواج من نسيم الذي لايشاطرها هذا الحلم، فكل مايريده منها يحصل عليه مادامت تجد في ثرائه مبتغاها، وهو واثق بأنها لن تغادره مادام يلبي رغباتها، ونالت شكرية أيضاً مبتغاها من زيارة هيام لها، وعثرت على صورة لها في حقيبتها عندما طلبت هيام من شكرية استعمال بيت الخلاء تاركة حقيبة يدها في الصالون، وما إن غادرتها بعد انتهاء الزيارة حتى وجدت شكرية طريقها إلى السوق، لتحميض الصور التي أخذتها في غمرة نشاطها لهذا اليوم لرأفة، الرجل الذي أقلقها إلحاحه في مراقبتها، وبذلك تكون قد وضعت قدمها على الطريق الذي خطّته لمواجهة مايخبأ لها. ولكن أعصابها المشدودة وقلقها الدائم وخوفها من الغد لم تترك

لها الراحة التي تنشدها، وبقيت في غرفتها السرية تندب حظها العاثر، ثم استلّت صورة زوجها المغتال عصام تسأله أن يأتيها بأي صفة كي ينهي وحدتها القاتلة، وبكت بحسرة.. في تلك الأثناء سمعت دقات الساعة الاثنتي عشرة فعرفت بأن أرقها قد تجاوز الحدود، وأن الليل قد تجاوز منتصفه، حينها أقبلت على تناول حبة منوّم لكي تنال قسطاً من النوم، لمواجهة الغد المتخم بالأعباء، وخاصة أنه لم يبق أمامها سوى يومين للقاء نورة ووالدها نسيم في عيادتها في الموعد المضروب لعلاج نورة، التي سبب قبول علاجها كل هذا الأرق.

صحت شكرية في الصباح على صوت رنين الهاتف، وكانت المتكلمة لمياء الموظفة في عيادتها تذكّرها بدوام العيادة وانتظار المراجعين لها، فردت شكرية – التي نظرت إلى ساعتها وعرفت بأنها صحت متأخرة قليلاً – بصوت أجش معتذرة وداعية لمياء بالتصرف لعدم قدرتها على مزاولة العمل خلال هذا اليوم. ولما كان اليوم هو الخميس فقد رأت أن حاجتها ملحة للتفرغ، والعمل على ملاحقة الأسباب الحقيقية لمرض نورة التي فرّغت لها يوم السبت. وبعد أن وضعت الهاتف بقليل قامت متثاقلة من سريرها وبدأت بالبحث بين الصور عن صورة لنورة، ثم أخذت قائمة تنقلات نورة التي حصلت عليها من نسيم داخل وخارج البلاد، ووجدت أن مفتاح بحثها يبدأ بآخر رحلة لنورة إلى الخارج، فركزت على صورة نورة وحددت تاريخ تلك الرحلة، وظهر لها أن نورة كانت برفقة شاب والطرحة على رأسها، وهي تغادر بيت والدها مودعة من الأهل الذين يهنئون العروسين ويتمنون لهما

شهر عسل ميمون، وتساءلت هل بدأت بحل اللغز؟ وإلا فلماذا أخفى نسيم بنفسه زواج ابنته. ورافقت شكرية العروسين إلى السيارة التي أقلّتهما إلى المطار وكان يقودها نسيم بنفسه، وعند هبوطهم من السيارة حمل سهيل زوج نورة حقيبة سوداء صغيرة في يده، بينما حضر أحد العاملين في المطار وحمل حقيبة كبيرة كانت في صندوق السيارة الخلفي، ولفت نظر شكرية عندما جال في أرجاء المطار رجل في إحدى الزوايا يلاحق بنظراته العروسين، كما لاحظت رجلاً آخر قرب مدخل الصالة يلاحق أيضاً بنظراته العروسين، وبعد تجاوز العروسين مدخل الصالة استل هاتفاً نقالاً وتكلم للحظة ثم تبعهم داخل الصالة حتى وصولهم إلى كوة المغادرة، وشاهدت سهيلاً يفتح حقيبته السوداء ويخرج الأوراق والجوازات الخاصة ولم يلفت نظر شكرية أي شيء غير عادي، وشاهدت صعود العروسين إلى الطائرة وهما يتبادلان التلويح بالأيدي مع المودعين على أرض المطار، ثم شاهدت مغادرة الطائرة التي تقل العروسين بسلام، ثم قامت شكرية بتسريع الوقت وشاهدت وصول طائرة العروسين إلى مطار مدريد، وشاهدت أيضاً انتقالهما إلى منتجع خارج المدينة، أقلتهما إليه سيارة بيضاء، كانت تنتظرهما في أرض المطار، وكان في استقبالهما في المنتجع رجلان وامرأتان، وكان مظهرهم يدل على أنهم عمال مقيمون لخدمة نزلاء المنتجع، الذي كان في غاية الروعة ببنائه وحدائقه، وكان لتعامل العاملين مع نورة ودخولها المنتجع دون دليل وصعودها السلم الواصل إلى غرف النوم ودخولها إحدى الغرف قد أكد إقامتها فيه قبل الآن، وعزز شكوكها أدراج الخزائن التي فتحتها فقد كانت تعج بألبسة تخص نورة، ثم

تبعها زوجها سهيل والابتسامة المشرقة على وجه العروسين وأغلق الباب دونه، ثم قامت بتسريع الوقت لثلاثة أيام متوالية حتى كان اليوم الرابع ليلاً وقد تجاوزت عقارب الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، حينما انسل سهيل من الفراش بعد أن تأكد من عمق نوم نورة، وخرج من الغرفة متوخياً الحذر الشديد وهو يلتقط أقدامه التقاطاً، وفي تلك اللحظة أفاقت نورة على صوت إغلاق الباب، فانسلت هي أيضاً من السرير وفتحت باب غرفة النوم بهدوء وأطلت برأسها خارجة نحو الممر، ولما لم تجده خرجت من غرفتها وسارت بضع خطوات في الممر حين سمعت كلاماً خافتاً، وما إن وصلت إلى نهاية الممر حتى جلست القرفصاء، واقتربت من إفريز السلم وجالت ببصرها وهي تسمع الصوت دون أن تفهم الكلام أو ترى أحداً، وبعد لحظات انقطع الكلام وشاهدت زوجها يسير نحو السلم. حينها قفزت من مكانها ودخلت غرفة النوم واستلقت على السرير وتعمدت أن يكون باب الغرفة تحت بصرها، وبعد لحظات سمعت صوت صرير الباب وشاهدت دخول زوجها ونظره نحوها، ثم أغلق الباب بهدوء شديد، ثم استدار واتجه نحو خزانة ملابسها وفتح باب الخزانة، وشاهدت حقيبة يدها في يده يضعها في الخزانة ويغلق الباب، ثم يعود ويدخل الفراش بجانبها، وبعد أن استقر قام بحركات اطمأن على أثرها على أن نورة مازالت نائمة، ثم أدار ظهره إليها وغفا.

شاهدته شكرية قلق نورة عندما بدأ سهيل يتنحنح في الصباح، وقد مد يده ليتحسس وجود نورة بجانبه على السرير، فوجدت منها التأفف الموقت ثم طاوعته وكأنها ترغب في مطاوعته والسير في الطريق الذي

اختطه، لتتعرف دون ضجة على ماكان يفعله زوجها في الليل، ثم قامت شكرية بتسريع الوقت حتى غادر العروسان السرير، فبينما كان سهيل يغادر الغرفة طلب من زوجته مرافقته إلى الحمام، فاعتذرت بدلع وابتسامة ناعمة، وما إن خرج من الغرفة حتى تبعته نورة وشاهدت دخوله الحمام، الذي يبعد عن الغرفة بضعة أمتار، وبقيت حتى سمعت خرير الماء من صنبور الدش فعرفت بأن زوجها بدأ يستحم، فعادت إلى غرفتها واستلت حقيبة يدها وقامت بتفتيشها وشعرت بأن الوقت بدأ ينفد، وهي لم تجد شيئاً غير عادي سوى الفوضى في ترتيب محتويات الحقيبة، فأغلقتها وبدأت تتفحصها من الخارج، وأخذت شكوكها تنصب نحو تبديل الحقيبة برمتها، فتذكرت أن لحقيبتها مثيلاً لها عند بائع الحقائب، التي تم شراؤها من عنده أول من أمس من سوق مدريد، وتذكرت كيف كان لزوجها رغبته باقتنائها بحجة أنها تناسب ماترتديه، عندها أعادت الحقيبة إلى درج الخزانة قبل عودة زوجها من الحمام، وارتدت لباس الجلوس فوق لباس النوم واتجهت نحو الشرفة، وجلست فيها وهي تبحث عن تفسير يشمل واقعها برمته، وبدأت شكوكها تتصاعد لتصل إلى أن زواجه لم يكن من أجلها بل من أجل استخدامها، وتساءلت: إن كانت حقيبتها السابقة هي الهدف أم أن حقيبتها الجديدة هي المستهدفة، وحتى تتأكد يجب أن تفعل شيئاً.. فكرت قليلاً ثم انفرجت أسارير وجهها وهذا يعني أنها اتجهت نحو إيجاد حل. في تلك اللحظة دخل سهيل غرفة النوم وهو يبحث بنظره نحوها، وسمعها تطلب منه ارتداء لباس يقيه برد الشرفة ويأتي إليها، فلبّى سهيل طلبها وانضم إليها.

حينها قامت شكرية بتسريع الوقت، وما إن حانت الساعة الرابعة بعد الظهر حتى شاهدتهما يخرجان من المنتجع، ترتـدي نـورة لباسـاً لـه حقيبته الخاصة، وشاهدتها تسرع وتصل السيارة قبل زوجها، ثـم تدخلهـا وتجلس خلف مقودها وهي تضحك قائلة إنها الآن بصدد أخذه إلى مطعـم أعجبهـا أول أمـس عنـد مرورهـم بالسـوق، وسـارعت شـكرية الوقـت وشـاهدت وصول السيارة إلى سوق تكثر فيه المحلات الراقية، وشاهدتها تقف بسيارتها في موقف مخصص للسيارات، وتهبط من السيارة داعية زوجها إلى مرافقتهـا داخل السوق، فلبى دعوتها وسارا على أقدامهما وشاهدت نظراتها تنصـب نحو مخزن لبيع الحقائب الجلدية، ثم دخلت مطعما قبالته، ثم صعـدت سـلماً داخـل المطعـم فتبعهـا زوجهـا، وانـزوت علـى طاولـة بعيـدة عــن الأعـين، وشاهدتهما يـأكلان طعامـاً طلبتـه نـورة، ثـم قـامت بإطعـام زوجهـا بضـع لقيمات، وما إن انتهوا من الطعام حتى شاهدت سهيلاً يتلـوى ويضـع يـده على معدته، وشاهدت نورة تهتم وتبحث عـن النـادل وتطلـب منـه إيصـال زوجها إلى دورة المياه، وبعد خـروج زوجهـا مـع النـادل بلحظـات تركـت نورة المطعم واتجهت مسرعة إلى مخزن بيع الحقائب الجلدية، وفـور وصولهـا أشارت إلى حقيبة ضمن واجهة المخزن، فعرفت شكرية بأن نورة تود شراء حقيبة طبـق الأصـل عـن حقيبتهـا في المنتجـع، والـتي تم اسـتبدالها حسـب اعتقادها خلال ليلة أمس، ثم شاهدتها تأخذ الحقيبة من البائع بعد أن لفت جيداً، وتسرع نحو سيارتها وتضع الحقيبة في صندوق السيارة وتعود مسرعة إلى مكانها في المطعم، كل ذلك حصل قبل عـودة زوجهـا مـن دورة الميـاه،

وشاهدته يعود ويسأل نورة هل حصل لها ماحصل له؟ وشككك بالطعام، فردت نورة وعزت ذلك إلى حمامه الصباحي وامتدحت الطعام، وهنا أعادت شكرية الوقت إلى الوراء قليلاً حينما كانت نورة تقوم بتلقيم زوجها، فشاهدتها تضع مايشبه الملح بلونه في وعائها قبل التلقيم، ثم حركت المزيج وأطعمت زوجها، حينها عرفت شكرية بأن نورة ترغب بشراء حقيبة تشبه حقيبتها لأمر في نفسها دون أن يعلم سهيل بذلك، وكانت بحاجة إلى الوقت اللازم وقد حصلت عليه، ولم يمض ربع ساعة بعد عودة سهيل من دورة المياه حتى طلب من زوجته العودة إلى المنتجع فمعدته مازالت مضطربة، وهي تنظر إلى وجهه الذي يفسر ذلك.

عادت نورة إلى المنتجع وهي تقود السيارة وبقربها زوجها يتلوى حتى وصلا إلى المنتجع، وما إن وصلت السيارة إلى سلم المنتجع حتى قفز سهيل معتذراً من زوجته لحاجته القصوى إلى دورة مياه، وما إن دخل سهيل المنتجع حتى هبطت نورة من السيارة وفتحت صندوقها الخلفي وأخذت اللفافة التي بداخلها الحقيبة ونظراتها تجوب الأنحاء، ثم صعدت سلم المنتجع مسرعة ودخلت غرفة نومها واستلت الحقيبة التي في درج خزانتها وأفرغت محتواها في الحقيبة الجديدة التي أدخلتها الخزانة، وأخذت الحقيبة القديمة وهي تبحث عن مكان لإخفائها، حين سمعت صوت أقدام في الخارج فدستها في السرير، وبعد لحظات دخل زوجها فرآها تنظر من النافذة، فاستدارت وسألته بلهفة وحنان ظاهر عن حالته، وكان رده الإيجابي قد دفعها إلى سؤاله إن كان قادراً على زيارة المرتفع القريب

برفقتها، فهي تود رؤية الشمس وهي تختفي عند الغروب، فأبدى بتململ موافقة مشروطة بالعودة بعد أن يهبط الظلام قائلاً: يجب أن آوي إلى السرير مبكراً. ثم اقترحت عليه دخول دورة المياه وأنها ستنتظره في السيارة، فراقت لسهيل الفكرة، وما إن خرج من الغرفة حتى أسرعت نورة وأخرجت الحقيبة ولفتها بلفافة الحقيبة التي جلبتها، وخرجت مسرعة إلى خارج المنتجع نحو السيارة ووضعت اللفافة في صندوقها الخلفي، ثم دخلت السيارة منتظرة وصول سهيل الذي وصل، وانطلقت بهما السيارة خارجة من المنتجع نحو طريق يوصلهما إلى قمة المرتفع الذي لايبعد سوى بضعة كيلومترات، وما إن وصلت السيارة إلى قمته وتوقفت قرب الطريق حتى خرجا معاً يتنشّقان هواء الجبل العليل، وهما يشاهدان الشمس وأشعتها التي تختفي، وبقيا بعض الوقت ثم بدأ يختفي نور الشمس وبدأت تظهر عتمة الليل، حينها دعاها سهيل إلى العودة فأظهرت له موافقتها بعد أن تختلي إلى نفسها قليلاً، فجال سهيل ببصره الأنحاء ليطمئنَ إلى خلو المكان إيذاناً بقبوله.

شاهدت شكرية نورة تقوم من مقامها وتتجه نحو السيارة، ثم تخرج اللفافة التي بها الحقيبة بهدوء ودون ضجة وتبحث في الجوار عن حفرة تستوعبها، فوجدت فجوة بين صخرتين فأدخلتها ثم وارت عليها بعض الحجارة والتراب حتى اختفت، ثم أخرجت من حقيبتها قلم أحمر الشفاه ووضعت علامة على الصخرة، ثم عادت إلى السيارة وأطلقت زمورها معلنة انتهاء خلوتها، وشاهدت سهيلاً يقبل نحو السيارة ويمتطيها، ونورة تتخلى عن قيادتها تاركة لزوجها القيادة لتنأى بنفسها وتتساءل، هل مافعلته كان

صواباً أو أنها كانت تتوهم الأمور، حتى سمعت صوت هدير السيارة وقد توقف، وصوت زوجها يدعوها للهبوط.

قطعت شكرية التركيز ونظرت إلى ساعتها فوجدتها قد تجاوزت الثانية عشرة ظهراً، فقررت تناول فطورها والعودة لملاحقة الأحداث، فقد امتزج شوقها لمعرفتها مع رغبتها بالخروج من مأزق ملاحقتهم لها.

عادت شكرية إلى غرفتها السرية وبدأت مرة أخرى بالتركيز على صورة نورة لمتابعة الأحداث. بعد وصول نورة وزوجها إلى المنتجع من الجبل أخذت بتسريع الوقت فلم تجد شيئاً يلفت النظر، حتى كان عصر اليوم السادس عندما كانا يتناولان طعام الغداء في حديقة المنتجع، حيث سمعته يطلب من زوجته نورة تحضير نفسها لزيارة معرض الجواهر النادرة الذي سيفتتح أبوابه الساعة السادسة مساء، ورد نورة الإيجابي دون تفكير أقنع شكرية بأن تلك الزيارة موضوعة ببرنامج شهر العسل، فاستمرت بتسريع الوقت حتى أزف موعد الزيارة، وشاهدت دخولهما المعرض الذي كان محروساً جيداً، وقد بثت آلات التصوير بجميع أركانه وأجهزة كشف الألبسة وحقائب الزوار عند الدخول، ومرت نورة بحقيبتها بأمان، وبدخولها ظهرت علائم النصر على وجه سهيل، باعتبار أن الحقيبة تجاوزت مرحلة الخطر بتجاوزها مدخل المعرض حيث الأجهزة القادرة على الكشف، وكانت نورة تلاحق بنظرها تفاعل وجه زوجها في ملاحقته الحقيبة المعلقة على كتفها بنظراته، حتى وصلا مع عدد لايستهان به من المهتمين إلى بهو صفت بالقرب من جدرانه وفي وسطه طاولات من المرمر، تحمل أجمل

المجوهرات في أوان زجاجية مثبتة، وبجانب كل آنية قطعة من المرمر بلونها البرونزي مدون عليها معلومات وافية، وبعد كل نقلة قدم تجد ما أبدع الخالق بما خلق والصانع بما صنع حتى وصلوا إلى قاعة وسط البناء مستديرة الشكل، وفي وسطها طاولة مستديرة صفت عليها أجمل ماظهر من جواهر عبر العصور، وجالت شكرية ببصرها باحثة عن حراس فلم تجد. وتساءلت دون أن تصل إلى جواب عن الطريقة المتبعة لحراستها، فقد كان الجميع يسيرون بتؤدة ونظراتهم مثبتة على ماحولهم من مجوهرات ويقرؤون مادون من معلومات عن حياة كل جوهرة حتى وصلوا إلى ممر من الألياف للدخول عبره، وهو ملتف حول أكبر جوهرة في القاعة، وقبل دخول الممر يضع كل زائر مايحمله من حقائب مهما كان نوعها على طاولة وضعت خصيصاً لذلك، يأخذها صاحبها بعد خروجه من ممر الألياف، فاتبعت نورة التعليمات ووضعت حقيبتها على الطاولة وبدأت بدخول الممر، حينها قررت شكرية ملاحقة الحقيبة وترك ملاحقة نورة، وبعد أن استكمل الطابور دخوله في ممر الألياف هبطت امرأة سلماً مجاوراً وأخذت حقيبة نورة، حينها اقترب سهيل الذي كان يراقب حقيبة نورة وأخرج من كيس نايلون كان يحمله حقيبة طبق الأصل عن حقيبة نورة ووضعها مكانها، في تلك اللحظة كانت المرأة تغادر القاعة وتصعد السلم داخل المبنى مستخدمة جهازاً لفتح الباب الذي قابلها في آخر السلم -مما يعني أنها من العاملين داخل المبنى- يفضي إلى ممر فيه مجموعة من الأبواب، فدخلت أحدها وكانت دورة مياه، وبعد أن اطمأنت داخل الحجرة قلبت الحقيبة رأساً على

عقب بعد أن أخرجت من جيبهـا مايشبه الدبوس ولكنـه برأسين وبـدأت تبحث عن ثقوب، وزاد اهتمامها وانكماش وجههـا في كـل ثانيـة تمـر، ثـم قامت بفحص الحقيبة من وجوه أخري، بعد ذلـك أنزلـت يدهـا الـتي تحمـل الحقيبـة، فقـد دب اليأس في أوصالها وعرفـت بأنهـا خدعـت، فـأصلحت ماتضرر من هندامها وخرجت لتدخل باباً آخـر في الممـر، يفضـي إلى قاعـة ملأى بالأجهزة، فعرفت شكرية بأن تلك الأجهزة هي العين السـاهرة علـى مقتنيات المعرض، وأن المرأة عاملة، وتساءلت لماذا لاتدخل مأتود إدخالـه في حقيبتها هي؟ وما هذا الشيء؟ وما الحاجة أو الغاية من إدخاله؟ فهذه الأمور تود أن تعرفها شكرية، ولكن ماتود أن تصل إليه هـو اكتمـال حلقـة نـورة، والتعرف إلى ماحصل معها لتتمكن من مواجهة واقعها مع والد نورة.

قطعت شكرية التركيز ونظرت إلى ساعتها وكـانت تشـير إلى حـوالي الساعة الثالثة عصراً، فرأت نفسها تعود إلى التركيز علـى نـورة ومتابعـة شـهر عسلها، فرأتها أمام ماسة كبيرة داخل ممر الألياف في المعرض متسمرة الأعـين بدهشة وانبهار، ثم تقدمت أمام ضغط الحشود التي تتبعها لتفضي إلى آخر ممر الألياف، فتجد نفسها مرة أخرى أمام طاولة الحقائب فتستل حقيبتهـا وتنظـر إلى زوجها قائلة: أود الخروج من هنا فقد مللت التوقف والسير البطـيء وراء تلك الحشود، فلبى زوجها طلبها على الفور باعتبار أنه قد تم تنفيذ ماجاء مـن أجل تنفيذه، وأصبح ماكان يود إدخاله إلى داخل المعرض قد تم.

خرجت نورة من المعرض مسرعة نحو سيارتهما المتوقفـة عنـد إفريـز المعرض، وفتحت بابها يتبعها زوجها الذي وصل بعدها بثوان ليجدهـا وقـد

فتحت حقيبتها وأخرجت منها أحمر الشفاه، وهي تنظر في المرآة المثبتة فوق زجاج السيارة على زوجها القابع أمامها، وهي تسأل نفسها ماعمل هذا الرجل الذي أمامها؟ ماذا يبغي من إيصال الحقيبة؟ وما الشيء الهام في الحقيبة؟ وما مصير علاقتنا فقد أحببت معاشرته وأتمنى أن أكشف نواياه، هل سأبقى زوجته أو أن زواجي به مرتبط بتنفيذ المهمة؟ ماذا سيحدث بعد كشفهم إخفاق المهمة؟ مادور والدي بكل مايجري؟ قطع تفكيرها صوت سهيل الذي سألها ألم تنته من زينتها.. فإما أن تقود السيارة أو تتنحى جانباً لكي يقودها، فهو يود العودة إلى المنتجع، أعادت نورة أحمر الشفاه إلى الحقيبة التي كانت عينا سهيل منصبة عليها، وأخرجت مفتاح السيارة وهي تسأل نفسها: هل كل حقيبة فيها نفس الأشياء حتى مفتاح السيارة، وبدأ الخوف يتسرب إلى نفسها، فالتخطيط دقيق والمخطط قد حسبها جيداً.. فما مصير مَن يقف في طريقهم؟ مامصيرها بعد كشفهم تبديل الحقيبة.. ثم التفتت نحو سهيل ولسان حالها يقول: مامصيرك يامسكين قد تكون الضحية. ثم حركت مفتاح السيارة وهي تمني النفس بأن تختفي معه وبين ذراعيه بعيدة عن تناول تلك الأذرع الخفية.

وصلت السيارة إلى المنتجع، ومما لفت نظرها رؤيتها سيارة سوداء تتحرك باتجاههما فور توقفها، وما إن هبط سهيل من السيارة حتى تلقفته أيد خرجت من السيارة السوداء وأدخلته داخلها وانطلقت به، ونظرت نورة تبحث عمن تعرفه داخل السيارة وراحت تدقق في لون ورقم السيارة التي اختفت أمام ناظريها ضامة رجلها الذي أوقعته بين حبائلهم. ثم شعرت

بانقباض شديد ظهر على وجهها، ثم بدأت أدمعها تنساب على خديهـا ثـم أجهشـت بالبكـاء، ودخلـت المنتجـع مسـرعة حتـى لايـرى دموعهـا أحـد، ودخلت غرفة نومها تجوبها ذهاباً وإياباً وهي تبحث عن وسيلة ما تنقذ فيها سهيلاً، وساقها تفكيرها للحث بين أمتعته عن أي شـيء تعـرف مـن خلالـه أحداً يعرفه في بلاد الغربة، أو عنواناً تجد مـن خلالـه الخـروج مـن مأزقهـا.. وجاست بين أمتعته وحقائبه بحثاً وتفتيشاً، ووقفت علـى كثـير مـن الأسـرار التي لا تعرفها عنه، ومن ضمنها عنوان لاسم طارق المنير في بطاقة معنونة في مدريد بعبارات ودية استهوتها، وشعرت بالراحـة عندمـا رأت رقـم هـاتف عليها، وما إن بدأت بإعادة مابحثت فيه حتى سمعت صوت أقـدام بالخـارج، فقفـزت مـن مكانهـا واتجهـت نحـو البـاب والخـوف قـد تملكهـا، وشـعرت بالضعف والهوان وهي تسأل عن الطارق، فسمعت صوت امرأة من الخـارج تدعوها لتناول العشاء، فعرفت بأنها عاملة المطبخ في المنتجـع، فـردت نـورة مـن خلـف البـاب دون أن تفتحـه بأنهـا لا تريـد، فهـي ليسـت جائعـة. وتساءلت: ما الذي دفع العاملـة إلى الحضـور بينمـا العـادة ليسـت كذلـك، وأخذت الهواجس تنتابها. وبعد أن حركـت المزلاج وأقفلـت بـاب غرفتهـا اقتربت من النافذة ونظرت منها وتراءت لها الأشباح تقفز مـن خـلال الليـل باتجاه المنتجع، فأغلقت جميـع منـافذ غرفتهـا ثـم أسـدلت السـتائر، ولم تجـد مايربطها بالخارج سوى الهاتف حين بدأت باستخدامه للاتصال، غير أنها لم تجد من تتصل به سوى والدها، لكن باءت محاولاتها بالفشل، وسبب ذلـك لها العودة للبكاء مرة أخرى، ثم نظرت إلى رقم هاتف طارق المنير، ومـا إن

بدأت بتحريك قرص الهاتف حتى توارد إلى ذهنها الخطر الذي ستسببه له، وخوفها من فقدان الأمل الأخير في بلاد الغربة، فقررت مغادرة المنتجع والالتقاء بطارق وجهاً لوجه، ولما كان خوفها من الليل قد منعها من مبارحة المنتجع فقد وجدت في الصباح المنقذ المرتجى.

قطعت شكرية التركيز ونظرت إلى ساعتها فوجدتها تشير إلى السادسة إلا ثلثاً، فرأت بأن الوقت مازال بجانبها وتساءلت: لماذا لا تلاحق سهيلاً ومن اختطفه وتترك نورة مؤقتاً رغم اقتناعها بأن ماتعانيه متعلق بنورة، فركزت مرة أخرى على صورة نورة وعادت إلى ساعة وصول نورة وزوجها إلى المنتجع، واستعادت رؤية السيارة السوداء ورؤية سهيل وقد اختطفته أيادٍ خرجت منها، فتبعت شكرية تلك السيارة التي كانت تنهب الأرض بسرعتها، وشاهدت سهيلاً بداخلها وقد أذهلته المفاجأة دون أن يتكلم، فقد كان الصمت المطبق سائداً، ونظرات سهيل تجوب الأنحاء ووجوه مرافقيه حتى أخرج أحد المرافقين عصابة سوداء، وربطها على أعين سهيل. وبعدها انعطفت السيارة باتجاه مدينة مدريد ثم خرجت عن الطريق الرئيسي إلى طريق فرعي وسارت به بضع دقائق، ثم دخلت حديقة مبنى من عدة طوابق لتهبط طريق أسفل المبنى، ثم يهبط من السيارة خمسة رجال أحدهم معصوب العينين، ويدخلون مصعداً قريباً، ويتوقف المصعد أمام الرقم ثلاثة، ويدخلون ممراً يسيرون حتى آخره إلى باب يجري نقره من أحد المرافقين، فيفتح باب صغير في أعلاه، ويطل منه رأس رجل، حينها يفتح الباب ويدخل سهيل واثنان من مرافقيه إلى داخل الغرفة التي كان فيها

رجلان وامرأة. قال أحدهم انزعوا العصابة وفتشوه جيداً، ثم طلب منه الجلوس وسرد كيفية تنفيذه للتعليمات، وما إن وصل إلى نهاية سرده حتى أعلموه باختفاء الحقيبة المراد إيصالها، وبسبب ذلك أخفقت عملية بذل من أجلها كثير من الوقت والجهد والمال، وأنت المسبب الأول لإخفاقها، فلو وصلت الحقيبة لجانيت لكانت الآن قد فعلت فعلتها، أبدى سهيل شكوكه، وأصر على أن نورة كانت تحمل الحقيبة التي زودها بها، ورجاهم التأكد من ذلك. حينها أخرج الرجل الحقيبة قائلاً، افحص تلك الحقيبة، وأعطني رأيك بصراحة، وما إن وضعت الحقيبة بين يدي سهيل حتى قال وهو يفتح قفلها: لا إن هذه الحقيبة ليست حقيبة نورة، فقد وضعت علامة على قفلها بحكه بآلة حادة، وهي ليست على هذا القفل الذي يعد جديداً جداً. حينها نظر السائل نحو جانيت التي قالت: إن إخراج الحقيبة من المعرض كاد أن يكلفني عملي حتى تكون الدليل بين أيديكم، وأكون بمنأى عن الاتهام، ولو كان التفتيش بالخروج يجري كما يجري بالدخول لكنت مضطرة إلى أن أتلف الحقيبة قبل زوال ذلك اليوم، وفهمت شكرية من الحديث المسهب لجانيت بأن العاملين في المعرض الذي يملكه خمسة من الرجال الأثرياء يخضعون لتفتيش لاتمسه الأيدي، فقد يقوم العاملون فرادى، النساء منهم والرجال بنزع ألبستهم في مكان ويتجاوزونه دون ملابس إلى غرفة يقوم الكمبيوتر بالتأكد من أن العامل لايخفي شيئاً، ثم يتجاوزونها إلى غرفة ثالثة ليرتدوا ألبسة معدة من قبل المعرض، وأن هبوطها من مكان عملها للحصول على حقيبة نورة قد كلفها تعطيلاً موقتاً لأحد الأجهزة الداخلية، وأن مافي

الحقيبة شريط بأسفل الحقيبة مقفل عليه بشكل متقن، فما إن يوضع داخل الكمبيوتر حتى يساهم لمدة لا تزيد على عشرين ثانية بتكرار الحالة الأمنية السائدة، والفضل يعود إلى جانيت العاملة عليه، في تلك اللحظات تكون جوهرة القاعة قد اختفت، وأن ثمن من يقبض عليه وبحوزته الشريط عند دخوله المعرض هو حياته، وأن من شروط حامل الشريط أن يكون غافلاً عما يحمل، وليست له علاقة أو ارتباطات بالبلد من أي نوع، لأن نسبة نجاح إدخال الشريط مع مساعدة جانيت لاتتجاوز العشرين بالمئة.

قطعت شكرية التركيز ونظرت إلى ساعتها فوجدتها التاسعة وعشر دقائق وهي تفكر بأحداث مرّ عليها سنون، والحزن قد تملكها وهي تسأل سهيلاً هذا كيف يضحي بنورة، وهو عالم بنسبة النجاح.. ثم قامت من مقامها واتجهت إلى مطبخ دارتها تبحث عن طعام يسند معدتها، ورغبتها الجامحة تدفعها للعودة إلى غرفتها السرية لملاحقة ورؤية نورة وما حصل لها، وكيف وصلت إلى ماوصلت إليه.

عادت شكرية إلى غرفتها السرية ونظرت إلى ساعتها فوجدتها العاشرة والنصف، ثم جلست في سريرها وركزت على صورة نورة فوجدتها في غرفتها بالمنتجع وهي تنصت لكل حركة وسكون تصدر من الخارج، وقد تملكها الخوف دون أن تنزع شيئاً من ألبستها، عندها بدأت شكرية بتسريع الوقت وما إن تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل حتى سمعت نورة صوت سيارة تدخل المنتجع فأسرعت نحو الشرفة المطلة على الطريق، وشاهدت نفس السيارة السوداء التي أخذت زوجها وقد توقفت أمام

المنتجع، وخرجه منها خمسة رجال وصعدوا سلم المنتجع، فهرعت نورة وحملت حذاءها بيدها وفتحت باب غرفتها بهدوء، ثم خرجت وأغلقته خلفها وسارت في ممر يفضي إلى سلم فصعدته حتى وصلت إلى منتصفه، فعضت حذاءها بأسنانها وتمسكت بحاجز السلم (الدرابزين) وهبطت لتستقر عند أسفله أمام دهشة واستغراب شكرية التي وجدت بأن نورة تعرف المنتجع قطعة قطعة، ثم شاهدت شكرية وصول الرجال بما فيهم سهيل، الذي دخل غرفة نورة أولاً فوجد بابها مفتوحاً، فتجاوزه وأضاء نور الغرفة وجال ببصره فوجد الغرفة كما تركوها، ولو لم يجد حقيبة نورة على السرير لظن بأن نورة لم تدخلها، ولكنه خمن بأن نورة قد دخلت الغرفة وخرجت على عجل، وبحث مرافقوه بأركان الغرفة عن نورة، بينما كان سهيل يدقق في قفل الحقيبة، فأخذها منه أحد المرافقين وأفرغ ما بداخلها على السرير ثم قذفها بعيداً وهو يقول: أين اختفت الحقيبة؟ ومن أين جاءت تلك الحقيبة الملعونة إلى المعرض.. ثم شاهدت شكرية دخول عمال المنتجع الأربعة، وقد أجابوا عن أسئلة الرجل مؤكدين بأن نورة في المنتجع و لم تغادره البتة، فأمرهم بالبحث عنها وإحضارها إليه، ثم التفت إلى مرافقيه وامرهم بالبقاء في السيارة مع سهيل حتى عودته.

أخذت شكرية بتسريع الوقت وشاهدت مغادرتهم المنتجع بعد يأسهم من إيجاد نورة وقد تجاوزت الساعة الثالثة صباحاً بقليل، وشاهدت نورة وقد خرجت من أسفل السلم شاحبة اللون يعتريها الخوف تحمل حذاءها بيدها وتهبط السلم على رؤوس أقدامها وتجتازه إلى الممر، وتدخل غرفتها

التي وجدتها مضاءة وبابها مفتوح، ثم أخرجت من درج خزانتها حقيبة يد أخرى، وبدأت تلتقط ماتناثر من محتويات حقيبتها التي لم تجدها، ودست فيها عنوان طارق بالإضافة إلى مبلغ جيد من المال كان بحوزتها، وخرجت من غرفتها وهبطت السلم نحو مدخل المنتجع تراقب أمكنة عمال المنتجع وهي مطمئنة بأن النوم قد داعب جفونهم واستسلموا له، واستمرت بسيرها نحو الباب الرئيسي للمنتجع، وقبل فتحه أطلت برأسها من النافذة القريبة من الباب فرأت رجلاً ينتظرها قرب سيارتها، وكان ذلك بمثابة إنذار لها فإن لم تغادر المنتجع الآن فلا تعلم المصير الذي ستؤول إليه، فقررت الإسراع بالمغادرة سالكة طريقاً كانت تسلكه وهي صغيرة يمر عبر المطبخ، وكان ذلك قد أمن لها الخروج من المنتجع سالمة. ولكن ما كان يؤرقها هو السير على الأقدام عبر التلال والأحراش للوصول إلى مدريد، وجدّت بالسير بطرق وأمكنة ليست غريبة عليها، ولكنها لم تعتد السير فيها ليلاً إلا مع الأصدقاء أو الأهل، وخوفها كان يدفعها لأن تستخدم كامل حواسها وتلتجئ إلى جذع شجرة أو ركن بستان عند كل صوت يهدر من حولها حتى خرجت من دائرة الخطر، ووصلت إلى طريق لو جدّت السير فيه لأمكنها الوصول إلى مدريد خلال ساعة، وبدأ الصبح ينبلج مما يسر لها التمييز بين السيارات العابرة، ثم جلست على جانب الطريق تتفحص أقدامها التي أدماها السير بين الحصا والأعشاب التي تكثر فيها الأشواك، ثم قامت متثاقلة تجدّ في السير حين سمعت هدير سيارة قادمة، فأطلت برأسها من بين الأشجار وكان هديرها ينبئ بأنها شاحنة، ولم يطل الوقت حتى

ظهرت فأظهرت نورة نفسها، وعند اقترابها أخذت نورة تشير بإصبعها والتردد ظاهر عليها، فاستجاب سائق الشاحنة وخفف من سرعة سيارته حتى توقف بالقرب منها، فدعاها يسألها إلى مدريد؟ ولما سمع جوابها فتح لها باب الشاحنة وأقلها وهو يقول وجهتي سوق الخضرة فاومأت برأسها موافقة.

قطعت شكرية التركيز وتساءلت هل نورة من تلك البلاد؟ إنها تتكلم لغتهم بطلاقة وكأنها نمت وترعرعت بينهم، ثم نظرت إلى ساعتها التي كانت تشير إلى الثانية عشرة ليلاً، فوجدت نفسها وقد أنهكتها ملاحقة نورة طوال يوم الخميس، وأدركت ضرورة النوم كي تتمكن من متابعة الموضوع واستئناف المتابعة غداً الجمعة، رغم خوفها من أن لايكفي اليوم المتبقي للإحاطة بالقضية برمتها، فمعركتها مع نسيم والد نورة ستحسم اعتباراً من السبت، وكل تأجيل ستدفع شكرية ثمنه.. فرأفة هذا العنيد يلح في مراقبتها وسيتمكن من الوصول إلى أسرارها وعندها لن تكون آمنة. ثم اندست في فراشها وهي تراجع أحداث الأمس حتى غفت.

صحت شكرية في الصباح مضطربة وخائفة، فقد اصبحت هدفاً محتملاً وسهلاً لفقدانها السرية والمبادأة، ثم أخرجت صورة رأفة بادئة بمن يراقب تحركاتها لتجده بسيارته قبالة عيادتها، فقالت بعصبية لنفسها ماهذا الرجل، ليس له عمل سواي، ألا لعنة الله على الساعة التي قبلت بها معالجة نورة، فقد فتحت على نفسي باباً أنا في غنى عنه... ثم خرجت من غرفتها السرية وتجاوزت الصالون إلى نافذة مطلة على الطريق، وأنعمت النظر في

السيارة المتوقفة قبالة عيادتها والتي يقبع بها رأفة تبحث عن حل، فتبادر إلى ذهنها المبادأة والتخطيط لقتله والتخلص منه هذا اليوم، فقد أصبح لايحتمل. حينها نظرت إلى ساعتها ورأت أن الوقت المتبقي ستصرفه في متابعة أحداث نورة التي تركتها بالأمس، ونظرها مازال على سيارة رأفة قائلة: ولكن إذا رأيت أنني لن أفلح في حل مشكلة نورة إلا بتصفية أمثالك فلن أتردد. ثم تركت النافذة، ودخلت مطبخها لتعمل في تحضير فطورها على أنغام موسيقى الصباح في الراديو.

أنهت شكرية فطورها وعادت إلى غرفتها السرية بعد أن مرت بطريق عودتها على النافذة المطلة على الشارع فرأت رأفة مازال يراقب دارتها، ثم عادت تبحث أمر نورة وماستفعله، ورأت أن تبدأ، ووضعت في اعتبارها اعتماد التسريع في الأحداث التي مرت بها نورة في بلاد الغربة، وركزت عليها وشاهدتها جالسة قرب سائق الشاحنة التي كانت تسير ببطء، وقامت شكرية بتسريع الوقت ورأت نورة تغادر الشاحنة، ثم شاهدتها تومئ إلى سيارة أجرة التي أقلتها إلى مكان إقامة طارق المنير، ورأت صعودها سلم بناء سكن طارق، وطرقها باباً في الدور الرابع، وظهور رجل في لباس النوم. وهنا بدأت شكرية تراقب الأحداث بسؤال نورة وهي تتكلم لغة بلادهم عن طارق المنير، فرد بأعين باحثة وتفكير جامع وبنفس اللغة بأنه طارق بشحمه ولحمه، وشاهد ابتسامتها عندما دعاها إلى الدخول، وانتظاره في الصالون ريثما يقوم بتغيير ملابسه، وكم كانت سعادتها كبيرة عندما حضر ومعه طعام الفطور الذي كان معداً له قبل حضورها، وعرف من طريقة

التهامها للطعام بأن أحداثاً جساماً أخّرت طعامها. ولما حاول معرفة سبب التجائها إليه؟ وكيف عرفت بوجوده؟ أجابته بشكل مقتضب وهي تخرج مبلغاً من المال بأن ماتريده هو مساعدته لها على مغادرة إسبانية دون أن يورط نفسه بمشاكلها، ومادفعها للالتجاء إليه هو صلة الوطن فقط، ثم أعطته جواز سفرها للتأكد عند السلطات من نظافة سجلها، وما إن نظر إلى جواز سفرها حتى لمعت عيناه ونظر إليها نظرة فاحصة أفزعتها ثم قال: أنت نورة ابنة نسيم؟ ماهذا الشحوب الذي يعتريك؟ من أي شيء أنت خائفة؟ أين سهيل؟ وما إن نطق باسم زوجها حتى انفجرت بالبكاء تسأله حمايتها وترجوه إخراجها من البلاد فوراً، فالخطر محدق بها، وأن طارقاً لا قبل له بهم. فقاطعها قائلاً: من هم؟ فأنت الآن في مكان آمن، إلاإذا لوحقت فسنغير مكانك. فطمأنته بأن أحداً لايعلم بالتجائها إليه، وأن مكانها الآن مبهم على الجميع بما فيهم ذووها في الوطن. ثم سألها كيف تمكنت من مغادرة منتجعكم بالجبل؟ وما إن بدأت بالشرح حتى وضع يده على رأسه يستمع بذهول شديد وأعينه تنتقل بين ألبستها الممزقة وأرجلها الدامية وهو يهز برأسه. وما إن انتهت حتى دعاها للاغتسال والنوم وأنه سيغادرها ساعاتٍ أربعاً، تكون خلالها قد استعادت هدوءها وأراحت جسدها ونفضت عنها غبار التعب. ثم قلب صفحات جواز سفرها واقترح تأجيل سفرها حتى ينجلي الموقف، فأصرت برجاء حار على تأمين سفرها فوراً.. فنظر إليها مفكراً ثم قال: فليكن (ذنبك على جنبك).

غادر طارق المنزل ووجدت شكرية نفسها تتبعه إلى محله في مدريد

بائع مجوهرات، ثم أجرى منه اتصالاً هاتفياً بأحد أصدقائه، ثم غادره إلى شركة طيران وحصل على بطاقة سفر باسم نورة، وما إن غادر طارق باب الشركة حتى أجرى موظف الشركة الذي زوده بالبطاقة اتصالاً هاتفياً عرفت شكرية من خلال المكالمة تزويده للمتلقي بمكان وجود نورة.

قطعت شكرية التركيز وأعادته على صورة نورة لتجدها في سبات عميق في منزل طارق، وماهي إلا بضع دقائق حتى دخل عليها ثلاثة رجال فوجدوها نائمة بعمق، فأخرج أحدهم من جيبه منديلاً، وصب عليه شيئاً من زجاجة يحملها ووضعه على فمها وأنفها، ثم لفها بغطاء السرير، وخرجوا بها إلى سيارتهم السوداء، وانطلقوا بها خارج المدينة إلى بناء على رابية، وحملها أحدهم مع الغطاء وأدخلها إلى غرفة داخل البناء ووضعها على سرير معدّ لها، ثم خرج وأغلق الباب دونه بالمزلاج فتبعته شكرية، وكم كانت دهشتها كبيرة عندما دخل إلى غرفة واسعة يتصدرها نسيم دبورة والد نورة بشحمه ولحمه سائلاً الداخل هل نورة بأمان؟ ولما أجابه بالإيجاب أمره بالوقوف خارجاً، اعترى شكرية الشك والعجب، وبدأ تفكيرها ينزلق، وشعرت بانعدام الحس الأبوي عند نسيم ورغبته الجامحة بقتلها وإلحاقها بأمها.. وقطع تفكيرها رؤيتها رجلين وامرأة يدخلون غرفة نورة الجالسة على السرير والدموع تتحدر من عينيها، وجفلت نورة عند رؤية الداخلين عليها، وأخذت تنزوي بركن السرير وهي تلف نفسها بالغطاء حتى شاهدت المرأة وهي تدخل، فلمعت عينا نورة وظهر عليها البشر وهي تدعوها بخالتي نديمة، وترجوها إنقاذها من براثنهم، وتسألها إن

كان والدها قد علم بما تعاني.. دققت شكرية بوجه المرأة فعرفتها، فهي التي ترعى الآن نورة في دارة والدها، وتساءلت شكرية: هل نديمة خالتها فعلاً؟ وقطع تفكيرها دخول رجل ثالث إلى الغرفة فعرفته شكرية فهو الذي عبث بحقيبة نورة في المنتجع موجهاً كلامه إلى أحد الرجلين اللذين دخلا مع نديمة قائلاً: دقق بهذه المرأة - يقصد نورة - أهي من اشترت الحقيبة تلك؟ وهو يشير إلى حقيبة يحملها.. دقق الرجل في وجه نورة ثم لوى رأسه: أظنها تشبهها، ولكن تلك كانت أجمل. فقال الرجل: أهكذا إذن، جمالها أضاع بصيرتك، وتصرفت مخالفاً للتعليمات، وخوفك أضاع علينا فرصة تلافي الخطأ الذي ارتكبته.. حينها عرفت نورة بأنها أفسدت شيئاً مخالفاً للقانون، ولو نجح لكانت هي ضحيته الأولى. ثم أطرقت وبعد إطراقها سمعت صوتاً زلزل كيانها طالباً منها رفع رأسها وإلا فسيشوه ذلك الوجه الذي أضاع صواب رجلهم. رفعت نورة وجهها وشاهدت مصدر الصوت الذي استرسل قائلاً كيف عرفت موضوع الحقيبة؟ هل لزوجك علاقة بذلك؟ حينها رأت شكرية أن تسارع الوقت قبل أن يسرقها وهي التي كانت ترغب بمتابعة التحقيق دون تسارع بعد أن رأت أن العصابة ممسكة بجميع الخيوط، ونورة ليس أمامها أي منفذ، وحدث أثناء تسريعها للوقت رؤية سهيل يدخل الغرفة ويشارك بالتحقيق، ومما لفت نظر شكرية إصرار نورة على الإنكار رغم مرور ساعات طويلة على الأخذ والرد، حتى قاربت الساعة العاشرة ليلاً. حينها شاهدت شكرية امرأة تدخل الغرفة وتتجه صوب نورة وتأمرها بالاستلقاء، ثم تستل من حقيبتها حقنة كانت قد

أعدتها وتفـرغ محتواهـا في جسندها رغـم مقاومتهـا الشـديدة وتخرج على عجل. ثم ترى نديمة وقد انكبت على نورة التي بدأت تترنح وتفقد اتزانهـا، ثم راحت في سبات عميق. ثم رأت خروج الجميع من الغرفـة مـاعدا نديمة ثم دخول نسيم دبورة والد نورة الذي أمر بنقلها إلى الوطن.

قطعت شكرية التركيز وعرفت بأن نورة لم تبح بسـرها، وأن مرضهـا سببه الحقنة التي نالتها، ثم نظرت إلى ساعتها فوجدتها عند الثانية والنصـف بعد الظهر، ورؤيتها الساعة أتاح لها الابتسامة لأول مرة منذ أيام، فقد أنهت العقبة التي كانت تعترض طريقها بكشفها أسرار سبب مرض نورة، وعرفت بأن نورة لم تخضع لأي طبيـب، وكـل مـاقيل كـان لـذر الرمـاد في العيـون، فنسيم يريدها هكذا، ويخاف من شفائها ولهذا وجد بقتلها الحل. ثم فكـرت قليلاً ورأت بأن تلك الأسباب الـتي رأتهـا لاتوجـب إنهـاء حيـاة ابنتـه، لأن نورة لا تعلم بأن والدها وراء تلك الأحـداث، ولهـذا وجـدت شـكرية بـأن هناك أسباباً سابقة تدفع نسيماً لقتل ابنته، وإلا لما رشـحها لإدخـال الحقيبـة إلى المعرض وهو يعلم جيداً بأنه يدفعها إلى حتفها في حال انكشاف أمرهـا. ثم فكرت شكرية ورأت وهي جازمـة بـأن أمـر نـورة سـيجري كشـفه لـو نجحت بإدخال الحقيبة وذلك بعد سرقة الجوهرة، ويكون بذلك قـد ضـرب عصفورين بحجر.. ثم قامت شكرية من مقامها وخرجت من غرفتها السرية إلى دارتها، ونظرت عبر النافذة المطلة على الشـارع لتجـد مراقبتهـا مـازالت مستمرة من قبل رأفـة، فارتـأت تجـاهل تلـك المراقبـة والالتفـات إلى عملهـا داخل الدارة فقد أهملته أياماً عدة.

في اليوم التالي صحت شكرية من نومها على صوت ساعتها التي وقتتها قبل نومها بالأمس، ونالت فطورها بهدوء، وارتدت ملابس المواجهة وأخفت مسدسها داخل ملابسها، ودخلت عيادتها في وقتها المعتاد ملقية تحية الصباح على لمياء التي كانت وحدها دون مرضى، بسبب تحديد هذا اليوم لمعالجة نورة فقط. ثم دخلت غرفة العيادة وأغلقت الباب دونها، ثم أخرجت صورة نسيم وركزت عليها لتجده يرتدي لباس الخروج وهيام تساعده على ارتدائها وهي بلباسها الكامل، وسمعتها تطلب مرافقته بدلع واستعطاف دون أن تنال الموافقة، واقترح عليها انتظاره وأن لديه مفاجأة تسرها، ثم رأته يخرج وحده إلى غرفة مكتبه، لتجد رجلين بانتظاره أحدهما رأفة، وسمعت حواراً يجري بينهم منصباً عليها يخرجها من دائرة الشك، وينصحانه بالاستمرار في مشاريعه دون خوف، واصفين الدكتورة بالانطوائية التي لاتعرف إلا مرضاها، ولاتغادر بيتها إلا للتسوق. حينها وقف نسيم وهو يكرر تعليماته، ثم تركهم يغادرونه. وبعد خروجهم وجد طريقه إلى جناح ابنته، وكانت في انتظاره امرأة سألها إن كانت جاهزة فأجابته بالإيجاب، بعدها طلب من نديمة فتح باب غرفة ابنته وتجهيز ألبستها ريثما تنهي الطبيبة عملها، ودخل غرفة ابنته التي كانت مقيدة، ونالت من الطبيبة حقنة بعد مقاومة شديدة، وما إن خرجت الطبيبة حتى دخلت نديمة ووجدت نورة هادئة، فأزالت قيودها ونزعت ماعليها من ألبسة ثم قامت بتنظيفها، وألبستها ماجلبته من ألبسة وخرج ثلاثتهم من الدارة، حينها قطعت شكرية التركيز على نسيم وأخذت صورة رأفة وركزت عليها لتجده

وزميله يمتطيان سيارة رأفة، وماهي إلا دقائق حتى كانا على بُعد بضعة أمتار من عيادتها، حينها قطعت شكرية التركيز، وقامت من وراء مكتبها ونظرت من نافذة عيادتها وشاهدتهما يرمقان مدخل العيادة، وماهي إلا دقائق حتى حضرت سيارة نسيم.

عادت شكرية وجلست خلف مكتبها وأخرجت استمارة نورة ووضعتها على مكتبها، ثم سمعت جلبة في الصالون تنبئ بدخول نسيم وابنته، وبعد لحظات فتحت لمياء باب غرفة شكرية قائلة: المريضة نورة في الصالون. فأمرت بإدخالها فطلبت لمياء من نسيم تركها لترافقها دونه، فرفض مدعياً بأن ابنته تخاف الناس ولا تركن إلا إليه، ولكن لمياء لم تأبه بكلامه وجذبت نورة وأبعدت نسيماً باليد الأخرى قائلة: إنها بأيد أمينة، ولا يتم علاجها إلا منفردة، فرد بأن علاج ابنته لن يتم إلا بحضوره وإلا فلا، حينها سمعت لمياء صوت شكرية تدعوها إلى استثناء القاعدة وترك نسيم يرافق ابنته. فدخل برفقة ابنته شاكراً الدكتورة على صنيعها، ثم أغلق باب الغرفة بيده وأجلس ابنته، ثم اقترب من مكتب شكرية واضعاً يديه عليه، فوقع بصره على صورة لابنته في أعلى استمارة أدرجت فيها معلومات أولية عن نورة، ثم مد يده وحمل الاستمارة دون اعتراض شكرية، وقلّبها بين يديه ثم أعادها وهو يثني على طريقتها في التنظيم. ثم سألها إن كان لها مرضى تعالجهم في أمكنة أخرى غير عيادتها، ولما ردت بالإيجاب عرض عليها معالجة ابنته بجناحها في دارته وسيكون سخياً معها، فردت بأن ذلك يعتمد على حالة نورة، فأجاب - وهو يخرج من جيب سترته رزمة مالية لم

لاتشذ هذه المرة وتخرق قاعدة عملها وتقوم بإجراء الفحص والتأكد من حالتها في جناحها بالدارة في الوقت الذي يناسبها.

أطرقت شكرية تفكر ثم استلت دفتر مذكراتها وقلّبت أوراقه ثم أخذت قلماً وخطت به على الدفتر، ثم التفتت إلى نسيم قائلة: سأكون غداً الساعة السادسة مساء بانتظار من يرافقني، وبنفس الوقت كانت يدها تمتد وتأخذ المبلغ المقدم من يد نسيم، وهي ترى ابتسامة النصر وقد ارتسمت على وجهه، حين كانت يدها القابضة على المال تجد طريقها لتضع المال في درج المكتب أمامها، وهو يرى في قبولها تجاوزاً للمرحلة الصعبة في حل مشكلة نورة.

دخلت لمياء غرفة العيادة بعد خروج نسيم وابنته لتجد شكرية جالسة تفكر، وما إن التقت نظرات المرأتين حتى سألتها لمياء بضعة أسئلة عرفت من خلالها أجوبة شكرية وهي شطب اسم نورة من قوائم المراجعين دون تحديد الأسباب، وما إن خرجت لمياء من غرفة العيادة حتى ركزت شكرية على صورة نسيم، وشاهدته يخرج من عيادتها مع ابنته، حتى إذا استقل سيارته واطمأن على ابنته داخلها أشار بيده وانطلق، فلا زمته شكرية حتى دخل دارته وأدخل ابنته إلى جناحها، ثم التقى في مكتبه برأفة وزميله طالباً منهما تكثيف مراقبة الدكتورة، ثم التفت إلى صهيب زميل رأفة وسأله أن يذهب غداً الساعة السادسة مساءً برفقة نديمة لجلب الدكتورة إلى الدارة، وما إن خرج رأفة وزميله صهيب حتى أدار قرص الهاتف واتصل بخطيبته هيام.

قطعت شكرية التركيز وتساءلت: حتى الآن لا أعرف ماذا يريد هذا الرجل نسيم فحاضره لا غبار عليه لولا حرصه الشديد على بتر كل من له صلة بماضيه، وابنته جزء من ذلك الماضي، لكن قدرته على بترها محدودة، لأن عواطفه بتقديرها تؤخر اتخاذ القرار الذي لايجد نفسه مؤهلاً لتنفيذه، ولهذا عمد إلى تنفيذ رغبته في مدريد، والآن يبحث عن حلّ عبر طبيبة متخصصة تحمل مسؤولية قتلها، وإلا لكان قد استخدم أطباء غير متخصصين حينها ستكون مسؤولية ومحاسبة مشتركة وهو لايرغب بذلك، وشكرية أيضاً لاتود نبش ماضيه ولاترغب بالمواجهة معه، وتجد أن الفرصة الوحيدة لخلاصها منه وإنقاذ حياة نورة هو خضوعه هو للمعالجة وتخليصه من عقدة الماضي، وما يؤرقها ويزيد الخوف في نفسها صهيب الرجل المكلف بمرافقتها إلى جناح نورة، فهو غامض وخطره عليها لايقل عن خطر رأفة أليسوا من طينة واحدة، ومايزيد الطين بلّة أنها لاتملك أيّ معلومات عنه.

رافق الخوف والأفكار السوداء شكرية كامل الوقت حتى دنا موعد زيارة نورة في جناحها بدارة نسيم، ولما دقت الساعة السادسة اقتربت شكرية من النافذة لتشاهد سيارة تقف أمام باب عيادتها وتهبط منها نديمة يرافقها صهيب الذي دخل على شكرية غرفة عيادتها، ووجدها بانتظاره وهي بلباس الخروج الذي أعدته لإخفاء سلاحها الناري داخله، وسمعت دعوته لمرافقتها ونظراتها تبحث عما يخفيه في جنبات جسمه من سلاح، بينما أعين صهيب منصبة على حقيبة شكرية التي حملتها وتقدمته مع نديمة نحو الباب الخارجي، وهي تطلب من لمياء إغلاق العيادة بعد خروجهم.

دخلت شكرية جناح نورة التي كانت ممددة على سرير ذي حلقات معدنية، مزودة بأربطة من الجلد موزعة على جهاته الأربع، فاقتربت شكرية من نورة التي كانت مقيدة بقيد يبيح لها التحرك والجلوس فقط وما إن التقت أعين المرأتين حتى ركزت شكرية على عيني نورة التي كانت شفتاها تتمتم بكلام خافت ابتسمت له شكرية، وعرفت بأن نورة تدعي المرض وفقدان الذاكرة. عندها أقبلت عليها وأمسكت برأسها وحركته يمنة ويسرة حتى أصبحت أذن نورة أمام فم شكرية التي همست: جئتك من قبل سهيل. لمعت عينا نورة ودققت النظر بشكرية قليلاً ثم أشارت ببصرها نحو زوايا الغرفة، وكان ذلك تحذيراً لشكرية بعدم التمادي. وهنا أوقفت شكرية التركيز وابتعدت عن سرير نورة والتفتت إلى نديمة التي كانت تراقب قائلة: هل يمكنني فك قيد نورة؟ فأجابتها نديمة بأن ذلك خطر عليها إلا إذا نالت حقنة مهدئة، فردت شكرية بأن أي مهدئ يتعارض مع روح المهنة، ويفقد المريض قدرته على التركيز، وأنا جئت لأعالج وأنت عليك الخروج وترك مفتاح القيد دون مناقشة، وإلا فافسحي لي لأغادر، فوجئت نديمة بتصرف شكرية ولم تجد أمامها سبيلاً سوى إعطاء شكرية مفتاح القيد ومغادرة الغرفة.

تبعت شكرية نديمة حتى باب الغرفة وأغلقته دونها وتعمدت أثناء عودتها إلى سرير نورة النظر نحو زوايا الغرفة لتجد عدسات تصوير تلاحقها. حينها أدركت تحذير نورة، وعرفت ايضاً هدف نسيم، وعرفت أنها لن تتمكن من فعل أي شيء سوى تنفيذ مايطلبه نسيم، وأن وجودها

في الغرفة يسهل عليه دراسة صلاحيتها لتنفيذ مايرغبه منها، فإن نالت قبوله شرح طلبه وإلا فستكون ضحية مهنتها.

اقتربت من سرير نورة وهي تفكر ونظرها على الفتاة المقيدة أمامها تبحث عن سبيل لإنقاذها، بعد أن عرفت بأن نورة تتظاهر بالمرض، ورأت أن ذلك قد يساعدها لو أن نورة تعي هدف شكرية التي بدأت بحل قيد نورة. وما إن تحررت من قيدها حتى انطلقت مهرولة في أرجاء الغرفة حافية القدمين، بينما وقفت شكرية جانب السرير تراقبها. وماهي إلا لحظات حتى انقضت نورة على شكرية ونزعت حقيبتها من يدها وابتعدت وهي تحملها، ولما تبعتها شكرية دخلت نورة تحت السرير واختلفت عن ناظري شكرية التي كانت تلحق بها ثم جلست القرفصاء تبحث عنها، فوجدتها وقد أفرغت حقيبتها أرضاً والتقطت دفتراً دسته وهي تتحايل عليه لكتبره في صدرها، ثم التقطت قلماً كان قد سقط من الدفتر ودسته أيضاً في صدرها. في تلك اللحظة فتح باب الغرفة ودخل نسيم مع نديمة وسأل شكرية التي شاهدتهما يدخلان عما تفعله نورة تحت السرير، فخرجت نورة وبيدها قلم أحمر الشفاه مما أخذته من أشياء شكرية المتناثرة تحت السرير، وأخذت تمرره على خديها وشفتيها وهي تضحك بشكل هيستيري، ثم اقتربت من شكرية وجثت على ركبتيها وأخذت تقبل مايصل إليه فمها من أقدام شكرية وترجوها حمايتها من هؤلاء، وهي تشير بإصبعها نحوَ والدها ونديمة، وبينما كان نسيم يؤنب شكرية كانت شكرية تدعوهم إلى تركها معها دون تدخل خلال المدة الممنوحة للمعالجة، وستسلمها إلى نديمة مقيدة في السرير

كما كانت قبل فك قيدها. أطرق نسيم قليلاً ثم نظر إلى وجه شكرية وكان الصمت قد أطبق على الجميع ثم سألها أن تقابله في مكتبه عند مغادرتها جناح نورة وستكون نديمة دليلها إليه.

ابتسمت نورة عند مغادرتهما وهي تنظر إلى وجه شكرية، ثم استدارت وهي في وضع الجثو ودخلت مرة أخرى تحت السرير تجمع أشياء شكرية المتناثرة وتعيدها إلى الحقيبة، ثم خرجت ميقية الحقيبة تحت السرير، ثم عادت مرة اخرى لتخرج وبيدها مرآة تنظر فيها إلى وجهها لترى مافعله قلم أحمر الشفاه في وجهها، وهي تضحك بشكل هيستيري وتحرك شفتيها وهي مطرقة وتميل برأسها نحو زاوية السرير مكررة ذلك، ولما استدارت شكرية نحو تلك الزاوية بدأت نورة بخفض رأسها نحو الأسفل مكررة ذلك، حتى جثت شكرية على ركبتيها بحجة إخراج حقيبتها من تحت السرير ونظرت إلى زاوية السرير المشار إليه فرأت جهاز تنصت مثبت، فعرفت شكرية حينها سبب إحجام نورة عن الكلام.

أخرجت شكرية حقيبتها من تحت السرير، ووقفت لتجد نورة وقد احمرت عيناها وبدأ الدمع ينساب منهما، حينها دعتها شكرية إلى صدرها فاستجابت نورة، وحدث عناق وتقبيل بين المرأتين استمر وقتاً ليس بالقليل، وسمعتا الباب يفتح فاستدارتا لتجدا نديمة مصطحبة معها امرأة ترتدي البياض وبيدها حقنة قائلة قيديها فقد حان وقت الحقنة، فردت شكرية بأن نورة ستستجيب دون قيد، فقالت نديمة إن ذلك مستحيل فلولا القيد لما تمكنا من زرقها أية حقنة، فالتفتت شكرية إلى مرافقة نديمة ودعتها للاقتراب، ثم

التفتت إلى نورة وطلبت منها الاستلقاء على السرير، وكانت المفاجأة حينما استلقت نورة على السرير تاركة الطبيبة تقوم بعملها، والطبيبة مترددة والخوف يلفها أمام دهشة نديمة واستغرابها ورأت من نورة ما أثار استغرابها أكثر حينما استلقت في مكانها على السرير، وطلبت من شكرية تقييدها.

خرجت شكرية من جناح نورة وهي أكثر ثقة ترافقها نديمة، والتقت بنسيم في مكتبه الذي فاجأها للإقامة بينهم حتى تشفى ابنته، وكان الجد والتصميم باديين على وجهه، فذكّرته وقد بدا عليها الخوف - بأن لها عيادة وارتباطات وهناك من يعرف أين هي فرد نسيم وابتسامة ساخرة على وجهه. تقصدين لمياء، لقد قامت بالواجب. واسترسل بالكلام قائلاً: إن لك دارة جميلة وأثاثاًيفوق قدرة طبيبة مثلك على اقتنائه، أنت وحيدة ولك طفل جميل من زوج قد أهدر دمه، وما من أحد يسأل أو يبلغ عن اختفاء شكرية، فاللافتة على باب العيادة تجيب عن تساؤلات الأهل إذا حضروا والمراجعين. كما أن لمياء تجيب على الهاتف أثناء الدوام. فسألت شكرية نسيماً أين طفلي... ماذا فعلتم به.. فرد نسيم.. طفلك.. طفلك مازال عند جدته أم عصام... فهو ورقتنا الأخيرة، سنستخدمها وقتما تشائين.. فقالت شكرية ماذا تعني، فرد نسيم بأن لي طلبات محددة نفذيها وستعودين إلى حياتك الطبيعية ولن يمس شيء مما تملكين.

أطرقت شكرية وهي تعلم جيداً ماذا يريد، ولكن ما لا تعلمه هو طريقته لتنفيذ مايريد. رفعت رأسها وسألته عما يريد؟ فأجاب التعاون مع الطبيبة لدينا لإنهاء حياة نورة.. أشعرته شكرية بأنها فوجئت بطلبه عندما

شهقت وجحظت عيناها وأمسكت رأسها بيديها وقالت: قتل نورة.. هل أنت مجنون ثم وقفت تردد أنت مريض.. أنت مريض... أنت مجنون. في تلك الحظة دخل رجلا نسيم رأفة وصهيب، فاستدركت شكرية وعدّلت من لهجتها حينما أخذ رأفة بناصيتها ووضع فوهة مسدسه في فمها، وأدركت أنها هالكة لا محالة لولا صوت نسيم الذي حذره. وتنفست الصعداء حينما تركها وابتعد عنها، ثم أشار نسيم بيده ورأتهم يخرجون. عندها أشعرته باستسلامها لطلباته مهما تكن، وفي تلك اللحظة سمعت نقراً على الباب، وصوت نسيم يأمر الطارق بالدخول، وشاهدت الداخل وكانت من شاهدتها تداوم على تأدية الحقنة المهدئة اليومية لنورة، وعرفت من خلال حديثها مع نسيم بأنها الطبيبة نادرة، وأنها هي من اقترحت ترتيب موت نورة مع طبيبة متخصصة تستند في شهادة وفاتها على تقرير مأخوذ من مذكراتها خلال فترة طويلة من العلاج.

اقتربت نادرة من شكرية طالبة منها دفتر مذكراتها لإلقاء نظرة عليه، وتجهيزه بكتابات عن حالة نورة بأوقات متفاوتة، وبخط يد شكرية بصفته مستند إلى تدهور حالة نورة باطراد، فكانت ردة فعل شكرية بأن ضمت حقيبتها إلى صدرها، وكانت بعملها هذا قد عرّفت نادرة بأن دفتر مذكراتها داخل الحقيبة، فانقضت عليها ونزعت الحقيبة من كتف شكرية وابتعدت بها وهي تبحث داخلها، وطال بحثها أمام ناظر شكرية التي لم تجد مبرراً لطول بحثها، ولكنها فاجأتها بأن حقيبتها خالية من الدفتر، فردت شكرية بأن دفتر مذكراتها داخل الحقيبة وهو لايخرج إلا أثنا ءتدوين

الحالات اليومية لعملها، فما كان من نادرة التي أغضبتها ملاحظتها ونظرات نسيم إلا أن أفرغت محتويات الحقيبة على طاولة الوسط بعصبية ظاهرة قائلة: إنك تستهينين بي لو كان إبرة لوجدته.. وألقت بالحقيبة في وجه شكرية مسترسلة بالكلام: أخرجيه أنت، أخذت شكرية الحقيبة وهي تفكر وتبحث داخل حقيبتها، ولما لم تجده مرّ بخاطرها مراحل حركة دفترها خلال هذا اليوم، وكان آخرها تدوين موعد زيارة نورة، فتذكرت أخذ نورة له. والانشغال عن أخذه منها بدخول نسيم، وتلاحق الأحداث أنساها إياه، ووجدت في ذلك مخرجاً جاء في الوقت المناسب لإعطائها إمكانية التحايل والمناورة، التفت نسيم موجهاً سؤالاً مشتركاً ماذا قررتم، ثم سأل نادرة وهو يبرز بطاقة نورة الخاصة بعيادة شكرية ألا تكفي تلك البطاقة؟ فردت نادرة بأن البطاقة لها دور إذا كانت نورة تعالج داخل العيادة بمواعيد مدونة مسبقاً. وكان رأي لمياء باستحالة تعديل دفتر الزيارات لارتباطه بالبطاقات، إضافة إلى أن نورة لم تشاهد أبداً من قبل مراجعي العيادة.

فكر نسيم ثم سأل شكرية عن المكان الذي تركت دفترها فيه، فردت بأنها لاتعلم بالضبط، وطلبت السماح لها بالمغادرة لتجدّ بالبحث عنه، فلم تعلم بأهميته إلا الآن، وإلا لكانت احتفظت به في حقيبتها دائماً. فرد نسيم حانقاً إنك تكذبين فدفترك لم يغادرك أبداً، ولم يكن في أي وقت من الأوقات إلا داخل حقيبتك، حتى لمياء أمينة سرك صرحت بأن هذا الدفتر هو الوحيد الذي كان وما زال سراً غامضاً لم تطلع عليه أبداً، وأنت اعترفت الآن أن هذا الدفتر لايخرج من الحقيبة إلا أثناء التدوين، تذكري أين

هو، أطرقت شكرية قليلاً ثم رفعت رأسها قائلة: ماذا سأجني من تعاوني معكم؟ فرد نسيم هذا يعتمد على ماترغبين، وهذا سيجري بحثه لاحقاً، وبعد أن نجد الدفتر. فردت بأن ظنها نسيته في مكان ما بدارتها. فقال نسيم حددي الأمكنة وسنرسل من يبحث، فقالت شكرية أليس من الحكمة أن نبحث معاً؟ فقال نسيم إنه حلّ لا أستسيغه ولكني لا أجد له بديلاً، ثم أدخل يده في مكتبه وأطلق الجرس فدخل على أثره رأفة، فارتعدت لدخوله شكرية وسمعت نسيماً يأمره وزميله بمرافقة شكرية إلى دارتها، ثم التفت إلى نادرة قائلاً: خذي مفتاح الدارة من الطبيبة، ولا تتركي لها أي مجال داخل الدارة، ولتكن المرافقة مشتركة عند البحث عن الدفتر، ثم التفت إلى رأفة قائلاً ضع ملصقاً على فم شكرية ولاتنزعه إلا بعد عودتكم، فلا أريد أخطاء أو مفاجآت، ولا أريدك أن تنسى الأهمية الكبرى التي تمثلها حياة تلك المرأة في هذه المرحلة.

خرجت شكرية من مكتب نسيم دون حقيبتها بحراسة مشددة من قبل رأفة وصهيب ونادرة إلى حديقة الدارة لتجد سيارة بانتظارهم، فجلس صهيب خلف المقود بينما جلست شكرية بالمقعد الخلفي متوسطة بين رأفة ونادرة، وما إن استقرت بجلستها حتى وجدت ملصقاً قد كمّ فمها، وانطلقت بهم السيارة تحت جنح الظلام، فالليل قد تجاوز منتصفه دون أن تتاح لها الفرصة لتأكل أو تشرب، والإرهاق قد تجاوز المدى وهي تفكر بالمأزق الذي أوقعت نفسها فيه، والألم الذي سببه لها تعاون لمياء مع نسيم.. حتى وصلت السيارة إلى قرب مدخل دارتها، وتم فتح بابها من قبل نادرة،

وبدؤوا البحث عن الدفتر في العيادة، ثم انتقلوا إلى داخل الدارة، وراع شكرية الفوضى التي سببها رجال نسيم في أثاث الدارة لدرجة أنها للوهلة الأولى لم تعرف أنها في دارتها وبين أثاثها وأمتعتها، وجرى البحث عن الدفتر بين أكوام الأمتعة والأثاث، ووجدت أن الفوضى كانت لصالحها، فكيف لها أن تجد دفتراً بين أكوام الأمتعة والأثاث، لا قبل لهم بتحريكها والبحث داخلها دون إضاعة وقت إضافي غير موضوع بحسابهم مما سبب لهم التوقف عن البحث، وفكر بعضهم بالعودة، بينما أصر بعضهم الآخر على الاستمرار بالبحث ولو كلفهم ذلك البقاء باقي الليل، حينها اقترح رأفة الذي كان من أنصار العودة واصطحاب شكرية معه الى قاعدتهم دارة نسيم، بينما تستمر نادرة التي ادعت التعرف على الدفتر عند إيجاده ومعها صهيب دون الحاجة الى شكرية.

نُفّذ اقتراح رأفة الذي انطلق دافعاً شكرية أمامه بعنف، حتى إذا وصل الى الباب الرئيسي للدارة أمسك بيد شكرية من معصمها عند فتحه الباب زيادة في الحرص، وأطل برأسه ثم تبعه جزء من جسمه ليستطلع، في تلك اللحظة شعر بذراعه التي كانت قابضة على ذراع شكرية تلوى نحو الأعلى مع دفعة قوية من يدي شكرية وجسمها ملقية رأفة خارج الدارة ثم أغلقت الباب دونه واندفعت عائدة إلى الداخل، وعوضاً من دخول الدارة دخلت منشأة جدتها واجتازت الممر إلى القاعة رغم الظلام الدامس، ثم صعدت الدرجات الأربع لتصل إلى مجلس جدتها واجتازته لتصل زاوية الحائط وتلمست بأصابع قدمها البلاطة المتحركة ودفعتها نحو الداخل، وسمعت

صوت صرير فتح الباب المؤدي إلى غرفتها السرية الذي لم تستخدمه منذ وفاة جدتها يتحرك فاسحاً المجال لها للدخول، وبعد دخولها أعادت البلاطة المتحركة إلى مكانها في الداخل، فانزلق الباب أيضاً وعاد إلى مكانه لتجد شكرية نفسها وقد تحررت بعد أن أزالت ما ألصق على فمها، ثم سمعت توقف جرس دارتها الذي كان يرن منذ دفعها رأفة، فعرفت بأن رأفة دخل الدارة مرة أخرى. وكانت غرفتها في ظلام دامس، وخوفها منعها من إضاءتها، وقد اهتدت إلى سريرها باللمس واندست به تاركة مايجري خارجاً وكأنه ليس لها، فقد أخذ التعب منها كل مأخذ، ووجدت الراحة تتسلل إلى جسدها، وانعكس ذلك على جفونها وراحت في سبات عميق.

صحت شكرية في الصباح وكم كانت سعادتها غامرة عندما وجدت النهار قد أطل بوجهه والساعة قد تجاوزت العاشرة وهي في عرينها وبين أسلحتها، ولكن حاجتها إلى الطعام دفعها للتعرف على أمكنة خصومها الذين يتربصون بها الدوائر بادئة بالتركيز على صورة نسيم، فوجدته في مكتبه وقربه نادرة ولمياء يتناقشون وبطاقة نورة أمامهم، وتساءلت بدهشة أليس لهذا الجواهرجي الكبير عمل سوى كيفية إزاحة ابنته من هذه الدنيا، ماذا فعلت لتستحق كل هذه الكراهية.. ثم ركزت على صورة رأفة هذا القاتل المأجور الذي لن يتوانى عن قتلها عندما يلمح طيفها، فوجدته أمام المرآة يحلق ذقنه متمنطقاً بمسدسه المعلق فوق ملابسه الداخلية، وتبادر إلى ذهنها صهيب الذي لاتملك صورته ولاتعرف مكان وجوده، وخطره لايقل بحال من الأحوال عن رأفة، وخاصة أن ثمنها أصبح مرتفعاً بعد الليلة التي

مرّت وسيعدّ بطلاً لو تمكن منها. فارتأت أن يكون الحذر كل الحذر دليلها، بادئة ذلك داخل دارتها، فخرجت من غرفتها تحمل مسدسها جاهزاً للإطلاق مارة بكل ركن وزاوية في دارتها تبحث عن أثر لوجوده، وتغلق بإحكام كل منفذ إلى الخارج بادئة بباب دارتها، حتى اطمأنت إلى أن لا وجود لدخيل في دارتها، حينها دخلت المطبخ فوجدته لايقل فوضى عن باقي أماكن الدارة، ووجدت نفسها تبحث في أركانه عما يمسك رمقها فلم تجد شيئاً، فعرفت بأنهم تعمدوا ذلك، وأن صهيباً هذا من المفروض أن يكون خارج دارتها يرقب خروجها لجزمهم بأن أحداً لايمكنه البقاء دون طعام أكثر من ذلك. وإذا كانت بالداخل فستخرج عاجلاً أو آجلاً لجلبه، وحتى تتأكد لجأت إلى الهاتف فوجدت جميع هواتفها المنتشرة بالدارة قد اختفت، حتى هاتف العيادة. تذكرت حينها جدتها التي حسبت لكل شيء حسابه عندما أقامت مستودع تبريد للأطعمة يصل غرفتها السرية بممر سري حتى مرآب الدارة، وحمدت بارئها على أنها لم تهمل ذلك المستودع، واعتمدت عليه بحاجاتها اليومية واستمرت تلاحظه بالاستبدال والتزويد بالطازج من الخضار والفواكه واللحوم بأنواعها بالإضافة إلى المعلبات.

قررت شكرية البقاء في دارتها وعدم الظهور حتى ينجلي الموقف آخذة بعين الاعتبار إمكانية مراقبة مايدور حول دارتها، بأن تركت شقوقاً بستائر بعض النوافذ لترقب من خلالها باب دارتها الرئيسي، وأماكن عدة كانت تراقب من خلالها في الماضي، خوفاً من قيام نسيم بتجنيد أناس لمراقبتها غير الذين تعرفهم أو تملك صوراً لهم، فتقع بأيديهم، وهذه المرة لن

تنجو أبداً. وقبل أن يمر اليوم الأول شاهدت لمياء تقترب من باب دارتها وتخرج مفتاحاً من حقيبتها وتدسه في قفل باب دارتها محاولة فتحه، ولما لم يستجب تراجعت إلى الخلف قليلاً ووجهت نظرها نحو نوافذ الدارة ثم عادت إلى باب الدارة-وهي واثقة من وجود شكرية بالداخل، لأن القفل الخارجي استجاب لها، والامتناع كان من القفل الداخلي حيث امتنع الباب من الاستجابة، وكان صدى ذلك أن وضعت إصبعها على جرس الدارة مسمعة شكرية رنينه، مكررة فعلتها عدة مرات. ثم تراجعت قليلاً وغادرت تاركة شكرية تتقاذفها الأفكار السوداء بأن نسيما هذا قد تأكد من مكان وجودها، وأنه سيقوم بعمل ما لجرها إلى ما لاترغب.. وبقيت على حالها تنتقل من نافذة إلى أخرى داخل دارتها نهاراً وتنام في غرفتها السرية ليلاً يومين متتاليين، حتى شعرت بالملل، وبدأت تبحث عن حلّ يجنبها هذا الضجر، وفكرت في لحظة ضعف بالخروج من مأزقها وتنفيذ رغبة نسيم الذي ماركزت على صورته مرة إلا وجدته إما في متجره أو منزله، ورأفة يلازمه كظله، وهذا يعني أنه واثق من أن شكرية إما أنها ستغامر بالخروج وتلقى مصيرها أو تستسلم. ولكن إيمان شكرية بمبادئها وماتملكه من قدرات قد جنبها الوقوع في حبائل الضعف، ورأت لقتل وقت الحصار أن تعود إلى الحقائب التي غنمتها بالماضي أثناء صراعها مع العصابة، ولم يسعفها الوقت في حينه لتعرف محتواها.

بدأت شكرية بتنفيذ الصبر على عض الإصبع لترى من الذي سيفقد أعصابه ويصيبه الضجر أولاً، فدخلت غرفتها السرية، وبدأت بنبش أول

حقيبة، وما إن فتحتها حتى شاهدت صورة كبيرة للقاضي منير مع زوجته بلباس الزفاف، وكان هذا أول ضحاياها إذ قتلته العصابة بعد أن شعرت بضعفه، ثم بدأت بنبش ماتحت الصورة وهي محتويات صندوقه الحديدي من الأموال الكثيرة وأوراق سرية تخص العصابة والضحايا المناط أمرها بالقاضي، وكانت لا تهمل أي ورقة بل تقرأ محتواها، فاكتشفت ألاعيب قانونية لاتخطر على بال، وكان أكثر ما آلمها الابتزاز الذي مارسه القاضي بالتعاون مع العصابة مع كثير من أمثال زوجها عصام. ومر يومان قبل أن تفرغ، ووصلت إلى اقتناع بأن قتل القاضي كان ضرورة إنسانية. ثم فكرت برؤية تبعات قتله على أسرته، فركزت على صورة زوجته فرأتها تجر عربة طفل في حديقة عامة وبقربها رجل عرفت من حديثه بأنه زوجها، وشاهدت رشا ابنة القاضي تلعب قربهم.

ثم بدأت بمعالجة حقيبة رامز الذي قتلته في عرينه وبين رجاله الذين اكتشفوا بعد موته أنه ليس إلا ميشيل سادا الجواهرجي القاطن على بضعة أمتار من قاعدتهم، والذي بقي غامضاً يصول ويجول ضارباً عرض الحائط بكل القيم، وكل همه هو المال، فوجدت الحقيبة بأقفالها المنيعة يلزمها وقت طويل لفتحها فارتأت كسر أقفالها بالمطرقة والشوكة، ثم عدلت من رأيها في استخدام خبرتها لفتحها فتجد متعة وتسلية هي بحاجة إليها، فانكبت تتبع أساليب لم تتبعها سابقاً، معتمدة على نمو خبرتها في هذا المجال، ونال فتح أقفالها جهداً عزته إلى تحول العصابة عن أقفالها التي درجت على استخدامها رغم مناعتها بسبب النكسات التي منيت بها تلك الأقفال على

يد شكرية، وعرفت بعد فتحها مدى اهتمام زعيمهم أسامة النارنج بمحتوياتها، عندما طلب إخفاءها يوم مقتل حاملها الرئيس التنفيذي للمنظمة رامز، فقد كانت تحتوي عدا عن العملات المالية المختلفة- صورة لأثر هام، وخريطة لموقع أثري، وصورة لسلاح فردي بمواصفات فريدة مدونة على جانبي الصورة، وقائمة إسمية لستة من رجال الأعمال. وفوجئت باسم نسيم دبورة على رأس تلك القائمة فقد كانت ترصد تحركاته بين الحين والآخر من خلال التركيز على صورته، وما إن وصلت إلى اسمه في قائمة العصابة حتى ركزت مرة أخرى على صورته، فشاهدته يعقد اجتماعاً في مكتبه ضاماً خمسة من رجاله اثنان منهم لم ترهم من قبل، وكانا يذكران اسمها باطراد، فعرفت بأن عملاً ما يجري إعداده ضدها، فتركت من يدها حقيبة رامز وماتحويه وصبت اهتمامها على مكتب نسيم ومايجري فيه، بإعادة الوقت لتشاهد الاجتماع من بدايته، وعرفت بأن الآخرين اللذين شاهدتهما لأول مرة كانا مكلفين بمراقبة دارتها، وتركا المراقبة لتوهما إلى رجل أسمياه عصاماً، وقد اقترحا اقتحام الدارة للتأكد من وجودها حية بعد مرور الأيام السبعة على دخولها الدارة، ولم يجد هذا الاقتراح أذنا صاغية من نسيم، ولكنها سمعت اقتراحات أدخلت الروع في نفسها، وكان أكثرها سوءاً هو إدخال ابنها أمجد باعتباره أحد الخيارات، وفهمت من خلال مداولاتهم أنها اختيرت لتحميلها مسؤولية قتل نوزة بإجبارها على توقيع وصفة طبية مختارة من قبل نادرة، مع تسجيل ذلك في دفترها، وأنها فاجأتهم بهروبها واختفائها، وأن همهم الآن منصب على منع وصولها بأي ثمن إلى الشرطة،

وتمت الموافقة على سلسلة من الإجراءات مبتدئين بإدخـال رسـالة مـن بـاب الدارة تنذرها بإظهار نفسها خلال ساعات ثلاث، وإلا فسيجري قطع المـاء والكهرباء عن دارتهـا، وتم تكليـف رجـل بذلـك بإيصـال الرسـالة وانتظـار الجواب، ولما كانت شكرية لاتملك صورة له فقد قررت ملازمته، وشـاهدته يتلقف الرسالة من يد نسيم ويغادر دارة نسيم بسيارة لم ترها مـن قبـل، ثـم وصل إلى مكان لايبعد كثيراً عن دارتها وسار على قدميـه إلى مكـان قريـب من دارتها، ويلتقي برجل جالس داخل سيارة، وتعرف مـن حديثهمـا اسـم الآخر وكان عاصماً، وعرفت حينها بأن مراقبة دارتها اقتصرت على واجهة الدارة وأهملت الجانب الآخر منهـا تلـك الـتي يوجـد بهـا المرآب، حينهـا شعرت لأول مرة منذ أسبوع بقدرتها على أخـذ المبادأة مـن أيديهـم، فقـد عرفت وجوه رجال نسيم والخطط المعدة لإذلالها.

قطعت شكرية التركيز وقررت مغادرة دارتهـا بعـد أن تقـرأ محتويـات الرسالة التي سيجري دفعها من باب الدارة، تركـت شـكرية غرفتهـا السـرية وهبطت نحو مدخل الدارة تنتظر الرسالة، وماهي إلا دقـائق حتـى شـاهدت الرسالة تدفع إلى الداخل دفعاً، وانتظرت حتى استقرت الرسالة على الأرض داخل الدارة، حينها أخذتها شكرية وأدخلتها غرفتها السرية وقامت بفضهـا وقرأت ماتحويه وكان تهديداً واضحاً لا لبس فيـه. فـأبواب دارتهـا المعتمـدة على الكهرباء ستكون أبواب دفنها لو قطعت الكهرباء عنها، فتلك الأبواب التي كانت سبب أمنها ستكون سبب الفتـك بهـا.. حينهـا قـامت شـكرية يحدوها الأمل بإيجاد طريقة ما تحمـي بهـا نفسـها وأسـرتها، فـارتدت لبـاس

الخروج الذي يحوي مسدساً، ووضعت في حقيبتها مبلغاً كبيراً من المال، كما وضعت صوراً وأشياء تخص نسيماً ومايتصل به، بما فيها رسالة التهديد الأخيرة لها، وانتقت بعضاً من أجهزة فتح الأقفال فوضعتها أيضاً في حقيبتها، ووقفت تجوب بنظراتها غرفتها السرية، وشعرت قبل خروجها بحنين لم تعهده أثار شجوناً شمل أعضاء جسمها، ودفعها لتقبيل أرض الغرفة وبللتها بدمعات تقاطرت دون إرادتها، ثم قررت المغادرة وهي لاتملك أي تصور لما ستفعله، ثم قامت برفع القنديل المخصص لفتح باب غرفتها نحو المرآب وتركته متدلياً، كما تفعل في كل مرة تود المغادرة أو العودة، فظهرت في قاعدته النقاط السوداء والنقطة الحمراء واستمرت إذ وضعت أصابعها على النقاط السود وإبهامها على النقطة الحمراء وضغطت لتسمع صريراً خافتاً من داخل الحائط يأذن بظهور المقبض، وما إن ظهر حتى حركته وظهر على أثره الباب الذي يفضي إلى الممر، ففتحته وانتقلت إلى الممر وأغلقته دونها، وأعادت قنديل الممر المقابل لقنديل الغرفة إلى مكانه، وشاهدت عودة الباب إلى مكانه وتبعه مقبضه، وباختفاء المقبض بدا الباب حائطاً، وسارت متثاقلة إلى آخر الممر وهي تتساءل أيعقل أن جدتها لم تحسب حساباً لما يفعله قطع التيار الكهربائي بتلك الدارة، وما الذي سيحل بمن في داخلها لو لجأ مطاردوها وفعلوا ماسيفعله نسيم.. ثم مدت يدها إلى القنديل المثبت على حائط المرآب وفعلت مافعلته بقنديل غرفتها السرية، فظهر باب المرآب الذي كان الفاصل بين دارتها والخارج.

فتجاوزته وشاهدت سياراتها الثلاث قابعة داخله، فوضعت ماتحمله في

إحداها، وكانت غير معروفة فهي لم تستعملها إلا قليلاً وخاصة بعد ما تعرفت على نسيم، وامتطتها وهي تعلم أن عودتها إلى دارتها مستحيلة بعد مرور ساعات الإنذار، وقبل تحريكها أخرجت صور خصومها وركزت عليهم واحداً واحداً ولما وجدت خروجها آمناً غادرت المرآب، وأول طريق سلكته كان حول دارتها فشاهدت عارفاً وعاصماً رجلي نسيم مازالا ينفذان المهمة، فابتعدت سالكة طريقاً ما دون تحديد، وهي لا تعلم أين تلجأ بعد أن استبعدت منازل الأهل والأقارب، وتبادر إلى ذهنها منزل سلمى في الضاحية بعد مرور عدة ساعات على خروجها من دارتها وتسكعها بسيارتها في الشوارع، لأن منزل سلمى وسلمى بعيدان عن الشبهات والمراقبة، فوجدت نفسها تخرج سيارتها عن مسارها وتنطلق بها نحو الضاحية، وكل خوفها أن لاتجد سلمى، وإن وجدتها أن لايكون الوقت المتأخر الذي تجاوز منتصف الليل عائقاً في سبيل استقبالها.

وصلت شكرية بسيارتها، وأوقفتها قرب منزل سلمى، وهبطت منها لتجد لوحة خياطة للسيدات مازالت في مكانها على الباب، حينها عرفت بأن سلمى مازالت في منزلها لم تبرحه. وكم كانت سعادتها عظيمة عندما سمعت صوت سلمى من الداخل يسأل عن الطارق ثم تكرر السؤال واحتاج الأمر للتوضيح وإسماعها صوتها حتى تم لها ما أرادت، وشاهدت وجه سلمى ببشاشته يرحب بها ويدعوها للدخول، ولكن بعد دخولها ورؤية الساعة كان وجه سلمى بتقاطيعه يريد جواباً عن تلك الزيارة المفاجئة في هذا الوقت المتأخر من الليل، ولكن دبلوماسية شكرية وأسلوبها المرن دون

توضيح السبب المباشر لحضورها، ترك سلمى ترحب وتعتذر وتعرض عليها غرفة والدتها المتوفاة، وبعد أن استقرت شكرية في الغرفة عرجت على المطبخ الذي وجدته خاوياً إلا من بعض أرغفة من الخبز القديم وبراد ينفث هواء بارداً إلا من بعض مشتقات الحليب، حينها عرفت بأن معدتها ستبقى خاوية حتى الصباح.

أما سلمى التي دخلت غرفتها شاردة الذهن، تسأل نفسها عما دفع امرأة من علية القوم إلى أن تلجأ إليها وتترك فراشها الوثير، لتنام في فراش لايختلف بصلابته عن الأرض سوى ارتفاعه بضعة سنتمترات، ثم رجحت بارئها أن تكون حاجتها ماسة إليها، فوجودها سينهي وحدتها وينبئ بدنو أجل الفاقة التي تعانيها، وأخذت أحلامها بالتصاعد لتشمل حصولها على ما لذ وطاب من الأطعمة التي حرمت منها سنين طويلة، وستنال الحاوية ماتملكه من ألبسة أكل الزمان عليها وشرب، وسينال منزلها المتهالك قليلاً من الترميم وغلبها النعاس ونامت باسمة.

صحت شكرية في الصباح على صوت باب المنزل أثناء الإغلاق فتوجست شراً، وخرجت تستوضح الأمر فوجدت سلمى تدخل المطبخ فتبعتها لتجدها تحاول إخفاء ماتحمل من طعام، وكان لردة فعل شكرية أثره إذ أعطت سلمى مالاً لشراء أطعمة غير التي جلبتها، فأخذت سلمى المال خجلة وخرجت مرة أخرى من المنزل سعيدة بما تملك وهي تجري حساباً لها.

ولكن شكرية التي مافتئت تركز على سلمى لتطمئن، قد وطدت العزم على الإقامة عند سلمى مادام الأمر يحتاج إلى ذلك، فقد وجدت في سلمى الثقة وفي منزلها الأمن الذي تنشده، وبعد خروج سلمى دخلت شكرية غرفتها في منزل سلمى وأخرجت صورة نسيم، وركزت عليها محددة الوقت الذي كان فيه نسيم يلاحق تنفيذ الإجراءات التي سيتبعها رجاله حيال شكرية ودارتها، وشاهدته على مكتبه في دارته يتلقى المعلومات ويصدر على أثرها الأوامر المناسبة، فقد مر وقت بعد قطع الماء والكهرباء و لم تظهر شكرية، ثم أمر رجاله بتنفيذ الخطة (ب) وذلك بإلقاء زجاجات من الغاز المسيل للدموع داخل الدارة، وراقبته وهو ينتظر، وشاهدت تلقيه أنباء عدم ظهور شكرية رغم أن الزجاجات قد فعلت فعلها بالدارة ولا يمكن لأحد مقاومة مفعولها، هنا سمعته يأمر باقتحام الدارة دون ضجة، ثم شاهدته يقف حائراً عند تلقيه خبر اقتحام الدارة دون أن يجدوا أثراً لشكرية رغم أن بحثهم شمل كل زاوية وركن فيها.

قطعت شكرية التركيز حينما سمعت صوت سلمى يدعوها إلى طعام الفطور، فابتسمت وهي تخرج من الغرفة ملبية دعوتها، فقد شعرت براحة تسري في عروقها بدل الخوف والقلق الذي اعتراها في الأيام الخوالي، فطعامها مضمون ومكانها آمن، ولاينقصها سوى استعادة مافقدته من ثقة وقدرة على الحركة، ودخلت على سلمى مطبخها لتجد فطوراً شهياً معداً إعداداً جيداً، ولكن مالفت نظرها هو قدم معدات الطعام وأدوات الطبخ، وشعرت شكرية بسعادة سلمى عندما قدمت لها مالاً وهي تدعوها لشراء

غرفتي نوم جديدتين ومعدات للطعام وأدوات مطبخية حديثة وهي تقول: من الممكن أن نستضيف امرأة مريضة لبضعة أيام معنا هنا، فردت سلمى مرحبة وهي تثني على كرم شكرية.

وما إن فرغت شكرية من طعامها وعادت إلى غرفتها حتى أعادت التركيز على نسيم والد نورة لاستكمال مابدأته، وشاهدته يعنف رجاله بعد إبلاغه اختفاء شكرية، وراح يطعن بقدراتهم ويدعوهم إلى التواري لأيام قليلة، فقد وضع في اعتباره لجوء شكرية إلى السلطات الأمنية، وحدد لهم أمكنة وجوده، ثم شاهدته يغادر مكتبه ويدخل جناح نورة ويلتقي بنديمة حارستها، ويبلغها بضرورة الاعتماد على نفسها لبضعة أيام، كما أبلغها بأمكنة وجوده، وخص بالذكر المنزل الريفي. وعندما سألته عن رغبته برؤية ابنته رد بأنها السبب المباشر لما يعاني، وأنه غير راغب برؤيتها، وأن الأيام القادمة ستشهد نهايتها، ثم عاد إلى مكتبه وأجرى اتصالاً هاتفياً ذاكراً فيه اسم هيام، ثم غادر مكتبه وأغلق بابه بإحكام حاملاً حقيبة ملابس، ثم هبط سلماً نحو سيارته المتوقفة عند أسفله، وانطلق بها خارجاً مخترقاً الشوارع نحو حي قديم، ثم توقف أمام منزل متواضع، وبعد لحظات ظهرت هيام منه ودعته للدخول إليه فأبى فاتحاً باب السيارة يحثها على الإسراع، وشاهدت شكرية انطلاق السيارة بعد أن ضمتهما خارجة من شوارع الحي إلى شارع رئيسي إلى خارج المدينة بسرعة كبيرة، وسمعتها تسأله عما دفعه لاتخاذ قراره المفاجئ باصطحابها إلى منزله الريفي، في الوقت الذي كانت تلك إحدى أمنياتها الغالية التي كانت تجد الصد الدائم من قبله، وسمعت منه تبريراً

فضفاضاً. ولم يمر وقت طويل حتى وصل إلى منطقة تكثر فيها الدارات الفارهة، وتوقف أمام إحداها وظهر على بابها رجل مسن مرحباً بحرارة فاسحاً الطريق، داعياً نسيماً بالبيك وهيام بالخانم.

قطعت شكرية التركيز وعرفت بأن نسيماً قد فرض على نفسه النوم بعيداً عن دارته، في الليلة التي كان قد أكرهها على ترك دارتها بضغط لا قبل لها بتحمله، باحثة -والخوف يلفها - عن مكان آمن تلجأ إليه، وعرفت أيضاً بأن المراقبة التي كانت حول دارتها قد أزيلت، وأن دارة نسيم فارغة إلا من ابنته نورة وحارستها نديمة، وهذا واقع فرضه حدث غامض سيزول، تاركاً لنسيم العودة واستكمال الضغط على شكرية، إذا لم تبادر وتقوم بعمل يضطره لأن يدافع بدل استكمال تنفيذ مخططه، عندها فكرت بعمل ما لردعه بأن قامت بالانتقال من منزل سلمى بسيارتها متجهة إلى دارة نسيم، وأوقفت سيارتها في مكان ترى منه مدخل الدارة وهي قابعة في سيارتها، ولما اطمأنت إلىخلوّ الدارة من روادها هبطت من سيارتها تحمل حقيبة تحوي عُدة فتح الأقفال، واقتربت من باب الدارة الحديدي فوجدته مغلقاً، فعالجته بأدواتها فوجدت من قفله الاستجابة فعطلته ودخلت حديقة الدارة، وانتقلت متوارية بين أشجار الزينة وهي تبحث بنظرها عن عامل الحديقة، ولما اطمأنت إلى غيابه غادرتها صاعدة سلم الدارة حتى وصلت إلى بابها الرئيسي، فوجدته مقفلاً، فعالجت قفله أيضاً بأدواتها فاستكان لها، ودخلت بهو الدارة وجالت ببصرها والحذر يلفها، ثم انتقلت إلى مكتب نسيم ففتحت قفله عنوة، ودخلت المكتب وأغلقت بابه دونها، ثم أدارت مزلاجه

ولما اطمأنت إلى أن أحداً لم يدخل عليها استدارت إلى طاولة عمله، ووجدت قفلها ينحني لإرادتها بيسر، فأخذت ماتحويها من أوراق ودست في حقيبتها ماتراه ينفع قضيتها مع نسيم، ولما فرغت من الطاولة استدارت إلى صندوقه الحديدي وعالجت قفله بهدوء وروية، وهي تدرس بخبرتها نوعيته وأنجع وسيلة لفتحه، واستغرق منها ذلك جهداً مضنياً حتى بدأت خرادقه تستجيب لأدواتها واحدة بعد الأخرى حتى استسلم فاغراً فاه، فاستلّت مايحويه من شرائط وأوراق تاركة مايحويه من مصاغ وأموال، ثم استدارت إلى خزانة جانبية ووقفت أمامها ترقب مابداخلها، وشاهدت ماتحويه من كتب وقصص متنوعة، وقبل خروجها لفت نظرها خزانة حديدية قديمة تركن في زاوية الغرفة، فدفعها فضولها لرؤية تلك الخزانة الغريبة عن ذلك المكان، فوجدتها محكمة الإغلاق بقفل بارز أصابه الصدأ، فأنعمت النظر فيه لبرهة راودتها أثناءها أفكار شتى اثارت شعوراً بأن سراً ماتحويه بداخلها، حينها أخرجت ما أعادته إلى حقيبتها من أدوات فتح الأقفال، وبدأت بمعالجة هذا القفل العنيد بأدوات حديثة وخبرة راسخة حتى لفظ لسانه، فاسحاً المجال لشكرية لرؤية مابداخل تلك الخزانة من أسرار، وكانت مجاميع صور (ألبومات) وأوراق صفراء ومسدس طاحونة قديم وصندوق خشبي مصدف ومزركش يحوي مصوغات نادرة، فكان كل ماوجدته مآله حقيبتها حتى أصبحت تنوء بحملها، ووجدت صعوبة قصوى بنقلها، تارة تحملها وتارة أخرى تجرها جراً وهي ترصد بحواسها كل حركة وسكون والأمل يحدوها في أن تصل سيارتها بأمان، حتى وصلتها

واستعانت بالله في حملها ووضعها في صندوق سيارتها، ولما أقفلت الصندوق واطمأنت اتجه نظرها مرة أخرى نحو دارة نسيم، وخصت هذه المرة بنظرها جناح نورة التي كانت سبب ماتعانيه، وستبقى كذلك إلى أن تخرجها منه وتجد الحل المناسب لحالها، وخاصة أنها وجدت مكاناً آمناً تضعها فيه، إضافة إلى أنها لن تحظى بفرصة أخرى تكون دارة نسيم فيها خالية، ثم جلست خلف مقود سيارتها وأخرجت صورة نورة وركزت عليها فوجدتها مكبلة في سريرها، تنظر نحو نديمة التي تقوم بترتيب الغرفة، فوجدت أن هذا أكثر الأوقات ملاءمة لإنقاذ نورة وحتى لاتؤذي نديمة تحسست في حقيبة يدها زجاجة المخدر الذي تستخدمه عادة في تهدئة بعض مرضاها، فوجدتها داخل لفافة القطن فأخرجتها وتأكدت من وجود ماتحتاجه داخلها من مخدر، ثم جالت ببصرها -وهي تستعد للبدء بمغامرتها الكبرى - حول دارة نسيم، ووضعت تصوراً للأماكن التي ستسلكها من خلال تعرفها على تلك الأماكن في الأيام الماضية- واضعة نصب عينيها اضطرارها لاستخدام سلاحها الناري في كل خطوة ستخطوها، وبدأت خطوتها الأولى بأن هبطت من سيارتها سالكة أثناء دخولها حديقة الدارة أقرب الطرق إلى جناح نورة، وهي تحمل عدة فتح الأقفال مرتدية كعادتها قفازاتها أثناء العمل، مخترقة تلك الحديقة بحذر شديد إلى نقطة لاتبعد كثيراً عن نافذة مطبخ جناح نورة، وبدأت من خلاله تستطلع وتبحث عن مكان تخترق منه هذا الجناح دون أن تثير أية ضجة، حتى وصلت إلى باب الجناح المطل على الحديقة، ونظرت من خلال الزجاج حاجزة الضوء الخارجي

بكلتا يديها، ولما اطمأنت إلى خلو المكان، عالجت الباب بأن حركت مقبض مزلاجه فاستجاب دون أن يذعن الباب لحركته وبقي على عناده مغلقاً، بسبب لسان القفل الذي يخترق جزأيه، مما اضطرها إلى استعمال أجهزتها فاستجاب صاغراً فاسحاً المجال لشكرية للدخول والانتقال دون عوائق إلى غرفة نورة التي مازالت نديمة فيها تقوم بمسح الأرض.

ولما كان هدف شكرية الوصول إلى نديمة وتخديرها بشكل يبقى الفاعل غامضاً عليها فقد بقيت مختبئة خلف خزانة في الصالون مكان إقامة نديمة، تتحين الفرصة المواتية وهي تمسك بالقطن المبلل بالمخدر، وجاءت الفرصة حينما بدأت نديمة بالتراجع نحو الباب وهي بحالة قرفصاء منهمكة بختم مسح الغرفة، فانقضت عليها شكرية مستخدمة ركبتيها بالضغط على ظهرها، بينما كانت إحدى يديها تمسك برقبتها وكانت الأخرى القابضة على القطن المبلل بالمخدر قد أخذت طريقها نحو فمها وأنفها اللذين استنشقا المخدر وهي تحاول التحرر، حتى بدأ المخدر يفعل فعله، في تلك اللحظة نظرت شكرية حولها لترى نظرات نورة المكبلة وقد أذهلتها المفاجأة وهي ترى ربيبتها وقد انهارت تماماً وافترش جسمها الأرض.

وقفت شكرية والعرق يتصبب من جبينها واقتربت من نورة وسألتها إن كانت ترغب بمغادرة هذا المكان فوراً، فردت وقد شع وجهها بشراً رافعة يديها المكبلتين لتحريرهما - بكلام أثلج صدر شكرية فباشرت بتحريرها مستخدمة المفاتيح التي كانت بحوزة نديمة، وما إن تم تحريرها حتى أقبلت تقبل شكرية مبللة بدموعها الغزيرة وجنتيها وصدرها.

قامت المرأتان بنقل نديمة من الأرض ووضعتاها على السرير وأسدلتا عليها غطاء ثم غادرتا الجناح وشكرية تحمل دفتر مذكراتها، بينما أخذت نورة أمتعتها وانطلقتا لاتلويان على شيء مستخدمتين باب الدارة الرئيسي، ولكن ما إن وصلتا إلى السيارة حتى سمعتا صوتاً ينذرهما بعدم التحرك صادراً من الطرف المقابل للشارع، ولما سمعت شكرية صوت المنذر أدركت الخطر المقبل، فتخلت عن مقود السيارة لنورة التي أخبرتها بأن صاحب الصوت ليس إلا حدائقي الدارة الذي يبدأ دوامه عند الظهيرة، وظهر وبيده مسدس مصوب نحوهما وصوته يلعلع آمراً إياهما بإطفاء المحرك والتخلي عن السيارة، وما إن شاهدته شكرية حتى ركزت عليه وعرفت بأنه لن يتوانى عن إطلاق النار عليهما إذا خالفتا دعوته، وأدركت أيضاً بأن الصدام معه واقع لا محالة وأن ترددها سيكلفها غالياً، عندها أخرجت مسدسها وأطلقت النار على يده فأصابتها إصابة مباشرة أسقطت المسدس أرضاً، ولكن الرجل الذي لم يفقد توازنه اندفع نحو المسدس محاولاً التقاطه باليد الأخرى، لكن نورة اندفعت بالسيارة نحوه وصدمته صدمة قوية ألقته جانب الرصيف أمام تحذير شكرية التي فوجئت بتصميم نورة على دهسه، ثم انطلقت بالسيارة بعيداً بسرعة فائقة، ثم توقفت مفسحة المجال لشكرية لاستعادة مقود السيارة دون أن تنبس ببنت شفة، ثم أطرقت وبدأ صوت بكائها بالظهور بينما كانت شكرية التي استلمت القيادة تسعى جاهدة للابتعاد قدر الإمكان عن المكان، وهمها أن لايكون قد تمكن أحد من المارة أو من سكان الحي من رؤية ما حدث فيتمكن من رصد رقم ونوع السيارة، فيحدث ما لم يكن

بحسبانها، ورأت أن المسافة التي تفصلها عن منزل سلمى في الضواحي كبيرة مما يجعل مدة بقاء سيارتها في الشوارع كافية لمن رصدها، وتكون بذلك قد أعطته الوقت الكافي للتبليغ وللشرطة لاتخاذ إجراءات الملاحقة قبل وصولها إلى منزل سلمى، فوجدت نفسها تتجه نحو دارتها القريبة نسبياً مفضلة الصدام مع رجال نسيم في حال وجودهم، على التعرض لمصير مع السلطات لاتعرف مداها، وما إن اقتربت من دارتها حتى بدأت تخفف من سرعة سيارتها طالبة من نورة مراقبة الطرف الأيمن للشارع، وإعلامها بأي شيء يخص رجال والدها، حتى وصلت مرآب دارتها ودخلته بحذر شديد بعد أن داست بدولاب سيارتها دواسة بابه الذي استجاب فاتحاً مصراعيه ضاماً السيارة بركابها، عندها عرفت شكرية بأن دارتها قد استعادت طاقتها من الكهرباء، وبعد ذلك طلبت من نورة الانتقال إلى سيارة الجيب التي كانت جاثمة في المرآب والخروج بها وانتظارها في حديقة الدارة.

بينما كانت نورة تنفذ ماطلبته شكرية منها كانت شكرية تقوم بنقل الحقيبة المتخمة بما جلبته من دارة نسيم إلى غرفتها السرية عبر الممر، وأثناء عودتها حملت حقيبة اللباس الأسود وسلاحه من غرفتها وعادت مسرعة لتجد نورة بانتظارها فانطلقت بالسيارة والقلق يساورها، ولم يتبدد ذلك القلق إلا عندما دخلتا منزل سلمى الباشة المرحبة والتي مافتئت تُري شكرية ما اشترته من أوانٍ وأدوات وأثاث للنوم، والسعادة تشع من وجهها، ثم حاولت دون جدوى إعادة ماتبقى معها من مال، ثم استتب لهما الأمر عندما استضافت سلمى نورة معها في غرفة نومها بعد أن تجدد فرشها، بينما

دخلت شكرية غرفة النوم الأخرى التي خصت نفسها بها بعد أن أبلغتهم عدم إزعاجها.

وما إن استقر لشكرية المقام حتى قامت بإخراج صورة نورة والتركيز عليها بعد تحديد ساعة خروجهما من دارة نسيم بعد إنقاذ نورة وشاهدت تفاصيل تبددت على أثرها المخاوف التي لازمتها طوال رحلتها بأن أحداً من الموجودين في المكان الذي كان مسرحاً لإطلاق النار وصدم الحدائقي الذي فارق الحياة – لم يتمكن من التعرف عليهما أو على السيارة التي كانت بحوزتهما، ثم انتقلت إلى الجانب الآخر من القضية بأن ركزت على صورة. نسيم واضعةً في اعتبارها زوال المخدر عن نديمة بعد ساعة من تركها مخدرة في دارة نسيم، وشاهدت كلاً من نسيم وهيام مازالا في المنزل الريفي يلهوان، عندما رن جرس الهاتف فأخذ نسيم السماعة وبعد لحظات ظهرت على وجهه علائم الأخبار السيئة فراح يزداد تجهماً في كل لحظة تمر، ثم سمعت رده واعداً بالعودة فوراً بصوت أجش ينم عن قلق وخوف، ثم ترك سماعة الهاتف وتكلم وهو مطرق راداً على إلحاح هيام بأن نديمة كانت على الهاتف وأعلمته بمصيبة غير متوقعة حلت به، طالباً منها الاستعداد للعودة للوقوف على حجم تلك المصيبة وتفاصيلها.

رافقت شكرية نسيماً برحلة العودة وشاهدته وقد أوصل هياماً إلى منزل والدها، ثم اتجه إلى دارته والتقى نديمة عند باب حديقة الدارة، ودخل برفقتها إلى داخل الدارة واطلع مصعوقاً على ماجرى، ووصف ماشاهده بالكارثة وهو يعدد الخسائر التي مني بها وتساءل – وهو يضرب كفيه عند

رؤيته صندوقه الحديدي فاغراً فاه ومازال مايحويه من كنوز وأموال بداخله لم تمس – عما يريده هذا الدخيل ثم شعر بأنه حصل على إجابة جزئية، عندما وجد الخزانة الحديدية القديمة وقد اختفت محتوياتها تماماً مردداً إذن من طرف نهلة والدة نورة، سأمحو تلك الأسرة عن الوجود، ألا يكفي مافعلته نهلة بي.. ثم فكر قائلاً هذا بعيد الاحتمال، فموضوع نهلة قد سوي على الصعيدين الأسري والقانوني، ثم التفت إلى نديمة التي مازالت واقفة تنقل بصرها عبر الغرفة ذاهلة زائغة البصر لاتصدق ماترى، وسألها إن كانت قد غادرت موقعها لأي سبب من الأسباب، أو كان النوم العميق قد غلبها، فقد كان حائراً في أمره، فالذي دخل قتل وحطم جميع الحواجز أمامه، كما أن نديمة لم تر وجهه، حتى الذي كان حاضراً أثناء قتل الحدائقي مهنا في الشارع لم يتمكن من تحديد القاتل.. ثم طلب من نديمة تركه وحده وبقاءها في الدارة، وهو يرجو بارئه أن يكون لدى الشرطة تصور عن مجرم بهذه المواصفات، وما إن خرجت نديمة من غرفته حتى قام وأغلق الباب دونها ثم جلس يفكر، وبعد برهة رفع سماعة الهاتف وتكلم مطولاً مع ضابط كبير في الشرطة، وعرفت شكرية من الحديث بأنه طلب تدخل الشرطة. وبعد المكالمة وقف فجأة وكأنه تذكر شيئاً واتجه نحو خزانة المكتب، ودفع جانبها الأيمن فتراجعت قليلاً، ثم أدارها فظهر مدخل يفضي إلى غرفة، وبعد تجاوزه الخزانة التي أعادها إلى مكانها أنار الغرفة التي دخلها وكانت لاتتعدى غرفة نوم فيها كل مايحتاجه الإنسان في وحدته، ثم اقترب من لوحة معلقة فوق السرير ونزعها من مكانها ودقق النظر بها لبرهة،

وكانت صورة له ولامرأة بجانبه في لباس الزفاف، ثم قلبها ومدّ أصابعه في شق بين أخشاب تلك اللوحة وأخرج قطعة معدنية مستديرة الشكل بطول بضعة سنتمترات ولها مقبض مربع، فحملها وأزال مسمار تعليق اللوحة من مكانه وأدخلها مكانه وأدارها سبع دورات نحو اليمين ودورتين نحو اليسار ثم ضغطها فتحرك باب جرار بطول مترين تقريباً وعرض مترين، كاشفاً عن خزانة بعمق لايتجاوز خمسين سنتمتراً فيها آثار وكنوز لاتقدر بثمن، قد صفت بشكل بديع تسر الناظر إليها، وقف مطمئناً وهو يتبسم ثم مد يده وحمل ماسة بلون السماء ودقق النظر فيها لبرهة، ثم أخذ عدسة مكبرة كانت داخل الخزانة ووضعها على إحدى عينيه وأخذ يقلّب الماسة ذات اليمين وذات الشمال، في تلك اللحظة سمع صوت حشرجة صادرة من لوحة قريبة من الباب، فابتعد قليلاً عن الخزانة ودقق النظر ليشاهد زراً مضاء داخل اللوحة فأعاد كل شيء كما كان، وخرج متجاوزاً غرفة مكتبه ودخل الصالون ونظر من النافذة، ورأى القادم الذي أشارت إليه اللوحة.

وبينما كان القادم يقترب من باب الدارة الداخلي كان نسيم يسعى ويجلس على أريكة في وسط الصالون، واضعاً رأسه بين كفيه ليبدو حزيناً مغلوباً على أمره حين دخول المحقق، في تلك اللحظة قرع القادم جرس الدارة، وظهرت نديمة لترى القادم الذي بادرها بالسؤال عن نسيم، فابتعدت دون أن تجيبه فاسحة المجال ليرى مطلوبه جالساً قبالته، فابتسم القادم عندما رأى نسيماً في حالة مغايرة لما كان يراه، متسائلاً عما جرى حتى يرى نسيماً وقد تغير موقعه، هل أصابه الوهن ليصبح شاكياً طالباً حمايته، أو أن

ذهنه قد تفتق عن لعبة جديدة.. وهنا رفع نسيم رأسه مرحباً بالقادم، واصفاً إياه بسيادة العقيد ناجح، ولما سأله عما أدراه برتبته الجديدة رد بأن اللواء أعلمه عندما قدّم شكواه بالهاتف. ثم سارا معاً نحو غرفة المكتب والعقيد ناجح يدقق بكل قفل جرى فتحه وهو يبحث عن تفسير، وخاصة بعد أن علم بأن من اقتحم الدارة ماكان لصاً بالمعنى الدارج بل جامعاً لأدلة ومعلومات، له منها هدف محدد، وخطره يكمن ببراعته باستعمال السلاح بالإضافة إلى براعته باجتياز الموانع.. وشاهدت شكرية المحقق يسأل ونسيم يجيب حتى وصل المحقق إلى استنتاج أذهل شكرية عندما أخبر نسيماً بأن من دخل الدارة ليس غريباً عنها، فهو يعرف تفاصيل لايعرفها إلا قاطنها أو ماشابه ذلك، فنزلت تلك الكلمات على نسيم نزول الصاعقة، عندما شاهدته يقف ويقول ماذا؟ واسترسل المحقق حينما قال: جالباً معه أدوات برع في تجربتها، وبقاؤه مدة كبيرة داخل الدارة ينم عن أنه عالم بغياب قاطنيها المدة التي يحتاجها حتى ينجز مهمته. ومما لفت نظر شكرية أن نسيماً لم يأت على ذكر اختفاء ابنته وماحدث في جناحها، مما يعطي انطباعاً بأنه يخاف فتح ملفها، ورغبته طمس ذلك الملف الأمر الذي أقنع شكرية بأن من أول مهامها هو إبراز ذلك الملف بالاعتماد على ماحصلت عليه من أوراق ومستندات تم جلبها من مكتبه، وتساءلت هل ذلك المحقق سيكون متجرداً وينفذ العدالة أو أنه سيجد تلك الأدلة مصدراً لابتزاز نسيم وسيكون مآلها التزوير أو التغيير أو الإتلاف.. وأوصلها تفكيرها إلى ملازمته والتعرف على مكان عمله وعلى رئيسه أيضاً، فالأمر يحتاج إلى الثقة أولاً

قبل الإقدام على أية خطوة مقبلة. وسمعته يطلب من نسيم ترك كل شيء في مكانه حتى وصول المختصين بالأدلة القضائية، فإن أي دليل يحصلون عليه يوفر الجهد والوقت وخرج تاركاً نسيماً حائراً تتنازعه الشكوك والأوهام، وهو يفكر بكلام أطلقه المحقق بأن الفاعل ليس غريباً عن الدارة.

رافقت شكرية العقيد في رحلة العودة إلى دائرته، ودخلت معه إلى مكتبه، وفوجئت حين دخوله إلى مكتب رئيسه اللواء وكيل الداخلية بأنه اللواء جميل صديق جدتها، واستمعت إلى حوارهما، واعجبت بكلام ردده اللواء حينما قال إن نسيماً هذا مافيا قائمة بذاتها، وشكك بالشكوى من أساسها معتبراً أنها لعبة من ألاعيب نسيم المعتادة، وضحك الاثنان عندما قال العقيد إن السارق كان رحيماً بأقفال نسيم وأبوابه فقد بقيت دون كسر أو خلع، ولكن الأمر الذي يحتاج إلى تفسير هو مقتل الحدائقي مهنا في وضح النهار وعلى قارعة الطريق، وهذا بحد ذاته يعتبر تحدياً سافراً لأمن البلد والقائمين عليه، وأمره بعدم التهاون مع أحد أثناء التحقيق سواء أكان نسيماً أم أقاربه أم من يلوذون به.

قطعت شكرية التركيز، ورأت من خلال ماشاهدته أن عمليتها مع نسيم كانت ناجحة بتحويله ضائعاً متخبطاً وهو يبحث حوله عن غريم. خرج من داخله فكبل يديه وأخرجه إلى دائرة الضوء وأضاع عليه مخططات كان يقوم بتنفيذها، وتذكرت نورة وكيف أقدمت على صدم مهنا بالسيارة دون أن تعلم بأنه فارق الحياة، أو أن أحداً لم يرهما، ورأت شكرية أن بقاء نورة على جهلها يساعدها على تحويل نورة إلى مستجيب لأي طلب أو أمر

تصدره شكرية، دون أن تبحث عن مبرر لذلك الأمر، باعتبار أن مهنا حي، وقد أخبر السلطات عمن صدمه.

في اليوم التالي غادرت شكرية منزل سلمى عائدة إلى دارتها عبر مرآب الدارة، وفور وصولها قامت بتفقد الدارة ركناً ركناً بادئة بتفقد الباب الرئيسي والنوافذ المطلة، ثم عرجت على المطبخ وأعادته جاهزاً وملبيا للحاجة ثم دخلت غرفتها السرية، وما إن استتب لها الأمر حتى بدأت بتجميع أغراض وأوراق ومستندات جلبتها أثناء إغارتها على دارة نسيم بحرص شديد، فقد ارتدت قفازاتها قبل لمسها ووضعتها ضمن علبة كرتونية، ثم قامت بمسح ما عليها من آثار وبصمات بقطعة من القماش مررتها داخل وخارج العلبة، وقبل ختمها وضعت مسدس الطاحونة الذي وجدته مع ذخيرته فوق الأوراق والمستندات، وختمت العلبة جيداً، ثم استلّت قلماً بريشة عريضة وسجلت مستخدمة يدها اليسرى على العلبة الكرتونية اسم وعنوان اللواء جميل بشكل واضح، ونقلتها إلى سيارتها عبر الممر الواصل بين غرفتها السرية والمرآب، متوخية إيصالها إلى اللواء قبل أن يتمكن نسيم من إيجاد الوقت والظرف المناسبين للإفلات من يد العدالة، وكان الليل قد بدأ يرخي سدوله وهي تفكر بطريقة تتمكن بها من توصيل العلبة الكرتونية إلى منزل اللواء بشكل يبدو فيه أمراً عادياً، وتمخض تفكيرها بأن وضعتها في سلة من القش، وأسدلت فوقها كمية من القش ووضعت فوق القش طبقتين من البيض، وعدلت من ألبستها، وظهرت للناظر إليها كأنها فتي، وانطلقت بسيارتها نحو هدفها وهي تتلو آيات قرآنية، حتى وصلت الشارع الذي

يقيم فيه اللواء، ومرت من أمام البناء وهي تبحث عن موقف لسيارتها بعيداً عن ضوء الشارع وقريباً من مدخل البناء، حتى استقرت على مكان أوقفت به سيارتها، وقبل أن تغادرها جالت ببصرها باحثة عن سيارة اللواء، ولما لم تجد لها أثراً بين السيارات المتوقفة عرفت بأن اللواء خارج المنزل، ثم نظرت نحو البناء بأدواره الأربعة فرأت انبعاث ضوء الدور الثاني منزل اللواء، فعرفت بوجود سكانه، وانتظرت حتى خلا الشارع من السيارات والمارة، فنزلت من سيارتها وانتقلت مع سلتها إلى داخل البناء،ولفت نظرها صندوق اللواء البريدي في مدخله، وصعدت السلم حتى الدور الثاني وشاهدت اسم اللواء مشرعاً على لوحة نحاسية مثبتة على الباب، فقرعت جرسه دون تردد وانفرج الباب عن طفل لايتجاوز السابعة من عمره، فعاجلته شكرية بالسؤال عن اللواء، ولما كانت إجابته بالنفي أدخلت السلة وراء الباب من الداخل وأعلمته بأن اللواء قد أرسلها، وقفلت راجعة دون أن تنتظر أية إجابة من الطفل ولكن ماسمعته كان إغلاق الباب دونها وهي هابطة على السلم.

وكم كانت سعادة شكرية كبيرة عندما قرأت صحف اليوم التالي عن قصة سلة بيض شغلت أجهزة وزارة الداخلية من خبراء متفجرات ومحققين، وراءها ماتفتق في أذهان ناشري تلك الصحف من قصص، ولكن تلك الصحف أجمعت على وجود أدلة مخبأة داخل السلة تدين أحد كبار تجار الماس دون ذكر الاسم، حينها توقعت أن يكون نسيم هذا قد أدخل دهاليز التحقيق، ولكن عندما ركزت على صورته وجدته طليقاً وبين رجال

عديدين يجلونه ويحترمونه، أصيبت شكرية على أثر ذلك بالإحباط، وجمح تفكيرها إلى أنه فوق القانون، وأن خطره الآن يفوق خطره بالأمس، وحمدت بارئها لبقائها بعيدة عن الشبهة، ولكن الذي غير تلك الصورة هو دخول إيهاب مراسل الدكتور شكري وإعطائه نسيماً ورقة تجهم لها وجهه، وعرفت بأن الشرطة تسعى إلى اعتقاله، وقامت بتوزيع مذكرة على كافة مخارج البلاد تأمر باعتقاله موقعة من اللواء جميل، وقرأت بأعلى تلك الورقة كلمة /سري/، عندها عرفت بأنه متوار من الشرطة، وأن المكان الذي هو فيه ماهو إلا مخبأ آمن، ولما كان بمقدورها التعرف على ذلك المخبأ وإعلام الشرطة عنه فستنتفي عنه تلك الصفة وسيصبح غير آمن، فلازمته ورجاله منتظرة مغادرة أحدهم إلى أن تم تكليف إيهاب بالنزول إلى المدينة والتقصي، ومقابلة رجل الشرطة المتعاون وسماه رسمي أفندي، والمرور على الدكتور شكري وجلب أوراق تخصه والعودة قبل الليل، لأنه قرر مغادرة البلاد براً، وأن صبحي أفندي المناوب من الثالثة فجراً حتى الصباح سيسهل خروجه، وقطع حديثه دون ذكر المركز الذي سيغادر منه والذي سيكون صبحي أفندي مناوباً فيه.

رافقت شكرية إيهاباً الذي غادر المخبأ نحو الخارج، وكان بناء ضمن مزرعة، وامتطى سيارة سوداء وخرج بها من بوابة حديدية كتب على بابها مزرعة عباس الشهوان، وانطلق مسافة قصيرة ليواجه طريقاً معترضاً، ولما دخله وعرج نحو المدينة جالت ببصرها تبحث عن علامة فارقة تعتمدها، فشاهدت بجانب الطريق شاخصة معدنية توضح الاتجاهات والأبعاد،

واستمرت بمرافقته حتى دخل المدينة مخترقاً شوارعها حتى وصل إلى موقف مخصص للسيارات العابرة، وبقي داخل السيارة برهة وهو ينظر حوله، ثم استل هاتفاً نقالاً من جراب السيارة الأمامي وأجرى ثلاث مكالمات، ثم أعاد الهاتف إلى جراب السيارة وأخرج بدلاً منه مغلفاً تمخض عن رزمة مالية عدّ منها ثلاثين قطعة وجدت طريقها إلى مغلف كان قد أعده مسبقاً، وما هي إلا لحظات حتى ظهر شرطي برتبة مساعد مخترقاً الموقف حتى وصل سيارة إيهاب، وألقى بثقله داخلها قرب إيهاب الذي سأله إن كان قد أحضر الأمانة فأجابه بالإيجاب، في تلك اللحظة كانت يد الاثنين تتبادلان الأمانات لتجد كلٌّ طريقها إلى جيب الآخر، وشاهدت شكرية انتهاء الفصل الأول بمغادرة المساعد السيارة، في تلك اللحظة كان إيهاب يحرك مفتاح محرك السيارة ويخرج بها منطلقاً إلى خارج المدينة نحو ضاحية الشليان، فوصلها وكانت المفاجأة عندما توقف أمام منزل الدكتور شكري الرجل الذي اكتشفته يصدر المعلومات إلى نازك خانم، واتجه نحو بابه في الشارع الجانبي، وأخرج من جيبه قطعة معدنية مدببة، وانتظر خلو الشارع من المارة والسيارات، ثم أدخلها في ثقب بأعلى الباب وأدارها حتى سمع صوت إنذار من الداخل، ثم أخرجها وأعادها إلى جيبه، وماهي إلا لحظات حتى فتحت كوة بالباب وظهر وجه شكري، وتبادل مع إيهاب المغلفات وعرفت شكرية بأن كل منهما قد حصل على مبتغاه، فقد حصل نسيم على جواز سفر وأوراق أخرى باسمه مزورة تؤهله للسير عبر البلاد والخروج منها بأمان، بينما حصل الدكتور شكري على المال.

قطعت شكرية التركيز وخطّت رسالة أغنتها بمعلومات لاتخطر على بال رجال الأمن، تعرّي نسيماً والمتعاونين معه وجعلت عنوان تلك الرسالة باسم اللواء جميل، وخرجت بعد أن ارتدت لباس الفتى، ونظرت إلى ساعتها التي كانت تشير إلى الثالثة إلا ثلثاً بعد الظهر، عندها انطلقت بسيارتها وسارت بالشارع الذي يقطن به اللواء، وبحثت عن سيارته فوجدتها متوقفة وهي بحالة استعداد للمغادرة وبداخلها سائقها واضعاً رأسه بين يديه متخذاً مقود السيارة وسادة، فارتأت التوقف بسيارتها بالاتجاه المضاد لسيارته، وقطعت الشارع سيراً على الأقدام حتى أصبح بينها وبين سيارة اللواء من الخلف بضعة أمتار، عندها خففت من مشيتها، بينما كان بصرها يجول حتى صار بمقدورها قذف الرسالة داخل السيارة التي كانت نوافذها مشرعة، ثم حولت بصرها إلى داخل السيارة والسائق نفسه، وقبل أن تجتاز النافذة الخلفية للسيارة كان مابيدها يجد طريقه إلى داخل السيارة ويستقر على المقعد الخلفي دون أن يتنبه سائقها، واستمرت بالمسير متجاوزة السيارة وما إن أصبحت خلفها بحوالي ثلاثين متراً حتى انتقلت إلى الرصيف المقابل، عابرة الطريق مرة أخرى لتصل إلى سيارتها، وجلست خلف مقودها وحركتها بحيث ترى من مرآة سيارتها اللواء عندما يمتطي سيارته ولم يطل الوقت، فقد ظهر اللواء يتقدمه اثنان من حرسه، وبينما كان أحدهما يفتح باب السيارة الخلفي كانت شكرية تركز على اللواء، ورأت ردة فعله عندما قفز بعيداً لدى رؤيته المغلف، وأخذ ينادي سائقه وقد تقطب جبينه وهو يسأله عمن أوصل هذا الشيء إلى مقعد سيارته الخلفي،

فما كان من السائق إلا أن التقط المغلف وارتد إلى اللواء وهو يقول إنه لـك سيدي، فقال أبعده عني وأعطه إلى الرقيب رمزي الذي وصل لتوه متخلفاً وراء اللواء، ففضه، وعرفت شكرية أن الرقيب رمزي خبير متفجرات وهو من مرافقي اللواء، ورأت الرقيب رمزي يبتعد بالمغلف وهو يلمسه من جوانب عدة فاسحاً المجال للواء للدخول إلى سيارته ونظره يتبع الرقيب رمزي، ورآه أثناء فضه وهو يخرج الورقات الثلاث التي كانت بداخله، ثم يعود ويقف أمام نافذة سيارته قائلاً: إنها مجرد رسالة سيدي، حينها أمسك اللواء الرسالة وما إن بدا بقراءتها حتى استدارت عيناه، وأمر سائقه بالانطلاق فوراً، ثم أمر المرافق رمزي بإيجاد العقيد ناجح، وبينما كان الرقيب رمزي يجري الاتصال كان اللواء يجد في كل حرف يقرأه برسالة شكرية جواباً لكل ماكان يشغل تفكيره، حتى سمع الرقيب رمزي يخبره بأن العقيد معكم سيدي، وأول كلمة نطق بها اللواء عند سماع صوت العقيد أن التحق فوراً وجهز مفرزة الاقتحام وسأكون عندكم خلال لحظات.

قطعت شكرية التركيز فرحة بما حققت، واضعة في حسابها طيّ صفحة كانت تؤرقها وتبعث في نفسها الخوف وعدم الاستقرار، وما إن انطلقت بسيارتها حتى شعرت بحركة صادرة من مقعدها الخلفي فالتفتت لتشاهد رجلاً يحمل مسدساً موجها إلى رأسها طالباً منها التوقف، وهو يكلمها بصفتها فتى، فوجدت شكرية نفسها تنصاع لأوامر ذلك الدخيل، وما هي إلا لحظات حتى توقفت سيارة كانت تتبعهما بالقرب من سيارتها، ونحرج منها رجلان عرفتهما على الفور، فهما عارف وعاصم رجلا نسيم اللذين

ضمتهما رسالتها إلى اللواء، واقتاداها إلى سيارتهما التي وضعت أيضاً برقمها ونوعها مع قائمة سيارات نسيم، تاركين زاهراً الذي عرفت اسمه منهما يقود سيارتها، وانطلقت السيارتان سالكتين طريقاً مختصرة خارج المدينة، وفي الطريق التفت عارف إلى شكرية سائلاً إياها بصفتها فتى عن الشيء الذي قذفه داخل سيارة اللواء وماذا يحوي، فعرفت شكرية بأن العصابة قد وضعت اللواء تحت مراقبتها، وأن مشاهدتهم لها كان تحصيل حاصل، وأنها ليست هي المستهدفة، وأنهما لم يعرفاها، كما أنهما لم يريا من قبلُ الدكتورة شكرية فتنفست الصعداء، ووجدت أن الطريق ممهدة للخداع، فردت على الفور بأنها رسالة استجداء، ولكن ابتسامته الصفراء ونظراته غير المطمئنة أعادا شكرية إلى دائرة الخوف، ولكن سرعة الأحداث لم تترك لعارف الاسترسال بالأسئلة فقد ظهرت سيارة أمن من شارع جانبي تدعو سيارتهما للتوقف، ولكن عاصماً الذي كان يقود السيارة سأل عارفاً الذي قال أسرع وتوار فكل مابداخل السيارة يديننا، ثم استل هاتفاً نقالاً وتكلم مع سائق سيارة شكرية التي تتبعهما وطلب منه التواري والالتقاء في مكان متفق عليه، في تلك اللحظة سمعوا صوتاً صادراً من سيارة رجال الأمن مستخدمين مكبرات الصوت ينذر بإطلاق النار، ولكن عارفاً وضع في حسابه أنه إنذار فارغ فقد تمكنت سيارتهم من تجاوز المحنة وخرجت سالمة، لكون سيارة رجال الأمن من نوع سيارات الجيب التي لاتماثل سرعتها سرعة سيارتهم التي عرجوا بها نحو طريق فرعي تكثر فيه البساتين مسافة قصيرة، وانتظروا في ظل شجرة بضع دقائق حتى وردت سيارة شكرية بقائدها زاهر.

انتقل الجميع مع أمتعتهم ومايحملونه من أسلحة إلى سيارة شكرية واضعين شكرية بين عارف وزاهر في المقعد الخلفي، بينما بقي عاصم في المقعد الأمامي يقود السيارة واضعاً رشاشاً آلياً بالقرب منه وعادوا مرة أخرى إلى الطريق الرئيسي، وبعد بضعة كيلومترات ظهرت الشاخصة المعدنية، وعرفت بأن مآلها مزرعة عباس الشهوان المتواري فيها نسيم، و لم يخب فألها، فقد عرجت السيارة ودخلت طريقاً فرعياً عرفته على الفور، فهو الطريق الموصل إلى مزرعة الشهوان وشاهدت عن بعد باب تلك المزرعة الحديدي مشرعاً، مما أثار عاصماً الذي أبطأ من سير السيارة وهو يسأل عارفاً الاستطلاع قبل الدخول، وكان عارف لايقل عن عاصم ريبة، فارتأى أن يتجاوز بسيره باب المزرعة ليبدو أن السيارة عابرة طريق ليس إلا، واقترح الإبطاء بسيره أثناء مروره قرب الباب، ولكن الحذر لاينجي من القدر، فما إن تجاوزت السيارة باب المزرعة حتى برز شرطي من بين إحدى الأشجار وهو جزء من قوة كامنة والتي هي جزء من القوة الرئيسية المنتشرة داخل وحول المزرعة -يشير بيده طالباً من السيارة الإذعان والتوقف، ولكن عاصماً الذي فوجئ بظهور الشرطي أمامه أطلق عنان السيارة بسرعة جنونية غير عابئ، مما دفع سيارة للشرطة كانت مخبأة خلف إحدى الحواجز تنطلق خلفه مطلقة النار دون إنذار محدثة فجوات في زجاج السيارة الخلفي، وحدث تبادل لإطلاق النار، إذ بادر عارف وزاهر كل من نافذته بالتصدي والرد بإطلاق نار غزيرة نحو مطارديهم من الشرطة، في هذه اللحظات وجدت شكرية نفسها تندفع نحو المقعد الأمامي دافعة بقدميها المقعد الخلفي

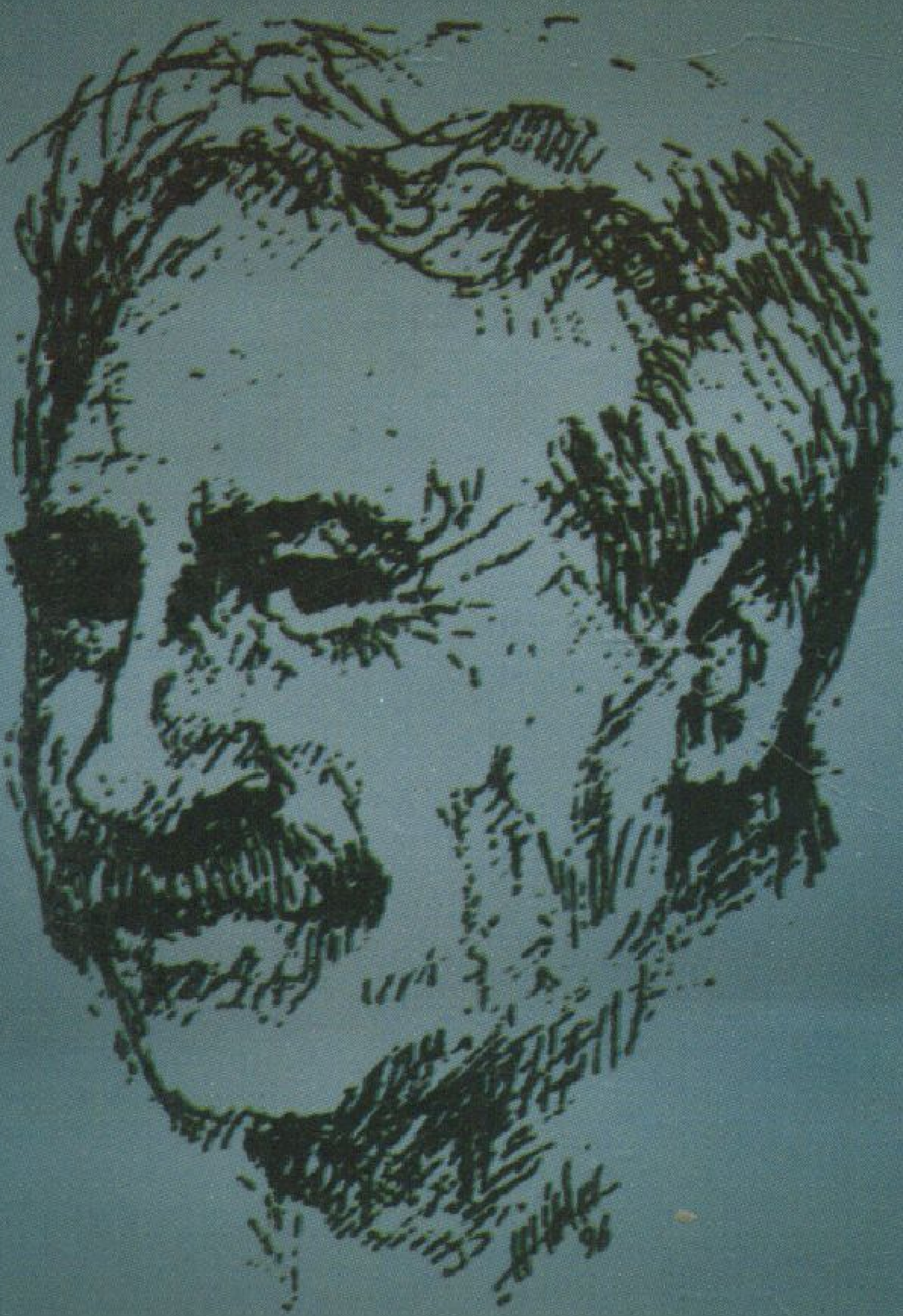
وهي تحاول أخذ الرشاش الملقى قرب عاصم على المقعد، فانتبه عاصم وأراد أن يطل مسعى شكرية فضغط بقوة على مكابح السيارة التي يقودها مسبباً انزلاق شكرية واصطدام رأسها بزجاج السيارة الأمامي بشدة واختراقه. فأفلت زمام السيارة من يد عاصم فاصطدمت بزاوية سور إحدى المزارع دافعة شكرية مع الزجاج الأمامي المعلق برأسها إلى خارج السيارة التي استمرت بالمسير مترنحة حاملة باقي راكبيها إلى صدام آخر بامتداد السور محدثة صوتاً قوياً ثم اندفعت مترنحة مرة أخرى وهي كتلة حمراء تلتهمها النيران، ثم انفجرت محدثة دوياً أفزع من حولها.

مر على ذلك الحادث تسعون يوماً حين أزف موعد إزالة الأربطة عن الناجي الوحيد من حادث السيارة وهي شكرية الماوردي، وما إن أزيلت الأربطة التي شملت رأسها وعينيها حتى شاهدت أعداداً غفيرة من الناس تتقدمهم أسرتها، وفي مقدمتهم وحيدها أمجد مع جدته أم عصام، ولفت نظرها أكوام الورود المنتشرة فجالت ببصرها على الحشود لترى نورة بينهم فتبادلت معها الابتسامات مشجعة نورة للاقتراب، فما كان من الحشود إلا أن أفسحت المجال تاركة نورة التي تحمل بين يديها مغلفاً كبيراً، تقترب من سرير شكرية وانحنت تقبلها وهي تناولها المغلف الذي كان يحوي صحفاً ومجلات يبدأ تاريخها منذ تسعين يوماً خلت تروي تفاصيل ماجرى، كاشفة جرائم مر عليها سنون طويلة، أبطالها كثيرون عرفت منهم: الدكتور شكري، والجواهرجي نسيم، ونازك.

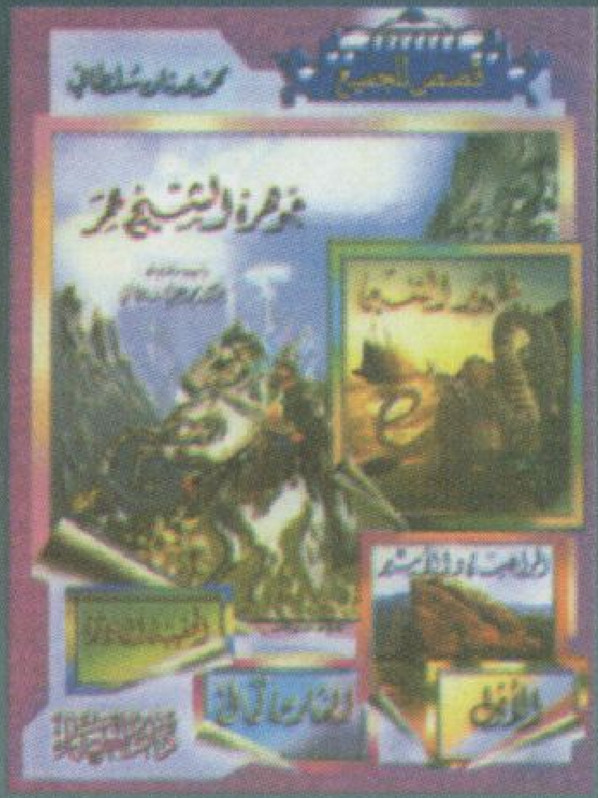
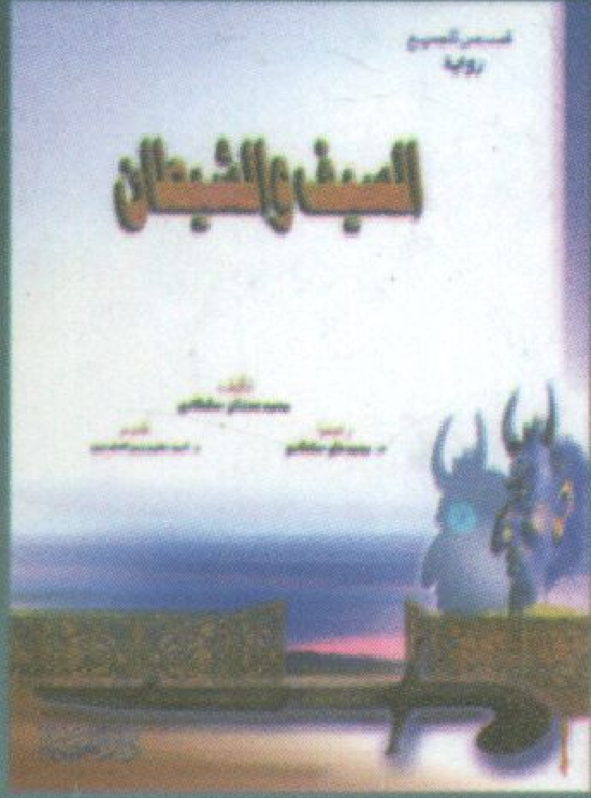
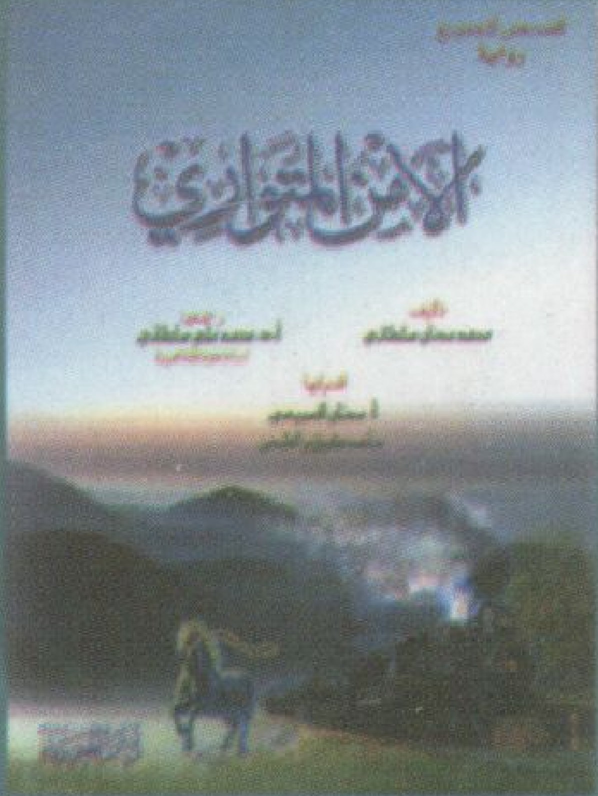
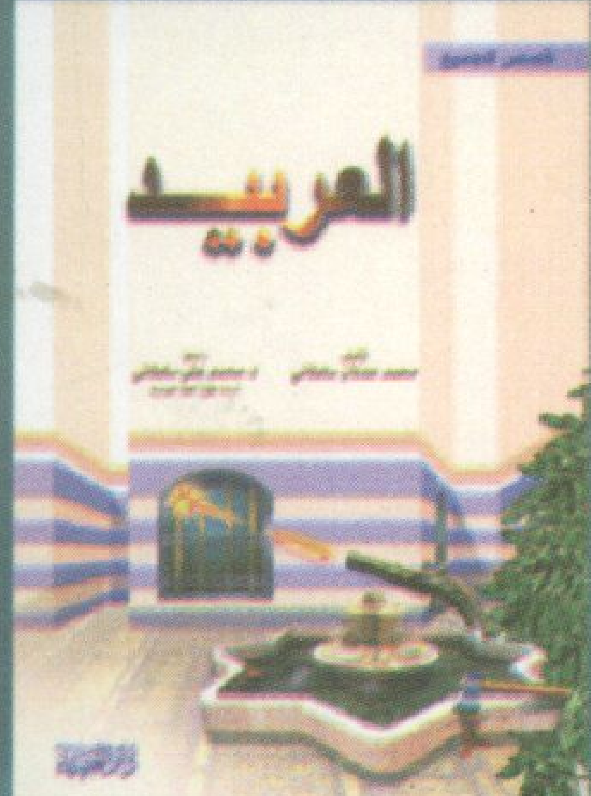
ولكن الذي ترك الدمعة تترقرق في مقلتيها أنها أصبحت غير خارقة،

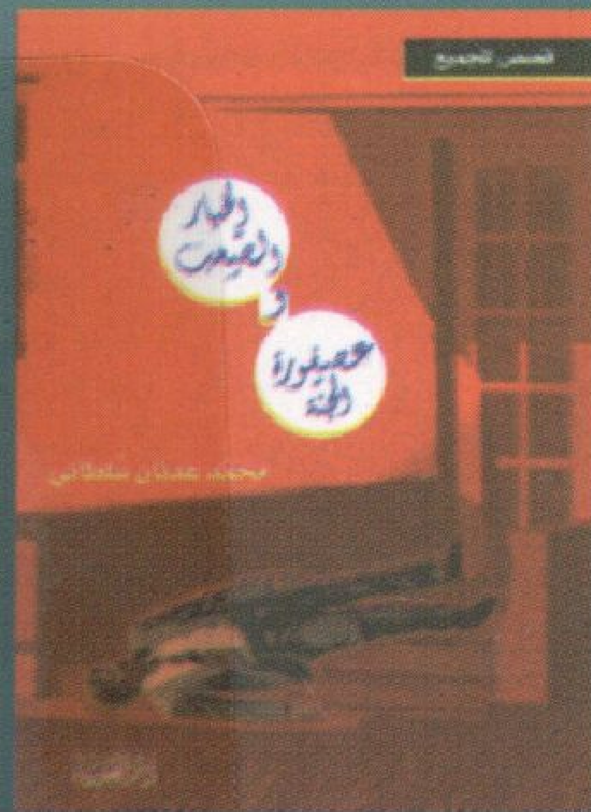
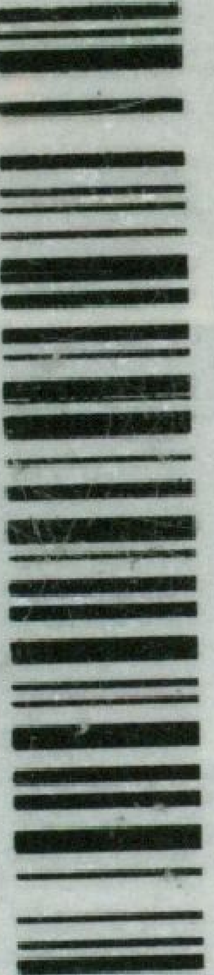
فقد أزال الطبيب الذي أجرى لها عملية في الجمجمة كتلة غريبة زاعماً بأنها كتلة سرطانية تم كشفها مصادفة، ولكن لا أحد يعلم بأن لتلك الكتلة الفضل في إنقاذ وشفاء الآلاف من أخطار محدقة لا ريب فيها، ومنها هذه الجموع المحتشدة.

تمت القصة



صورة المؤلف في ٥/٨/١٩٦٨م
بريشة الفنان حسام سلطاني

يُعَدُّ الأدباء عبر العصور مصابيح هداية ومشاعل نور تُضيء للناس طريق الحق والخير، مما يغفل عنه عادة عامة الناس في زحمة حياتهم اليومية الصاخبة..

فإذا كان الواعظون يعتمدون الخطاب المباشر وسيلتَهم إلى تذكير الناس وهدايتهم، فإن أهل الأدب والرواية والقصة وأمثالها يعتمدون أساليب فنية رشيقة جذابة، يتحدثون بها إلى الناس من وراء غُلالة شفيفة مثيرة، تعرِض عليهم صوراً من حياتهم، يتضح من خلالها ما يريدون إبرازه من سلوك الناس وعلاقاتهم.. فتميل الأنفس بفطرتها السليمة وطبعها الأصيل إلى الأفضل، مما يتيح للكاتب تحقيق الغاية النبيلة والهدف الرفيع، كل ذلك من خلال متعة فنية غامرة، ترتقي بذوق القارئ، وتنمّي ضميره الإنساني، وتعمّق نظرته إلى الحياة وأهلها..

تلك هي غاية صاحب (قصص للجميع) في قصته «الخارقة» هذه وغيرها، والله ولي السداد والتوفيق.

والله ولي السداد والتوفيق

ISBN 993346036- 6


9 789933 46036 5

